

الحوزة العلميّة
في النجف الأشرف

الكتاب الثالث

النظام الدراسي

طلابه ومدارسه،
مراحلته ومناهجه،
إيجابياته وسلبياته

هوية الكتاب

- « اسم الكتاب: الحوزة العلميّة في النجف الأشرف / الكتاب الثالث: النظام الدراسي؛ طلابه ومدارسه، مراحلہ ومناهجہ، إيجابياته وسلبياته.
- « المؤلف: د. عبد الهادي السيّد محمد تقي الحكيم.
- « المطبعة:
- « الطبعة: الثانية.
- « سنة الطبع: ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م.
- « حجم ورق الكتاب: ١٧ × ٢١ سم (وزيري).
- « عدد الصفحات: ٤١٩.
- « الإخراج الفني الداخلي: أحمد الرصافي.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد () لعام ()

حقوق الطبع محفوظة

الحوزة العلميّة في النجف الأشرف

الكتاب الثالث

النظام الدراسي

طلابه ومدارسه، مراحلهم ومناهجهم،

إيجابياته وسلبياته

الدكتور

عبد الهادي الحكيم

الطبعة الثانية

مزيدة ومنقحة



الديباجة

منذ أكثر من عشرة قرون والنجف الأشرف، ومرقدتها المقدس، وعتبتها الشريفة، وحوزتها العلمية، وثرها الطاهر، مهوى أفئدة المؤمنين من محبي المجاورة، أو الزيارة، أو الدراسة، أو غيرها.

ويأتي في مقدمة هؤلاء الطلبة أولئك المخلصون مع أنفسهم، من رواد العلم والفضيلة، والبحث والدراسة، والتتبع والتحصيل، من الذين يسعون إلى نيل رضا الله ﷻ من خلال تكريس جلّ حياتهم، وأوقاتهم، واهتماماته، وجهودهم ودأبهم على تحصيل علوم الشريعة الإسلامية السمحاء، مؤثرين ذلك على كل ما عداه من أمور حياتهم الفانية.

ومن الواضح أن أول وأولى ما تنصبّ عليه جهودهم هي دراسة علم الفقه وأصوله، والحديث ورجاله، والتفسير، وآيات أحكام الكتاب الكريم، والعقيدة الحقة، وغيرها من علوم الشريعة الأخرى، إضافة إلى العلوم الممهدة لها من نحو، وصرف، ومنطق، وبلاغة، وكلام، وفلسفة، وتاريخ، وأخلاق، وتربية، وغيرها، ما دامت هذه العلوم تعين على الوصول إلى غرضهم المنشود، والغاية المرجوة وهي استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، سواء أكان الدليل من الكتاب العزيز، أم من السنة مطهرة، عبر مراحل دراسية ثلاث، لكل منها مناهجها الخاصة بها، وكتبها الدراسية المقررة فيها وذلك أثناء دراسته مرحلتي المقدمات والسطوح. أما البحث مرحلة البحث الخارج فلها نظامها الدراسي المختلف عن المرحلتين المتقدمتين عليه كما سيأتي.

لقد عرض هذا (الكتاب الثالث) من كتبي عن الحوزة العلمية في النجف الأشرف بطبعته الجديدة، المواضيع المشار إليها أعلاه، وغيرها، من خلال فصوله ومباحثه بإيجاز غير مغل، محدثاً، ومطوّراً، ومضيفاً، ومعالجاً ما استجدّ في هذه الحوزة العريقة مما هو أهل للكتابة فيه وتوثيقه.

لقد تعرض التمهيد بإيجاز إلى (تعريف مصطلح الحوزة العلمية) قبل أن يدخل البحث في الفصل الأول المعنون بـ(طلاب حوزة النجف الأشرف، أماكن دراستهم وسكنهم)، متناولاً في مبحثين، الأعداد التقريبية لطلابها سابقاً، وحالياً، وصولاً إلى أعدادهم حتى سنة (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، ثم إلحاق ذلك بأعدادهم بعد ستّ سنوات، أي حتى نهاية السنة الهجرية الماضية (١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م) من الذين يتسلّمون مرتّبات شهرية منتظمة من مكتب المرجع الديني الأعلى سماحة السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وهو آخر تحديث لأعدادهم، ما يفتح الباب على مصراعية أمام تحليل النتائج، للوقوف على معطياتها، سواء في نسبة الزيادة الحاصلة لطلبة حوزة النجف الأشرف العلمية ككل خلال هذه السنوات الستّ الأخيرة، أم بمقارنة نسبة الطلبة العراقيين إلى نسبة الطلبة العرب والمسلمين والأجانب فيها. أم بقياس نسبة زيادة عدد طلبتها بين السنة الهجرية الأخيرة وسنوات ما قبل الاحتلال البريطاني للعراق، أو ما بعده إلى نهاية العهد الملكي، فالجمهوري انتهاءً بأعدادهم في العهد الدكتاتوري البائد الأخير فأعدادهم بعد سقوطه المدوي حتى قبل سنة (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م) المتقدم ذكرها، أم بغير هذا وذاك حسب الحاجة المرتجاة.

ووقف الفصل الثاني المعنون: (المدارس الدينية) على أعدادها، وتشيد عمارتها، وسعتها، ومكانها، ووضع الطالب فيها، وما تم تشييده منها قبل

سقوط النظام البائد في سنة (٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ)، وبعده، وغير ذلك من شؤونها الأخرى. مع إضافة ما استجد من المدارس الدينية إليها، نتيجة الحاجة إلى استيعاب الأعداد المتزايدة من الطلبة حتى نهاية العام الدراسي المنتهي بنهاية السنة الدراسية (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م).

وتعدّ (المدرسة العلوية) إحدى منشآت (المجمع العلوي) الضخم، أحدث هذه المدارس وأكملها. ونظراً لأهمية هذا المجمع العلمي العلوي وفرادته، فقد وقف الفصل الثاني على وصف موجز لمنشآته العديدة الأخرى، إضافة إلى مدرسته الدينية الحديثة الطراز.

أما الفصل الثالث الموسوم بـ(التطور التاريخي لمناهج الدراسة الحوزوية، وكتبها الدراسية) فقد استعرض مراحل الدراسة الحوزوية، ومناهجها، وكتبها الدراسية المقررة، سابقاً، وحالياً. مع الوقوف على ما ينبغي الوقوف عليه منها بإيجاز.

في حين تمحّض الفصل الرابع للحديث عن (مرحلة المقدمات)، متناولاً مناهجها الدراسية المعتمدة، وكتبها المقررة، وطريقة تدريسها، ومحاولات تطوير تلك الكتب، وأسباب ذلك، من خلال عرض تفصيلي واسع، مع إلقاء الضوء على برنامج مختصر ليوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسيها حينها.

أما الفصل الخامس المخصص للبحث في المرحلة الدراسية الثانية، المسماة بـ(مرحلة السطوح)، فقد تعرّض الفصل بالتفصيل لمناهجها المعتمدة، وكتبها المقررة، وطريقة تدريسها، والمهم من محاولات تطوير مناهجها الدراسية، وكتبها، وأسباب ذلك، من خلال عرض تفصيلي موسع، مع إلقاء الضوء على برنامج يوم عمل لمدرّس من مدرّسي سطوحها الدنيا حينها، ومدرّس من مدرّسي سطوحها

العليا حينها أيضاً، وذلك على رأي من يذهب إلى أن مرحلة السطوح تنقسم إلى مرحلتين دراسيتين: مرحلة السطوح الدنيا، ومرحلة السطوح العليا، وهو رأي أقل انتشاراً من رأي مخالف يذهب إليه غير واحد من الباحثين في هذه المرحلة الدراسية، ومفاده أن مرحلة السطوح هي مرحلة واحدة تتقدم فيها الدراسة تدريجياً من أدناها إلى أعلاها وهو ما أميل إليه، لا مرحلتين دراسيتين: دنيا وعليا.

واستعرض الفصل السادس (مرحلة البحث الخارج) من حيث نظامها، وطريقة تدريسها، مع مثل تطبيقي عليها، ملقيا الضوء على برنامج يوم عمل دراسي لأستاذ من أساتذتها من غير المراجع.

في حين استقل الفصل السابع ببيان (قسم من إيجابيات النظام الدراسي) المتبع في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، متناولاً إياها بتفصيل وافٍ، لما لهذه الإيجابيات من نتائج واضحة تتلمسها بسهولة من خلال المستوى العلمي العالي الرصين، والأخلاقي المميز، لقسم كبير من طلابها وأساتذتها الذين خرجتهم هذه الحوزة العلمية العريقة وخاصة من المراجع وكبار العلماء والمجتهدين والمفكرين، والكثير ممن دونهم طبقة من الأساتذة والمدرسين والفضلاء، وسواهم.

ووقف الفصل الثامن على بعض من (سليبات المنهج الدراسي المتبع فيها)، تلك التي يمكن معالجتها بيسر، بعد تشخيصها، وذلك لزيادة فاعلية النظام الدراسي، وتحسين مستوى مخرجاته، أكثر فأكثر.

هذا ما يتعلق بالفصول والمباحث، أما الملاحق فقد كنت ذكرت في ملاحق كتابي الثاني من موسوعي المعنونة بـ(النجف الأشرف وحوزتها) -الصادرة طبعها الأولى عن العتبة العباسية المقدسة (سنة ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨ م)-

الملاحق التالية:

« **الملحق الأول:** شروح كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) في الفقه لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي المعروف بـ(المحقق الحلبي) (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م).

« **الملحق الثاني:** شروح كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) في الفقه للشهيد الثاني زين الدين العاملي المستشهد سنة (٩٦٥هـ / ١٥٥٨م)، والتعليق عليها.

« **الملحق الثالث:** قسم من شروح وحواشي كتاب (المكاسب المحرمة) في الفقه، للشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) مقتصرًا على المطبوع منها فقط.

« **الملحق الرابع:** شروح كتاب (معالم الدين وملاذ المجتهدين) في أصول الفقه للشيخ حسن بن زين الدين العاملي المعروف بـ(الشهيد الثاني) (ت ١٠١١هـ / ١٦٠٢م).

« **الملحق الخامس:** شروح كتاب (قوانين الأصول) في أصول الفقه للميرزا أبي القاسم القمي (ت ١٢٣١هـ / ١٨٦١م)

« **الملحق السادس:** شروح كتاب (فرائد الأصول) في أصول الفقه المعروف بكتاب (الرسائل) في أصول الفقه للشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م).

« **الملحق السابع:** شروح كتاب (كفاية الأصول) في أصول الفقه للشيخ محمد كاظم الخراساني الملقب بـ(الأخوند الخراساني) (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م).

لذا لا أجدني بحاجة لأن أكرّر تعداد الشروح والتعليقات على هذه الكتب الدراسة المهمة هنا مرة ثانية، رغم فائدتها للباحثين؛ تجنباً للإطالة، لذلك فمن أراد الاطلاع على تلك الشروح والتعليقات فيمكنه مراجعتها في الطبعة المشار إليها أعلاه لينال مراده.

على أنني أبقى من ملاحق الطبعة السابقة (الملحق الثامن) منها فقط والمتضمن: إحصائية تقريبية بـ (أساتذة البحث الخارج من غير المراجع)، تليها إحصائية بـ (أساتذة السطوح العليا: المكاسب، والرسائل، والكفاية) في حوزة النجف الأشرف الحالية، من المستمرين بالبحث والتدريس فيها، مع تحديث معلوماتها حتى نهاية السنة الدراسية الحالية (١٤٤٢ - ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ م).

في الختام أتقدم بالشكر إلى العتبة الحسينية المقدسة، ومنها إلى مؤسسة (رؤاد) الكريمة للتنمية والإعلام، لما تقدّمت به من طلب ورغبة وعرض لطباعة هذه الكتب الثلاثة، راجياً الله لهما ما يستحقّانه من توفيق وتقدّم في خدمة الإسلام والمسلمين، إنّه أرحم الراحمين.

أسأل الله أن يعلّق أن يأخذ بيديّ لما يحبّه ويرضاه، وأن ينعم عليّ بما هو أهله، إنه أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عبد الهادي الشير محمد نقي الحلي

النجف الأشرف

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م



الفصل الأول

طلاب حوزة النجف الأشرف أماكن دراستهم وسكناتهم

يتناول هذا الفصل أعداد طلاب الحوزة، وأماكن دراستهم
وأقسامهم الداخلية المخصصة لسكناتهم،
وذلك في تمهيد، ومبحثين، هما:

المبحث الأول

الأعداد التقريبية لطلاب الحوزة سابقاً وحالياً

المبحث الثاني

أماكن دراسة الطلاب



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالتمهيد

التمهيد

الحوزة مصطلحاً

يحسن بي أن أبدأ حديثي بتحديد مصطلح (الحوزة العلمية) ومنها حوزة النجف الأشرف العلمية بعد أن تداولته وسائل الإعلام المختلفة، وفسرته بعضها عن قصد أو بدونه على هواها، وخاصة إثر بروز مدينة النجف الأشرف ومرجعيتها الدينية كصانعة لحدث كبير في العراق، وحاضرة حضوراً فعلياً خارجة، مما لا يمكن تجاوزها أو تخطيها أو القفز عليها بحال من الأحوال.

يقصد بالحوزة - كما أسلفت في الكتاب الأول من هذه الدراسة - الوسط العلمي المنتج والحاضن معاً للساعين إلى الخروج من عهدة التكليف الإلهي بالنفر الوارد في قوله تبارك وتعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^{(١)(٢)}، من الباذلين جهدهم لدراسة وتدريس علوم الشريعة الإسلامية، المتخلقين بأخلاق الإسلام وآدابه، الداعين إلى الله جل اسمه بالحكمة والموعظة الحسنة، متفقهين في الدين، ومبلغين به، ومرشدين إليه.

وهي تعني أيضاً فيما تعنيه: مركز التعليم الديني الذي يتبع في طريقة تعليمه النهج الذي تربى عليه الفقهاء السابقون منذ العصور الإسلامية الزاهرة وحتى

(١) سورة التوبة: آية ١٢٢.

(٢) الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية. سابق: ٣٨١.

العصر الحاضر، متخذة من نظام الحلقات في الغالب شكلاً لها، متبعة نظام الدراسة التامة، بأن يبحث الموضوع، ثم يعاد بحثه في كتب لاحقة متعاقبة، مع توسعة متدرجة، متخذة من شرح عبارة الكتاب المقرر وتحليلها والغوص في مداليلها ومعانيها طريقة للتدريس، متيحة للطالب الحرية المطلقة في المناقشة، مانحة إياه الفرصة المثلى لاختيار الأستاذ الذي يشاء، وتحديد الزمان، والمكان للدرس بالاتفاق بين المعلم والطالب المتعلم، ساعياً من وراء دراسته لنيل رضا الله عز وجل في دنياه وآخرته، مبتغياً تحصيل المعارف الشرعية، زاهداً بملذات الدنيا الفانية وزخارفها، أو هكذا هو المفترض بالحوزوي، بيد أن ذلك لا يعني بحال من الأحوال صدق انطباق عنوان نية القربة لله عز وجل، والإخلاص، والواقعية، والتجرد، والزهد، واستفراغ الوسع في البحث والدراسة، والعلم، والعمل على جميع الحوزويين طلاباً، وغير طلاب.

والحوزة العلمية في الوقت نفسه هي ذراع المرجعية، والوجود الرابط، أو الحلقة الموصلة بين المرجع الديني المجتهد ومقلّده، والحكم الشرعي ومتبّعه، والعالم بأصول الشريعة وفروعها والمتعلم.

أما وقد اتضح مصطلح الحوزة، فيحسن بي أن أنتقل إلى طلابها وأماكن دراستهم في المبحثين التاليين.



المبحث الأول

الأعداد التقريبية لطلاب الحوزة سابقاً وحالياً

تفاوتت أعداد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف بين مدّ وجزر، تبعاً للظروف السياسية المعقدة في العراق غالباً، فحين تحفّ ملاحقة السلطة وأجهزتها القمعية لطلاب وأساتذة الحوزة تنمو أعدادها باطراد، وحين تتصاعد متابعة الأمن والمخابرات وأجهزة الحزب الدكتاتوري الطائفي البائد تبدأ أعدادها بالتناقص.

وحين أقول ملاحقة وضغوط السلطة الحاكمة لا أعني بذلك الملاحقة والضغط الذي يتحمل، ويمكن ولو برباطة جأش تصريفه، فذلك ما اعتادت عليه الحوزة، وتكيف له مراجعها وطلابها وأساتذتها، شدة وضعفاً، تبعاً لمدى شدة طائفية السلطة الحاكمة في التعاطي مع ملف الحوزة العلمية في الأعم الأغلب، أو لينها، وإنما أعني به تلك الملاحقات والضغوط الشديدة غير القابلة للتحمل من أمثال التسفير الإجباري للعراقيين من أصول غير عثمانية الهوية وكثير منهم من طلبة الحوزة العلمية وأساتذتها، وحملات الإيذاء المنظم والدهم والتفتيش والترويع والتخويف والتهديد وموجات السجن والاعتقال الكيفي، وصولاً إلى الإعدامات والقتل الجماعي، ودفن الأحياء في مئات من المقابر الجماعية من دون محاكمة أو تحقيق، كما حصل بعد إخماد الانتفاضة الشعبانية عام (١٤١١هـ/ ١٩٩١م) بالحديد والنار، وما سبق الانتفاضة الشعبانية ومقابرها الجماعية، من حملات إعدام وقتل وتسفير جماعي لكثير من علماء الحوزة العلمية ورجالاتها، وما سبق ولحق عذاباتها من محن وابتلاءات يشيب لهولها الصغير ويهرم فيها الكبير.

وسأعرض مستويات أعداد الطلاب ضمن نقاط عدة:

٩٩ الأعداد التقريبية للطلاب قبل وفي أوائل القرن العشرين

نتيجة لعدم وجود إحصائيات دقيقة عن أعداد الطلبة قبل وفي أوائل القرن العشرين، فإني سأضطر إلى أن ألجأ إلى تقديرات معاشية للواقع أو قريبة منه، وليست تحقيقية، من قبيل ما ورد في تقرير بريطاني^(١) عن النجف أعد عام (١٩١٨م) قدر عدد الحوزيين فيها بـ (٦٠٠٠) ستة آلاف طالب، وزاد عليه الباحث إسحاق نقاش^(٢) فقرب عدد الطلبة في مطلع القرن العشرين بـ (٨٠٠٠) ثمانية آلاف طالب، ومن قبيل ما نقله الباحث الاجتماعي الدكتور علي الوردي من أن حوزة النجف الأشرف شهدت ابتداء من سنة (١٢٢٧هـ/ ١٨٢١م) أعظم عصور ازدهارها العلمي، فشيدت المدارس الدينية الكبيرة، وصار كل طالب علم في إيران أو في غيرها من البلاد الشيعية يطمح أن يهاجر إلى النجف لكي يكمل دروسه العالية فيها، وقد تجاوز طلابها عشرة آلاف طالب، فكان فيهم الإيراني، والتركي، والهندي، والتبتي (الصين)، والأفغاني، والبحراني، والعامي (لبنان)، والأحسائي (السعودية)، علاوة على العراقي^(٣).

ويدعم هذا التقدير ما ورد عن بعض المطلعين من أن عدد طلاب العلوم الدينية قبل الحرب العالمية الأولى، وتحديدًا في أيام الملا محمد كاظم الخراساني المعروف بـ (الأخوند) (ت ١٣٢٩ هجرية/ ١٩١١م) لا يقل عن (١٠) عشرة

(١) ينظر: شيعة العراق: ٤٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٥.

(٣) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث. د. علي الوردي: ٧٩/٣.

آلاف طالب^(١). بل نقل عن بعضهم أن العدد لا يقل عن (١٢) اثني عشر ألف طالب^(٢).

وذكر الرحالة المصري عبد الوهاب عزام^(٣) (ت ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م) عضو المجامع العربية في مصر والعراق وسوريا وإيران، خلال زيارته للنجف الأشرف وكربلاء المقدستين سنة (١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م) أن عدد طلاب حوزة النجف الأشرف في تلك الآونة يزيد على (١٠٠٠٠) عشرة آلاف طالب.

وكان الباحث جعفر الخليلي^(٤) (ت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) قد نقل متواتراً بلوغ عدد طلاب العلم من المعممين (١٠٠٠٠) عشرة آلاف طالب، في فترة ما من فترات ازدهار حوزة النجف الأشرف، من دون تحديد للفترة التي خصها بالذكر.

ولعل العدد يفوق ذلك في بعض الفترات، فقد سبق أن ذكرت أن أعداد طلاب البحث الخارج للمرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني تراوحت تقديراتهم بين (١٥٤٠ - ٣٠٠٠) ألف وخمسمائة وأربعين طالبا وثلاثة آلاف طالب.

إن هذا العدد الكبير من طلاب البحث الخارج، ومن كتاب التقارير ذلك الوقت، يكشف عن أن أعداد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف في تلك الآونة، سواء منهم من كان من طلاب البحث الخارج للمرجع الخراساني أم غيره،

(١) المدارس القديمة والحديثة في النجف. الشيخ محمد الخليلي: ٧٧. وتنظر دائرة المعارف الإسلامية الشيعية.

السيد حسن الأمين. نقلاً عن الباحث علي الورددي: ٣٩٨/٢١.

(٢) النجف الأشرف مهد الفضيلة والعلم. سابق: ٧٠. والمرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية. دراسة

في التطور السياسي والعلمي. د. جودت القزويني: ٢٢٨.

(٣) تنظر: رحلات عبد الوهاب عزام: ٦٢.

(٤) هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي: ١٠٦/٥.

أم من كان منهم في المستويات الأدنى من طلاب البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف كطلاب مرحلة السطوح، أم طلاب مرحلة المقدمات، ربما يفوق العدد المقدر لهم فيما تقدم.

وقد قدّر الباحث فالح عبد الجبار^(١) وجود نحو (٦٠٠٠) ستة آلاف فقيه في مرتبة الاجتهاد أو ما يقاربها في حوزة النجف الأشرف، أواخر القرن التاسع عشر. وهو تقدير أيدته بعض المصادر التي تناولت عدد الطلبة في النجف الأشرف أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين حيث قدرتهم بين (١٠٠٠٠ - ١٥٠٠٠) عشرة آلاف وخمسة عشر ألف طالب^(٢).

غير أنني أشك كثيراً بدقة زعمه القاضي بوجود ستة آلاف فقيه في مرتبة الاجتهاد أو ما يقاربها في حوزة النجف الأشرف ليس في المرحلة الزمنية التي حددها الكاتب بل في أي من مراحل تطور الحوزة عبر التاريخ.

لقد أوضح سماحة الشيخ محمد تقي الفقيه^٣ أحد مجتهدي حوزة النجف الأشرف، وأحد المراجع المقلدين لاحقاً أعداد طلاب الحوزة في منتصف القرن الماضي، يوم كان طالباً، فاستاذاً مجتهداً بين ظهرائي حوزة النجف الأشرف، بأن أعداد طلاب الحوزة تراوحت حسب تقديره ما بين (١٢ و ١٤ ألف) طالب حوزوي وهو الأدق والأصدق بحسب قناعتني.

وقريب من ذلك ما ذكره السيد أحمد المديدي خلال حديثه عن عصر الشيخ الأنصاري بقوله: في النجف وحدها كان يدرس آنذاك (١٢ ألف) اثني عشر ألف

(١) الجواهري في النجف.. الشعر والفقه.. التمرّد الأول. فالح عبد الجبار: ١-٢.

(٢) شيعة العراق إسحاق نقاش: ٤٥٥.

(٣) موسوعة النجف الأشرف: ١٤ / ١.

طالب، وهو عدد كبير جداً، تبلغ حصة الإيرانيين منهم (٤) أربعة آلاف طالب، وعدد الأفغان والباكستانيين (٢ ألف) ألفان^(١).

ومن الطريف في حديث السيد المدي ذكره لأعداد الطلبة الإيرانيين والأفغان والباكستانيين في تلك الآونة، وهم يشكلون الثقل الأكبر من الوافدين من خارج العراق إلى النجف الأشرف للدراسة، ما يعني -إذا صحت الإحصائية- كثرة الطلبة العراقيين في حوزة النجف الأشرف في تلك الآونة، بل ونقلت رسالة نشرت قبل أكثر من عقدين بقليل، وردت لمجلة المنار المصرية الصادرة في القاهرة سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) نشرتها تحت عنوان: (كلمات عن العراق وأهله لعالم غيور على الدولة، ومذهب أهل السنة)، تعرّض فيها كاتبها للتنديد بشيعة العراق الذين بلغ عددهم -كما يقول الكاتب- ثلاثة أرباع العراقيين، محرضاً الدولة العثمانية عليهم.

ثم عَقِبَ عليها بقبول ما فيها وتأييده لها رئيس تحرير مجلة (المنار) الشيخ محمد رشيد رضا، وقد جاء فيها من جملة ما جاء فيها -مع الأسف- ما يلي: النجف مجتمع مجتهد الشيعة، وفيه من طلبة العلوم (١٦٠٠٠) ستة عشر ألفاً، ودأبهم أنهم ينتشرون في البلاد، ويجددون في إضلال العباد^(٢).

وأوصل بعضهم طلبة العلوم الدينية في حوزة النجف الأشرف إلى ما يتراوح بين (١٥٠٠٠ - ٢٠٠٠٠) خمسة عشر وعشرين ألف طالب حوزوي.

يقول الباحث فالح عبد الجبار في بحثه المشار إليه آنفاً^(٣): إن طلاب العلوم

(١) لقاء مع السيد أحمد المدي. مجلة التحقيق والحوزة. عدد خاص عن النجف الأشرف: ٧٠.

(٢) مجلة المنار. الجزء الأول من المجلد الحادي عشر. صفر. سنة ١٣٢٦ هجرية. ص: ٤٥.

(٣) فالح عبد الجبار. الجواهري في النجف.. الشعر والفقه.. التمرد الأول: ١ - ٢.

الدينية قدّروا، مطلع القرن، بنحو (١٥ - ٢٠) خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف طالب من مختلف أصقاع الأرض، من أقاصي الهند، وإيران، وتركيا، وأذربيجان، والخليج، وجبل عامل.

وسواء أكان العدد التقريبي لطلاب حوزة النجف الأشرف في تلك الفترة (١٠٠٠٠) عشرة آلاف طالب، أم (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفاً، أم بينهما، وهو الرأي المختار، أم أكثر من ذلك، أم أقل، فإن هذا العدد التقريبي - بالنسبة إلى مجموع سكان النجف الأشرف حينها بحسب بعض المؤرخين لم يزد على (٣٥٠٠٠) خمسة وثلاثين ألف نسمة^(١) - لكبير جداً.

” أعداد الطلاب بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وحتى منتصف القرن العشرين

إن هذا العدد الكبير لطلاب حوزة النجف الأشرف المتقدم ذكره قد انخفض كثيراً أيام الحرب العالمية الأولى جرّاء الحرب.

ثم عاد للارتفاع تدريجياً حتى عهد حكومة عبد المحسن السعدون، حيث بدأ بالانخفاض سريعاً بعد أن أقدم رئيس الوزراء خلال سنة (١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) على نفي أكابر مراجع الحوزة العلمية في النجف وعلمائها المعارضين لنهجه في الحكم إلى خارج العراق.

فإبان العشرينات والثلاثينات غادر الكثير من الطلبة العراقيين مدارسهم بحثاً عن فرص الحراك والارتقاء الاجتماعيين وأصبح بعضهم معلمين في نظام التعليم الرسمي، فيما سعى البعض الآخر إلى وظائف حكومية مختلفة (...) وكان

(١) جعفر الخليلي. نقلاً عن صور من الحياة الشعبية النجفية في الجيل الماضي. حامد المؤمن: ٥٨.

عدد الذين غادروا مدارس النجف في تلك السنوات ضخماً بحيث أن أحد سكان المدينة قال متحسراً: إن الجامع الهندي الذي كان مركزاً للعلم والنشاط الأدبي على شكل مجالس وحلقات بات مهجوراً تقريباً، وكانت هناك مخاوف من أن تضطر المدارس في النهاية إلى غلق أبوابها لعدم وجود الطلبة^(١).

وينقل الباحث إسحاق نقاش^(٢) عن الشيعة العرب بأن سبب تدهور وضع مدارس النجف هو غياب المجتهد الكاريزمي الذي يستطيع قيادة الشيعة في العراق.

ويضيف: وعلى امتداد فترة طويلة بعد وفاة ميرزا محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الأصفهاني في آب/ أغسطس، وكانون الثاني/ ديسمبر ١٩٢٠م على التوالي لم يكن هناك مجتهد أكبر واحد معترف به في العالم الشيعي^(٣).

هذا ولم تمض مدة طويلة على انحسار أعداد طلاب الحوزة النجفية حتى عادت الأعداد إلى الارتفاع تدريجياً بعد مطلع الثلاثينات إثر تقلد المرجع السيد أبي الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م)، العائد من منفاه القسري زعامة المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف.

فقد وجدت من يشير^(٤) إلى أن عددهم خلال سنة (١٣٦٧ هجرية / ١٩٤٧م) قد بلغ (٧٧٤) سبعمائة وأربعة وسبعين شخصاً فقط.

(١) إسحاق نقاش . شيعة العراق: ٤٥٧. وتنظر هوامشه في نهاية الفصل.

(٢) المصدر السابق: ٤٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤٥٧.

(٤) مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية. محسن عبد الصاحب المظفر. دراسة مخطوطة على الآلة الكاتبة نالت درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٥م. ص: ١٧٣.

وما أن حلّ شهر (ديسمبر كانون الأول من عام ١٩٥٧م / جمادى الأولى / ١٣٧٧هـ) أي: بعد عشر سنوات من التاريخ المتقدم حتى بلغ عدد طلابها (١٩٥٤) ألفاً وأربعمائة وأربعة وخمسين طالباً، وهو ما أثبتته -لحسن الحظ- إحصائية أجراها الباحث الدكتور فاضل الجمالي المتخصص بعلوم التربية، ورئيس وزراء العراق، عامي (١٩٥٣ و ١٩٥٤م / ١٣٧٢هـ - ١٣٧٣هـ)، وهو باحث من أسرة علمية حوزوية، مولع منذ عام (١٩٢٧م) بحب البحث عن الدراسة ونظمها في حوزة النجف الأشرف.

يقول الدكتور الجمالي في بحثه المعنون بـ(جامعة النجف الدينية) الذي ألقاه في المجلس الثقافي البريطاني ببغداد عام (١٩٥٧م / ١٣٧٦هـ) ما نصه: ومنذ ثلاثين عاماً على وجه التقريب كان كاتب هذه السطور قد غاص في الدراسة وطرق التدريس لإظهار تفرد النظام الدراسي في النجف وأهميته وكان ذلك جزءاً من بحث للدكتوراه يتناول: (النظام الدراسي في جامعة النجف) إلا أن المقترح تبدل لعنوان آخر^(١).

ولم يبرد ولعه بحب البحث عن موضوع جامعة النجف فقد زار النجف الأشرف في (شهر تشرين الأول من عام ١٩٥٧م / ١٣٧٦هـ) ومكث في ربوعها أسبوعاً، باحثاً بحثاً ميدانياً عن جامعة النجف الدينية، وأنظمتها التربوية، ليخلص من دراسته إلى أن التركيبة الإحصائية لعدد الطلاب في النجف في (شهر ديسمبر ١٩٥٧م / ١٣٧٦هـ) هي كالآتي:

(١) جامعة النجف الدينية. د. فاضل الجمالي. نقله إلى العربية د. جودت القزويني. مجلة شؤون إسلامية.

« الطلبة الإيرانيون: ٨٩٦.

« الطلبة العراقيون: ٣٢٦.

« الطلبة الباكستانيون: ٣٢٤.

« الطلبة من التبت: ٢٧٠.

« الطلبة الهنود: ٧١.

« الطلبة السوريون واللبنانيون: ٤٧.

« الطلبة البحرانيون (البحرينيون) والقطيفيون: ٢٠.

« المجموع الكلي هو (١٩٥٤) طالباً.

وهذا العدد يختلف باختلاف فصول السنة والظروف^(١).

إن معرفتي بواقع نظام الحوزة تدعوني لأن أقول: بأن الأرقام رغم دقة محصيتها، تبقى مع ذلك أرقاماً تقريبية، قريبة من الواقع، لا تحقيقية.

إن هذا الانخفاض الشديد في أعداد الطلاب أثر تأثيراً كبيراً على حوزة النجف الأشرف بحيث وصفه الباحث الأمريكي إسحاق نقاش^(٢) بأنه أشبه بمعادلة تحوّل جامعة بحث علمي رئيسية إلى كلية صغيرة.

”ارتفاع أعداد الطلاب خلال الثلث الأخير من ستينات القرن العشرين

استمرت أعداد منتسبي الحوزة العلمية في النجف الأشرف بعد ذلك بالتزايد باطراد، حيث بلغت في عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) ما قدر بـ (١٢٢٢)

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الوصول إلى السلطة. الشيعة في العالم العربي المعاصر: ٣٦-٣٧.

ألفاً ومائتين واثنين وعشرين^(١)، ثم واصلت نموها السريع هذه المرة إثر انفراج نسبي في الوضع السياسي الداخلي، أدى إلى تخفيف الضغط عليها، فوصلت إلى ما قدر بأكثر من (٧٠٠٠) سبعة آلاف حوزوي في فترة ما من فترات مرجعية الإمام السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، بينهم من طلاب المدارس الدينية فقط ما قدر بـ (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف طالب، من الوافدين وطلاب البلاد^(٢)، حيث تمكن سماحته خلال عشر سنوات أن يشجع الراغبين بالانخراط في صفوف الحوزة فيرتفع عدد العلماء وطلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف من (١٥٠٠) ألف وخمسمائة طالب حوزوي إلى أكثر من (٧٠٠٠) سبعة آلاف طالب، وهذه نسبة كبيرة، تصل إلى حوالي (٥٠٠ ٪) في هذه الفترة، وهي نسبة قياسية في حركتنا الحوزوية العلمية في تاريخنا المعاصر.

إن الحوزة لو كانت سائرة بنفس المنهاج الذي سارت فيه أيام مرجعية الإمام الحكيم قبل مجيء البعثين المجرمين، لكان من الممكن أن يصل عددها إلى (٤٠٠٠) أربعين ألف دارس ومدرّس، وكان من الممكن أن يتطور الجانب الكيفي بهذا المستوى وبهذا الشكل^(٣) أيضاً.

ولعل حد السلطات الغاشمة من هذا النمو الكبير في الحوزة العلمية، والخشية من إمكانية التسارع في تطورها الكيفي، سببه الخوف من تأثيرات هذا النمو الكمي والكيفي المحتملة على الوضعين الداخلي، والإقليمي، والخارجي، لقد كان هذا القلق من تأثيراتها المحتملة داخلياً وإقليمياً سبباً من بين أسباب

(١) مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية. محسن عبد الصاحب المظفر. سابق. ص: ١٧٣.

(٢) حركة الشعر وأطواره في النجف الأشرف خلال القرن الرابع عشر. سابق: ٣٧-٣٨.

(٣) موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية. سابق: ١ / ٣٧٨.

أخرى أدت إلى تكالب الأنظمة الطائفية في العراق بتشجيع ودعم إقليمي وخارجي كبير، سعيًا إلى تفكيك هذه المؤسسة العلمية والإسلامية، قدر الإمكان، وبشتى الوسائل، ابتداءً من التصفيات الجسدية، إلى الاعتقالات الكيفية، إلى التسفير الجماعي، إلى غيره مما هو معروف ومشهور وموثق.

” انخفاض أعداد الطلبة مجدداً في سبعينات القرن العشرين

ومع تزايد الضغوط الأمنية على الحوزة، وشن السلطة الظالمة لحملة التسفير الجماعي الطائفية البغيضة للكثير من أتباع أهل البيت عليه السلام بحجة أنهم يحملون الجنسية العراقية نعم ولكنهم غير أصلاء، بدأت أعداد الحوزة بالتناقص تدريجياً، وخاصة من العراقيين المتهمين بكونهم غير أصلاء من جهة، وغير العراقيين القادمين للدراسة الحوزوية من دول شتى عربية، وغير عربية من جهة أخرى، فقد وجدتُ من الباحثين^(١) من يشير إلى أن طلاب الحوزة كانوا بحدود (٦١٦٤) ستة آلاف ومائة وأربعة وستين طالباً، بينهم (٤٠٠٠) أربعة آلاف رجل معمم في عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م)، وأن العدد استمر بالتناقص التدريجي سنة بعد سنة^(٢).

ثم وصل إلى ما يقدر بـ (٢٠٠٠) ألفي طالب في التسعينات، ثم استمر العدد يتناقص بسرعة نتيجة الظروف القاسية التي أقدمت عليها الحكومة

(١) مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية. محسن عبد الصاحب المظفر. رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٥ م. ص: ١٧٣.

(٢) خلافاً لما ورد في تقرير المقرر الخاص للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة المستر ماكس فان شتويل من أنهم كانوا بحدود (٨٠٠٠ - ١٠٠٠٠ طالب) في بداية الثمانينات. ولعله قصد بهذا الرقم أبناء الأسر العلمية حوزويين وغير حوزويين أو أشباه ذلك.

بقصد تحجيم الحوزة ما أمكنها ذلك، كما سيأتي، حتى وصل عدد الطلاب إلى ما قدر بحدود (٨٠٠) ثماني مائة طالب) فقط قبل الانتفاضة الشعبانية عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م)^(١).

ويشير الباحث الأمريكي إسحاق نقاش^(٢): إلى انخفاض أعداد طلاب الحوزة في حكم البعث، وخاصة بعد انتصار الثورة الإيرانية، واستيلاء الدكتاتور الطائفي صدام حسين على الحكم، حيث تضاعف عددهم إلى حدود عدة مئات فقط. بل أقل من ذلك كثيراً، حيث قدّر كتاب (شيعة العراق)^(٣) أعدادهم بـ (١٥٠) مائة وخمسين طالباً بحلول سنة (١٩٨٥م).

وأذكر أنني حين خرجت من سجن النظام البائد من دون تهمة ولا محاكمة سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) بعد أكثر من (٨) ثماني سنوات من الحجز القاسي دون أمر قضائي، بل دون محاكمة، بل دون توجيه تهمة، وجدت مدينة النجف الأشرف تكاد تكون خالية من الحوزيين المعممين، اللهم إلا ما ندر، فمثلاً وجدت أن أشهر مسجد تتخذه الحوزة محلاً لدراستها وتدريسها في النجف الأشرف وهو (مسجد الهندي) الذي كان يعج بالطلبة والأساتذة الأفاضل قبل اعتقالنا عام (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) ويضج بنقاشاتهم العلمية الجادة، كان موحشاً، فارغاً من مرتاديه، أساتذته وطلاباً، لا يضحج إلا بالصمت، وإذا كان هذا هو حال أشهر مجمع تعليمي، فما بالك بحال غيره من المساجد والحسينيات والمدارس الدينية.

(١) مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية. محسن عبد الصاحب المظفر. رسالة مقدمة

لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٥م. ص: ١٧٣.

(٢) الوصول إلى السلطة. الشيعة في العالم العربي المعاصر: ٣٦-٣٧.

(٣) إسحاق نقاش: ٤٦٢.

” ازدياد أعداد الطلبة بعد سقوط النظام البائد

بيد أن مؤشرات تنامي العدد بعد سقوط نظام الدكتاتور عام (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) بدأت بالتصاعد تدريجياً بعد زوال الخوف المرعب من القتل والسجن والأذى والتشريد والتسفير والمقابر الجماعية ليبلغ في عام (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م) إلى ما يزيد على (٣, ٥٠٠) ثلاثة آلاف وخمسمائة طالب، عدا المبتدئين بالدراسة، وهم كثر، حيث سيعتبرون لاحقاً -إن واصلوا دراستهم الجدية الدؤوبة- من طلاب الحوزة العلمية النجفية هذا عدا الطالبات اللواتي بدأت تنشط حلقاتهن الدراسية الحوزوية نشاطاً ملفتاً للنظر، ومتميزاً كما سيأتي.

لقد بلغ تعداد الحوزويين سنة (١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م) بما يقرب من (٩) تسعة آلاف طالب ومدرس وأستاذ إجمالاً، وفق حديث المرجع الشيخ محمد إسحاق الفياض خلال تشرفي بلقائه حينها.

أما في منتصف عام (١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م) فقد أربى عدد الحوزويين في النجف الأشرف على (١٥, ٠٠٠) خمسة عشر ألف طالب ومدرس وأستاذ، إجمالاً، حسب ما حدثني به المرجع الشيخ محمد إسحاق الفياض أيضاً خلال تشرفي بزيارته مساء (يوم ١١ رمضان من عام ١٤٣٧ هجرية، الموافق ليوم ١٧/٦/٢٠١٦م) بين مبتدئ بداية أولى فصاعداً، وهؤلاء يتفاوتون في مستواهم العلمي ومراحلهم الدراسية ومدى جدية قسم منهم من غيرها.

وإذا كان العدد السابق إجمالياً، قابلاً للزيادة والنقصان، فإن ما أثبتته ديوان المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني من أعداد من يتسلمون رواتب منتظمة منه، وفق الآلية التي وضعها لتسلم الطالب الحوزوي لراتبه، ضمن ضوابطه، قد

بلغت وفق إحصائيته الدقيقة حتى أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) ما مجموعه (٧,٧٥٢) سبعة آلاف وسبعمئة واثنين وخمسين طالباً، منهم من الطلبة العراقيين (٥,٤٠٧) خمسة آلاف وأربعمائة وسبعة طلاب بنسبة بلغت (٦٩,٧٥٪)، وتوزعت الدول العربية والإسلامية والأجنبية الأخرى باقي عدد الطلاب وهو (٢,٣٤٥) ألفان وثلاثمائة وخمسة وأربعون طالباً بنسبة بلغت (٣٠,٢٥٪)، وهذه الدول هي حسب الأعلى فالأعلى طلاباً كالتالي: (باكستان، الهند، أفغانستان، لبنان، إيران، أذربيجان، إندونيسيا، سوريا، اليمن، تركيا، غانا، تنزانيا، تايلند، نيجيريا والنيجر، أمريكا، أوكرانيا، بنغلاديش، روسيا، الفلبين)، عدا من لم يشملهم التوزيع الشهري المنتظم للراتب.

هذا ما كان من أعداد طلبة الحوزة العلمية الذين يتسلمون رواتب شهرية من مكتب المرجع الأعلى السيد السيستاني (دام ظله) لسنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)^(١).

أما أعداد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف حتى نهاية العام الدراسي الهجري الماضي (١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، فقد ارتفع في سجل الرواتب لمكتب المرجع الديني الأعلى سماحة السيد السيستاني (دام ظله) ارتفاعاً كبيراً، حيث وصل عددهم إلى (١١,٧٨٣) أحد عشر ألفاً وسبعمئة وثلاثة وثمانون طالباً، بلغ عدد الطلبة العراقيين منهم (٩,٢٢٤) تسعة آلاف ومائتان وأربعة وعشرون طالباً بنسبة بلغت (٧٨,٢٨٪)، في حين توزعت الدول العربية والإسلامية والأجنبية الأخرى منهم ما مجموعه (٢,٥٥٩) ألفين وخمسمائة وتسعة وخمسون طالباً بنسبة بلغت (٢١,٧٢٪)، وهذه الدول هي حسب الأعلى فالأعلى طلاباً كالتالي: (باكستان،

(١) رسالة خاصة للمؤلف من مكتب المرجع الأعلى سماحة السيد السيستاني في النجف الأشرف. ولديه نصها.

أفغانستان، إيران، الهند، لبنان، أذربيجان، إندونيسيا، نيجيريا والنيجر، سوريا، تنزانيا، اليمن، تركيا، غانا، بنغلاديش، أمريكا، تايلند، أوكرانيا، روسيا، الفلبين) قد وردت في إحصائية سنة (٢٠١٦م)، وانضمت إليها دول لم تكن في إحصائية (٢٠١٦م)، وهي حسب الأعلى فالأعلى طلاباً كالتالي: (دول الخليج، السنغال، إيرلندا، بريطانيا، غينيا، مدغشقر، بوركينا فاسو، جزر القمر، جورجيا، الدنمارك، فرنسا، كينيا، مصر)^(١).

وأتوقع أن تزداد أعداد منتسبي الحوزة العلمية في النجف الأشرف في كل عام، وخاصة الطلبة العراقيين منهم، بل ومن أبناء المحافظات الوسطى والجنوبية بشكل أخص، إن لم يطرأ على وضعهم الأمني أو أمثاله طارئ يهدد وجودهم وحياتهم ودراستهم وتدريسهم ووضعهم الحياتي بالخطر الشديد، وهو ما أسأل الله أن لا يكون، وأبتهل إليه أن يبعد شرّ التكفيريين وأعداء العلم والعلماء عنهم وعن العراق وأهله المؤمنين إنه سميع مجيب.

هذا وهناك حوزات دينية أخرى رجالية ونسائية، بدأت تشط في محافظات العراق، ومدنه، وأقصيته، وقصباته المختلفة، لم أتطرق إليها، كونها خارج نطاق هذا البحث المعني بحوزة النجف الأشرف دون غيرها، عسى أن أوفق لاحقاً لدراستها، دراسة ميدانية؛ لما لذلك من أهمية حالية ومستقبلية على صعيد الواقع العراقي الداخلي، والعربي، والإسلامي، فضلاً عن العالمي.



(١) رسالة خاصة للمؤلف من مكتب المرجع الديني الأعلى ساحة السيد السيستاني في النجف الأشرف. ولديه نصها.

المبحث الثاني

أماكن دراسة طلاب الحوزة

تتوزع أماكن دراسة طلاب الحوزة عادة وتتنوع بين أماكن عدة أهمها:

📍 الصحن العلوي الشريف

يأتي الصحن العلوي الشريف في مقدمة أماكن الدراسة المهمة في حوزة النجف الأشرف؛ لما يضيفه جوه الروحي على الطالب، والأستاذ، والدرس، من دفء في البصيرة مميز، وروحانية تفتح القلب والروح لتلقي علوم أهل البيت عليه السلام.

يضم الصحن العلوي الشريف (٥٢) اثنتين وخمسين غرفة في طابقه العلوي، يتقدم كلا منها إيوان مزين بنقوش غاية في الروعة والجمال يطل على باحة الصحن العلوي الشريف.

وترتبط كل مجموعة من هذه الغرف بممر يؤدي إلى سلم عالي الدرجات ضيقها، يصعد منه الطالب إلى هذه الغرف التي أعدت لتكون سكناً داخلياً له، وفي ظهر كل غرفة منها رف عميق كبير، يصعد إليه الطالب عبر درج في أرضية غرفته، يبدو أنه أعد ليكون مكاناً لوضع حوائجه وكتبه أو مكاناً لنومه أو لنوم ضيفه.

ويحدثنا بعض المؤرخين أن عمارة الصحن العلوي الشريف التي سبقت عمارته الحالية كانت تحتوي على غرف لسكن الطلاب والأساتذة، حيث سكن في بعضها العديد من أساطين الحوزة العلمية ومراجعها الكبار، من أمثال المرجع المقدس الأردبيلي وغيره من علماء ومراجع النجف الأشرف.

وقد زرت العديد من هذه الغرف التي تحول أغلبها الآن مؤقتاً إلى إدارات ومكاتب لمديريات وأقسام العتبة العلوية الشريفة، بعد أن أعيد تعمير وتأثيث ما تأثر منها بفعل عوادي الزمن، حتى يكمل الإعمار والتطوير في مكاتبها المخصصة لها.

يذكر أن عمارة الصحن العلوي عامة قد مرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة من حكم البعثيين بسنين عجاف خلت من أي أعمال صيانة أو إدامة، فضلاً عن إعمار أو تطوير، نتيجة الطائفية المقيتة، فقد أخليت تلك الغرف التي كانت تعج بالبحث والمناظرة من ساكنيها، طلبة وأساتذة، بعد انتفاضة صفر من عام (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م)، وبقيت فارغة، مهملة الإهمال كله، مهجورة الهجران كله، فبات مأوى للطيور والخفافيش، تكدست فيها مخلفاتها، واستغل الباقي منها من قبل الأجهزة الأمنية والمخابراتية والحزبية^(١).

وينص بعض المؤرخين على أن الصحن الحيدري الشريف قد عمر بالعدد الغفير من الطلبة والباحثين، وخاصة في أزمان الضيق والشدة والعوز المادي، ففي القرن التاسع عشر مثلاً كانت الأوضاع الاقتصادية في العراق بشكل عام، وفي المدن الشيعية بشكل خاص، سيئة للغاية، بسبب كون العراق بؤرة صراع في تلك الفترة من ناحية، ومن ناحية أخرى، أكثر تأثراً، بسبب وجود الحكومة السنية العثمانية، فكانت هذه المناطق من أكثر مناطق الدولة العثمانية، تردياً اقتصادياً، ومن أكثرها إهمالاً، هذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الحوزة العلمية نفسها كانت تعيش أوضاعاً اقتصادية سيئة، وبالتالي فلم يكن من اليسير

(١) تنظر: حالة الصحن العلوي الشريف في زمن النظام البائد. من دليل انجازات قسم الشؤون الهندسية والفنية للعتبة العلوية المقدسة: ٤.

على الحوزة بناء مدارس تقام فيها الدروس، فكانت تستخدم هذه الصحن الشاسعة مراكز للتدريس^(١).

فمن غرف الصحن الشريف وأواوينه -وأكثرها ارتياداً إيوان السيد الحبوبي، وإيوان السيد اليزدي- إلى أرضية الصحن الشريف، كانت رحي الحلقات العلمية والبحثية تدور دوراتها السريعة المتلاحقة فيها.

يقول السائح عبد العلي خان (أديب الملك) خلال زيارته للنجف الأشرف سنة (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م)، متحدثاً عما رآه في الصحن العلوي الشريف بقوله: وقد شاهدنا هناك شيئاً غريباً، وهو أنه بعد انتهاء صلاة المغرب، يجتمع هناك حوالي الألف أو أكثر من الطلبة، من بينهم حوالي ثمانون مجتهداً، حيث يجلسون هناك كل ليلة للتباحث العلمي والدرس^(٢).

٩ الجوامع والمساجد

عرفت النجف الأشرف بكثرة مساجدها وسعة انتشارها في المدينة فلا تكاد تمر بحي من أحيائها، أو سوق من أسواقها، أو شارع، أو زقاق من شوارع أو أزقة مدينتها القديمة، إلا وتجد مسجداً مفتوحاً للصلاة والدراسة.

ويعلل المرجع الديني الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء كثرة المساجد في المدينة في الربع الأخير من القرن الثالث عشر، لأن الناس في الأزمنة الماضية لم يكونوا يجرؤون على استخدام التربة في المساجد الكبيرة للسجود عليها في الصلاة،

(١) مؤسسة الدراسة الدينية الشيعية في النجف وكرلاء خلال القرن التاسع عشر من منظور غربي، مائير لدك نمودجاً. محمد عبد الهادي الحكيم (مخطوط): ١٥-١٦.

(٢) دليل الزائرين. عبد العلي خان (أديب الملك). من كتاب: العراق في مشاهدات ناصر الدي شاه: ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي: ٦٢.

ولذلك لجأوا إلى إقامة مساجد صغيرة في منازلهم، يصلي فيها الثلاثة أو الأربعة أشخاص، وقد كان العثمانيون عندما يرون أحداً يسجد على التربة، يسحقون رأسه بأقدامهم، حتى يبقى أثر التربة على جبهته^(١).

لقد بلغت مساجد مدينة النجف الأشرف وجوامعها في الربع الأخير من القرن الثالث عشر (٤٠٠) أربعمئة مسجد^(٢)، ثم تناقصت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر الهجري، فبلغت نحواً من (١٠٠) مائة مسجد كبير وصغير، منها (٧٨) ثمانية وسبعون مسجداً كبيراً في المحلات القديمة من المدينة المقدسة، حيث شُيِّد في محلة العمارة (٢٥) خمسة وعشرون مسجداً، وفي محلة الحويش (٢١) واحد وعشرون مسجداً، وفي محلة البراق (١٤) أربعة عشر مسجداً، وفي محلة المشراق (١٨) ثمانية عشر مسجداً، وفي محلة الجديدة (٨) ثمانية مساجد^(٣).

وفي العقد الأخير من القرن نفسه، وفي سنة (١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) بالتحديد، بلغ عدد المساجد في النجف الأشرف (١٠٦) مائة وستة مساجد، بين صغير وكبير، منها (٢٦) ستة وعشرون مسجداً كبيراً، و(٨٠) ثمانون مسجداً صغيراً.

أما في سنة (١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م) فقد بلغ مجموع جوامع ومساجد وحسينيات النجف الأشرف (٢٧٢) مائتين واثنين وسبعين جامعاً ومسجداً وحسينية^(٤).

(١) وفق ما نقله عبد العلي خان (أديب الملك) عن سماحة المرجع الشيخ مهدي كاشف الغطاء. المصدر السابق: ٦١ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق.

(٤) كتاب مديرية الوقف الشيعي في محافظة النجف الأشرف. المرقم ٣ / ١ / ٤ - ٤١٨٧ في ١٨ / ٧ / ٢٠١٠ م.

وفي بداية سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) بلغت جوامع ومساجد وحسينيات قضاء النجف الأشرف (٣٤٧) ثلاثمائة وسبعة وأربعون جامعاً ومسجداً وحسينية^(١).

ولعل من أقدم هذه الجوامع والمساجد التي اتخذت مراكز للعلم والبحث والمحاضرة جامع (عمران بن شاهين) الذي شيد في أواسط القرن الرابع الهجري، ولا زال مكاناً للبحث والتدريس، وقد كنت أشاهد فيه مراراً المرجع الأعلى في وقته السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) يلقي فيه أبحاثه العليا (البحث الخارج) على طلبته.

ومن المساجد المهمة أيضاً مسجد (الخضراء) الملاصق للصحن العلوي الشريف، وهو من المساجد القديمة البعيدة العهد، وقد كنت أشاهد مراراً المرجع الأعلى في حينه السيد أبا القاسم الموسوي الخوئي (ت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) يلقي أبحاثه العليا (البحث الخارج) فيه، ثم استمر من بعده على إلقاء محاضراته العليا (البحث الخارج) فيه المرجع الأعلى اليوم السيد علي الحسيني السيستاني، حتى أغلقت سلطات العهد الدكتاتوري الصدامي الظالمة بحجة التعمير، قطع سماحته مجبراً تدريسه فيه.

ومن الجوامع الشهيرة بالبحث والمناظرة كذلك جامع (الشيخ الطوسي)، وكان داراً لشيخ الطائفة الطوسي عندما هاجر إلى النجف عام (١٠٥٦هـ / ١٠٥٦م) ومنتدى للعلماء والدارسين في زمانه.

وقد كان المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني الملقب بـ(الآخوند) يلقي

(١) كتاب مديرية الوقف الشيعي في محافظة النجف الأشرف. المرقم ٤٧٩ في ٢٤ / ١ / ٢٠١٦.

بحوثه العليا على سطحه لسعته، ومنها أيضاً جامع (الشيخ الأنصاري) الذي أسس سنة (١٢٨١هـ / ١٨٦٤م)، وكنت أشاهد فيه قائد الثورة الإيرانية المرجع السيد روح الله الموسوي الخميني يلقي أبحاثه العليا (البحث الخارج)، وخطبه التغييرية للنظام الفارسي الملكي البائد فيه، وكذلك مسجد (الطريحي) الذي أسسه المرجع الشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م) وعمّره لاحقاً المرجع الطريحي، ومسجد (الرأس)، ويقع غرب الصحن العلوي الشريف، ويتصل من الداخل بتكية البكداشية، وقد أدخل في الحضرة العلوية المقدسة، كما تقدم في الكتاب الأول من هذا البحث.

ويعدُّ (مسجد الهندي) الذي أسس أوائل القرن الثالث عشر الهجري من أشهر جوامع الدرس والتدريس في النجف الأشرف اليوم، وقبله، كما تقدم، ومن أكثرها ازدهاراً بالحلقات البحثية والدراسة والتدريس، وقد تشرفت بالدراسة والمباحثة بين جنباته وقتاً ما من دراستي الحوزوية.

ويحدثنا المؤرخون أن الحاج خان محمد أحد صلحاء الهند في أوائل القرن الثالث عشر الهجري هو الذي شيد هذا الصرح العبادي والعلمي الكبير.

ورغم كثرة المساجد في النجف الأشرف، فقد قصرت عن استيعاب الدروس والمباحثات العلمية والمناقشات والبحوث والمذكرات في الأزمنة الطبيعية المعتادة الخالية من المضايقة والحصار والتخويف والتسفير من قبل السلطات الغاشمة بقصد تحجيم أعداد الحوزويين قسراً، فقد نقل المجتهد المحقق الشيخ محمد حرز الدين^(١) (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) أن ساحة السيد مهدي ابن السيد صالح الحكيم

(١) معارف الرجال: ٣/ ١٢٦.

(ت ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) كان يحضر في الاجتماع عَصراً للمذاكرة العلمية في مسجد مقام أمير المؤمنين المشهور جنب مقبرة الصفا في النجف، حيث لم يوجد مسجد غير مشغول بالبحث والتدريس حتى الصحن الغروي الأقدس لرواج سوق العلم في ذلك العصر.

ويعد اليوم مسجد (الإمام علي عليه السلام) الذي أنشئ حديثاً ضمن مجمع شهيد المحراب الثقافي المطل على ساحة ثورة العشرين في مدخل مدينة النجف الأشرف، أكبر مسجد من حيث المساحة في النجف الأشرف، حيث يسع لأكثر من (١٢٠٠٠) اثني عشر ألف مصلاً، إضافة إلى كونه تحفة معمارية حيث تم بناؤه بتصميم مميز يبرز روعة الطراز المعماري الإسلامي، ممزوجاً بالأصالة والحدائث، فهو يتكون من خمسة أروقة يقع الأوسط منها تحت قبة المسجد، فيما تقع بقية الأروقة شرق وغرب المسجد بواقع طابقين لكل رواق، وقد زينت جميعها بالكاشي الكربلائي وبالسور القرآنية الكريمة، كما احتوى على مصاعد كهربائية وأجهزة تبريد وتدفئة. وفيما يلي بعض المعلومات الخاصة عنه:

- « تبلغ مساحة القسم الواقع تحت القبة (٢٥٥٠) متراً مربعاً.
- « تبلغ مساحة الرواق الشرقي بطابقيه (٤٠٢٠) متراً مربعاً.
- « تبلغ مساحة الرواق الغربي بطابقيه (٢٤٥٠) متراً مربعاً.
- « تبلغ مساحة الممر الواصل بين الرواقين الشرقي والغربي (٣٣٠) متراً مربعاً.
- « تبلغ مساحة صحن المسجد المكشوف (٣٥٢٨) متراً مربعاً.
- وعليه تكون مساحة المسجد الكلية (١٢٨٧٨) متراً مربعاً.

- « يبلغ ارتفاع قبة المسجد من الخارج (٤٥) متراً
- « يبلغ ارتفاع قبة المسجد من الداخل (٣٦) متراً
- « يبلغ قطر القبة من الداخل (٧٥،٢٠) متراً.
- « يبلغ قطر القبة من الخارج (٩٥،٢١) متراً.
- « تبلغ مساحة القبة من الخارج (٩٩٣) متراً مربعاً.
- « يبلغ ارتفاع منارقي المسجد (٧٢) متراً.

📍 الحسينيات

ومن أماكن الدراسة الحوزوية كذلك الحسينيات، وقد بلغت في سنة (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، (١٥) خمس عشرة حسينية^(١)، غالبيتها حسينيات كبيرة، منها (حسينية الشوشترية)، وفيها مكتبة نفيسة كنت أرجع إليها خلال تحقيقي لرسالة (قاطعة اللجاج في تحقيق حل مسائل الخراج) للشيخ علي الكركي (ت ٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م) تلك الحسينية العامرة التي هدمت أيام النظام البائد أيضاً، وكنت أشاهد فيها المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر يلقي فيها أبحاثه ودروسه العلمية.

ويمكن أن يلحظ المتتبع أن أغلب المساجد والجوامع والحسينيات في مدينة النجف الأشرف حتى كتابة هذا التقرير نهاية عام (٢٠١٦م) وخاصة تلك القريبة من الحضرة العلوية الشريفة عامرة بالدرس والتدريس والبحث والمناظرة،

(١) مدينة النجف الكبرى. دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية (رسالة ماجستير مخطوطة). محسن عبد الصاحب المظفر: ١٧٠.

غير أن مسجد الهندي كان ولا يزال أكثر مكان يرتاده الأساتذة والطلاب للدرس والتدريس والبحث كما تقدم.

📍 المدارس الدينية

وتأتي المدارس الدينية من أماكن الدراسة الحوزوية المهمة أيضاً، وهي كثيرة في عصرنا الحالي، حتى بات عددها يفوق بشكل ملحوظ ما كانت عليه في القرن الذي سبقه.

ونظراً لما يحتله قسم من المدارس الدينية من مكانة، وما قامت به من دور، فقد تعرضت إلى التفجير والهدم من قبل النظام البائد، منها مدرسة (دار الحكمة) التي أسسها المرجع الأعلى في عصره السيد الحكيم، ومدرسة (دار العلم) التي أسسها المرجع الأعلى في عصره السيد الخوئي، وقد فجّر النظام الصدامي البائد المدرسة الأولى بالديناميت وصادر مكتبتها العامرة، وهُدِّ بناء الثانية، وقوِّض ما شيد منها، وصادر كتبها أيضاً بعد الانتفاضة الشعبانية عام (١٤١٢هـ / ١٩٩١م)، وهناك (٦) ست مدارس غيرهما من مدارس منطقة العمارة وغيرها، وهي مدرسة اليزدي الثانية، مدرسة آل الجزائري، المدرسة البادكوبية، مدرسة الخليلي الكبرى، مدرسة البروجردي الصغرى، مدرسة البروجردي الكبرى، قد سوّاهما النظام البائد بالأرض بحجة التطوير العمراني وأمثالها من الحجج الأخرى.

ونظراً لأهمية التعريف بالمدارس الدينية في نظام الدراسة الحوزوية، فسأتي على ذكرها بشيء من التفصيل في الفصل اللاحق.

٩ المساكن الخاصة للأساتذة أو الطلاب

قد يتخذ الأستاذ وطالبه من بيت الأستاذ أو بيت طالبه مكاناً لدرسهما، أو مناقشتها العلمية، وهو أمر شائع إلى حدّ ما، وخاصة في الظروف الأمنية الصعبة. وقد فتحت عينيّ على عمي المرحوم المجتهد المعذب السيد محمد حسين الحكيم، وعلى سيدي الوالد، ثم على ابن عمي الشهيد السعيد السيد محمد رضا السيد محمد حسين الحكيم، وهم يلقون دروسهم في مكتبة بيتنا الملحق بقاعة المجلس الكبير (البراني)، أو يلقونها أحياناً داخل قاعة المجلس الكبير نفسه الواقع في محلة الخويش إحدى المحلات الأربع المكونة لمدينة النجف الأشرف القديمة، وهكذا غيرهم ممن كنت أشاهدهم من أساتذة الحوزة العلمية ومدّرسيها الكثير.

ويعد مسكننا المرجعين كل من سماحة السيد محمد سعيد الحكيم وسماحة الشيخ محمد إسحاق الفياض (دام ظلّهما) حتى تاريخ كتابتي هذه سنة (١٣٤٨هـ / ٢٠١٦م) من أكثر البيوت الخاصة مكاناً لتدريس البحث الخارج، حيث يلقي فيهما المرجعان دروسهما في علمي الفقه والأصول على مستوى البحث الخارج، بحضور العدد الكثير من طلابهما.





الفصل الثاني

المدارس الدينية

يتناول هذا الفصل مباحث ثلاثة هي:

المبحث الأول

المدارس الدينية؛ تاريخها وأنظمتها وعمارتها ووضع الطالب فيها بإيجاز شديد

المبحث الثاني

تشيد المدارس الدينية، الأقدم منها فالأقدم

المبحث الثالث

ضوء على أنموذجين من نماذج المدارس الدينية في العقدين الماضي والحالي من هذا القرن



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منها

المبحث الأول

المدارس الدينية تاريخها، وأنظمتها، وعمارتها، ووضع الطالب فيها، بإيجاز شديد

يشتمل هذا المبحث على مطالب أربعة هي:

المطلب الأول:

تاريخ بناء المدارس الدينية ووضع الطلبة فيها

بنيت المدارس الدينية وشيدت لتكون مكاناً لدراسة الطلاب، وسكناً مجانياً لغير المتزوجين منهم في آن واحد، حيث تتوافر في هذه المدارس أغلب المستلزمات الضرورية لسكن متواضع مكون من غرفة صغيرة تتسع لأثاث الطالب وأمتعته وكتبه الدراسية وأوراقه وملازمه وما إلى ذلك من شؤون حياته المختلفة، وخاصة إذا كان من خارج مدينة النجف الأشرف، تخفيفاً من عبء الدراسة ونفقاتها التي ربما تكون قاسية على الطالب من دون سكن مبدول له.

فمنذ ألف سنة، والنجف مزدحمة بالطلاب، يأتون إليها من مختلف الأصقاع، عربية ك: لبنان، والمملكة العربية السعودية، والكويت، والبحرين، وسوريا، وعمان، ودولة الإمارات العربية المتحدة، وغيرها، ودول غير عربية أيضاً ك: الهند، والتبت، وأفغان، وبلوجستان، وتركستان، وقفقاسية، وإيران، وأفريقيا الشرقية، حتى بلغ عدد الطلبة المهاجرين للدراسة إلى النجف الأشرف

في أزمنة الازدهار حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف طالب^(١). فضلاً عن الطلاب الوافدين إلى النجف الأشرف للدراسة من داخل العراق.

ثم إن لكل مدرسة من مدارس النجف الدينية القديمة منها والحديثة أنظمة خاصة، تعيّن صيغة الوقف؛ لأن جميع هذه المدارس قد شيدت من الموقوفات التي وقفها العلماء، أو المحسنون على طلاب الدين، ولكل مدرسة شروط خاصة، يقبل بموجبها سكنى الطلاب فيها.

فحين يقبل الطالب في المدرسة يعطى غرفة فيها لسكنه، وتكون هذه الغرف في بعض المدارس مفروشة، ومجهزة بالكهرباء، وذات منح نقدية تمنح للطلاب في كل شهر، أو في كل موسم، إضافة إلى موائد تقام على حساب المدرسة في أوقات معينة، ولبعض الطلاب في مختلف المدارس مخصصات يومية، من الخبز يتناولها من الخباز سابقاً، أو راتب شهري يدفعه له المراجع كل طالب على حسب مؤهلاته، وعلى حسب إمكانية المرجع الديني الذي يساعده.

وأغلب سكان هذه المدارس من الغرباء الذين يؤمنون النجف بقصد الدراسة ووصول مرتبة الاجتهاد كما تقدم، وقد يقضون فيها عشرات السنين حتى يبلغوا المرام، ويعودوا إلى بلدانهم مزودين بالإجازات التي يمنحها لهم أساتذتهم من المراجع الكبار.

ولم تخل هذه المدارس من طلاب نجفيين إلى جانب الطلاب الغرباء، ممن لا طاقة له على توفير مثل هذا الجو في بيته، سواء أكان متزوجاً أم غير متزوج،

(١) مؤسسة الدراسة الدينية الشيعية في النجف وكربلاء خلال القرن التاسع عشر من منظور غربي، ماثير لدك نموذجاً. محمد عبد الهادي الحكيم (مخطوط): ١٥-١٦.

وإن كانت غالبيتهم العظمى من غير المتزوجين.

ثم إن معظم المدارس لا تفرق بين الطالب الغريب وغير الغريب، ولكل طالب مفتاح يفتح به باب المدرسة، متى عاد من خارجها، وحين يغلق باب الحرم في المشهد المقدس ليلاً، يكون الطلاب غالباً قد أمّوا مدارسهم، وترى معظم الغرف في هذه المدارس مضاعة إلى وقت متأخر من الليل.

فحياة الدارسين في هذه المدارس واحدة من طلوع الشمس حتى غروبها، فهم بين محتضن للكتاب، وحاضر للدرس، ومهرول إلى مجلس الأستاذ، ومؤد فروض الدين، ومناقش في مجلس البحث، ومجيب على رسائل تحريرية يحررها المدرس أو يطلب الإجابة عن أسئلة وردت من آخرين اختباراً لهؤلاء الطلبة ومعرفة ما عليهم من المستوى^(١).

إن الطالب الغريب الساكن في المدرسة الدينية هو الذي يعد بنفسه طعامه في غرفته عادة، وغالباً يكون هذا الطعام مؤلفاً من الخبز والتمر واللبن سابقاً، وقد روى الراوون روايات كثيرة عن عدد من كبار العلماء النابغين الذين عاشوا في مثل هذه المدارس على الخبز وحده، وكثير منهم من كان يطوي اليوم واليومين دون أن يحصل على قوت يومه، ملتدّاً بالصبر، والفناء فيما هو فيه من التبع.

وهكذا كانت بالإجمال حياة هذه الطبقة من طلاب العلم، وسكان المدارس^(٢).

(١) مقدمة كتاب: الأحلام للشيخ علي الشرقي بقلم موسى الكرباسي: ٨١.

(٢) مدارس النجف القديمة والحديثة. سابق: ٤ وما بعدها.

غير أن العديد من المدارس الدينية، وخاصة الحديثة منها باتت تحتوي على مطابخ وطباخين، يعدون الطعام للطلاب الساكنين فيها، كما أن نوعية الطعام تغيرت إلى حد كبير، فباتت تشبه ما يتناوله النجفيون البسطاء، أو متوسطو الحال في بيوتهم الصغيرة.



المطلب الثاني: عمارة المدارس الدينية



يصف لنا الدكتور فاضل الجمالي تصميم وهندسة هذه المدارس فيقول: إن كل مدرسة من هذه المدارس تتكون على الأغلب من باحة مفتوحة على شكل مربع أو مستطيل، وفي وسطها بركة ماء محاطة بالأشجار، كما تحاط هذه الباحة المربعة بغرف يسكنها طالب أو طالبان، ويكون فيها الدور الأرضي مرتفعاً بما يقرب المتر عن الأرض (...)، وقد زرت بعض غرف الطلاب، ولم تكن فيها أسرة، وكان الطلاب ينامون على فرش يمدونها فوق السجاجيد والحصران.

أما تهويتها فتتم إما عن طريق الشبايك أو عن طريق المداخل (ويقصد بها ما يصطلح عليه في عرف النجفيين بالبادكير، وهو منفذ هوائي يوصل بين الغرفة أو السرداب وسطح المدرسة) وبعضها الآخر لم يكن فيها تهوية إلا من الباب.

وتحتوي بعض هذه الغرف على تدفئة متنقلة، كما أن معظم المدارس تحتوي على سراديب ومخازن، تحت الأرض، يلجأ إليها الطلبة أثناء الصيف القائل، وبعض سراديب النجف تكون أكثر من دور واحد، وكلما نزل الشخص إلى

عمق سرداب أو اثنين أو ثلاثة فإن البرودة تزداد بشكل تدريجي، حتى أنه يحتاج إلى ملابس ثقيلة في السرداب الثالث إذا أراد أن يجتني منها.

لقد وصف لنا الشيخ الخليلي تصميم هذه السرايب فقال: لقد روعي في هندسة المدارس العلمية في النجف طبيعة البلد، فكان لا بدّ من حساب (للسرايب) في أغلب أبنية المدارس، وتقوم هذه السرايب في جهة واحدة من عمارة المدرسة أو جهتين أو الجهات الثلاث أو الجهات الأربع من العمارة، ينزل إليها بواسطة سلالم، وتسمى بـ(السرايب الفوقانية) في مصطلح النجفيين، وفي بعض المدارس الأخر سراديب تقام تحت السرايب الفوقانية، وهي ما تسمى بالسرايب (نيم سن)، والكلمة فارسية معناها (متتصف السن). والسن طبقة من الرمل المتحجر ينحت فيه الناحت سرداباً آخر، وهنالك من السرايب ما هو أعمق من (النيم سن)، ويسمى بسرداب (السن)، ويحفر (للسن) أو (للنيم سن) في وسط المدرسة حفيرة على هيئة متوازي الأضلاع بقطر مترين أو أقل من ذلك، وفي عمق عشرين متراً أو أقل من ذلك، لينفذ هذا الحفر من متوازي الأضلاع إلى وسط السرداب بقصد إيصال النور، وسحب الماء البارد إلى الأعلى كما تحيط بالسرايب من أطراف أعاليها شبايك لنفوذ النور والهواء، فضلاً عن عدد من المنافذ الهوائية المتصلة من أعلى سطح العمارة بالسرايب الفوقانية، وهي التي تسمى بـ(البخاريات)، ثم تبنى هذه السرايب في الغالب بالآجر، وتزخرف، وقد تترك سراديب السن على حالها، وهي منحوتة منطبقة السن التي تشبه الصخور، أو تزين جدرانها بالآجر، وقد تزين الجدران وأرض السرايب بالكاشاني.

وكثيراً ما تفتح في السرايب منافذ تتصل ببئر المدرسة، إذ المفروض أن يكون

في كل بيت وفي كل عمارة بئر ماء تتصل بالبئر المجاورة لها، وهذه تتصل ببئر أخرى وهكذا حتى تتجمع المياه في بئر كبيرة، تستمد مياهها من نهر الفرات، ويتحول السكن في الصيف في وسط البيت أو وسط المدرسة إلى هذه السرايب، وتتم فيها المطالعة، وتناول طعام الغداء والقبلولة، وقد تمسي في بعض ليالي الصيف عند اجتياح العواصف الرملية المدينة، ملاذاً للطلاب، يقضون فيها الليل نياماً^(١).



المطلب الثالث:

أعداد المدارس الدينية في القرنين الماضي والحالي

من أجل معرفة مدى تزايد أعداد المدارس تدريجياً يحسن أن نمر مروراً سريعاً على أعدادها منذ أوائل القرن الماضي.

فقد تم إحصاء عدد المدارس الدينية في النجف الأشرف فبلغت سنة (هـ/ ١٩١٨م) حوالي (٢٠) عشرين مدرسة كلها مدارس مسكونة، وأضاف بأن أكبر مدرسة فيها هي مدرسة الصدر التي شيدت سنة (هـ/ ١٨٢٤م) وتسع لخمسمائة طالب^(٢).

وأحصيت المدارس التي شيدت في النجف الأشرف بعد ذلك في سنة (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) فكانت (٢٥) خمساً وعشرين مدرسة^(٣)، أقلّها لم يعد لها أثر.

(١) المصدر السابق: ١٠ وما بعدها.

(٢) شيعه العراق: ٤٤٠.

(٣) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ١/ ١٤٢.

كما أحصيت مرة أخرى عام (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م) فكانت (٣٢) اثنتين وثلاثين مدرسة، تحتوي على (٩٥٢) غرفة، غير تلك المدارس التي كانت في طور الإنشاء من قبيل مدرسة النجف الدينية التي اشترت أرضها في منطقة حي السعد سنة (١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م)، وقرر لها أن تحتوي على مائتي غرفة^(١) وهي مشيدة حالياً على طراز جميل وعامرة بالأساتذة والطلاب، كما سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وقد ازداد عدد المدارس بعد ذلك، حيث أشارت إحصائية بحثية إلى بلوغها (٣٥) خمساً وثلاثين مدرسة دينية حتى سنة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

كما وصل عدد طلبتها الساكنين فيها إلى (٢٦٣٧) ألفين وستمائة وسبعة وثلاثين طالباً^(٢).

كما أشار بعض الباحثين^(٣) إلى بلوغها نحواً من (٥٣) ثلاث وخمسين مدرسة حوزوية لاحقاً.

أما في الوقت الحاضر فقد تخطت هذا الرقم قليلاً، كما سيأتي.

ولقد كان زاد المرحوم الشيخ علي الشرقي^(٤) (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م) عدد المدارس الدينية في النجف الأشرف في وقته، فأوصلها إلى ما يربو على (٨٠) ثمانين مدرسة دينية، مفصلاً حديثه عنها إلى مدارس كانت سواء درست أم بقيت عامرة بأهلها، ذاكرةً أن أقدمها هي المدرسة المعروفة بـ(مدرسة الصحن)،

(١) ينظر: المصدر السابق: ١/ ١٤٦.

(٢) تنظر: مدينة النجف الكبرى. دراسة في نشأتها وعلاقاتها الإقليمية. سابق: ١٧٧.

(٣) ينظر: موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية: ٦ / ١٩١.

(٤) ينظر: الأحلام. القسم الرابع: ١٣٧.

أو المدرسة المرتضوية، مشيراً إلى أن بعض المدارس القديمة درست، ونهضت مكانها عمارة أخرى، مثل دار تقع في محلة المشراق تعرف بـ(دار الملا شاكِر)، ودار في محلة العمارة تعرف بـ(دار الأغاخانية)، ومثل عمارة لحوانيت ومخازن تقع قريباً من باب القبلة، وكثير غيرها.



المطلب الرابع:

أجمل المدارس الدينية عمارة في القرنين الماضي والحالي

لعل نظرة إجمالية على أجمل المدارس الدينية تصميمياً وبناءً في القرنين الماضي والحالي، تبين لي أن أجملها من الطراز القديم: (مدرسة السيد اليزدي الكبرى) و(مدرسة الخليلي الكبرى)

أما (مدرسة اليزدي الكبرى) وقد بنيت في محلة (الحويش) على مساحة قدرت بـ(٧٥٠) بسبعمائة وخمسين متراً، وقد قيل فيها بأنها لا نظير لها في الفخامة، والبناء، والسعة، وكثرة الغرف^(١) وأنها بنيت بناءً بديعاً، وفي هندسة رائعة^(٢).

ونظراً لجمال عمارتها، وفن زخرفتها الرائع، وطريقة بناء سراديبها المحكمة الباردة الأنيقة، باتت مقصداً للسواح، والزوار، والناظرين، إلا أنها اليوم مغلقة، لا يسمح للزوار بزيارتها، إلا لأصحاب الخطوة من كبار القوم، وبطلب خاص.

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ١/ ١٣٩.

(٢) مدارس النجف القديمة والحديثة. سابق: ١٥٣، ولمزيد من التفاصيل ينظر: عمارة المدارس الدينية في النجف الأشرف، مدرسة اليزدي أنموذجاً. مؤمل سليم مرزة. مجلة تراث النجف، العدد الأول لسنة

وأما و(مدرسة الخليلي الكبرى) التي أسسها المرجع الميرزا حسين الخليلي في محلة العمارة في النجف عام (١٣١٦هـ / ١٨٩٩م)، وتشتمل على (٤٦) ست وأربعين غرفة من طابقين، مقامة على مساحة بلغت (٦٠٠) ستمائة متر مربع، متخذة شكل بناء مربع، وقد كسيت جميع جدرانها بالقاشاني المنقوش بريشة فنان مبدع، محولاً إياها إلى لوحة هندسية فنية رائعة، حيث هدمها نظام صدام البائد، مع ما هدم من المدارس، والجوامع، والحسينيات، والمكتبات، ودور العبادة، ومنازل العلماء الكبار، ومقابرهم، ومنازل المجتهدين، ومساكن المجاورين، الواقعة ما بين الصحن الشريف، ومرقد العبد الصالح (صافي الصفا)، مقرراً بدلها - في محاولة لطمس آثار المدينة التاريخية، ومنازل العلماء الأعلام، ومحال تدريسهم، ومكتباتهم، ومدارسهم - فنادق سياحية، ومرآب للسيارات، ولكن عمر النظام الصدامي قصر عن إتمام مشروعه التخريبي، فكان أن هدمت المحلة بآثارها التاريخية، ومدارسها، ومكتباتها، ولم تنجز الفنادق.

ولم يكتف النظام البائد في محاربته للحوزة العلمية في النجف الأشرف بذلك بل عمد إلى تفجير مدرسة (دار الحكمة) بالديناميت تلك المدرسة التي شيدها المرجع الأعلى في زمانه الإمام السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، في سنة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م)، وحرص على أن تكون مستوعبة لحاجات الطلاب، فجاءت بطوابق ثلاثة، ضمت (١٦٩) مائة وتسع وستين غرفة، عدا القاعات، في هندسة فريدة، حيث تربعت فوق قطعة أرض مساحتها (٧١٤) متراً مربعاً، فبعد أن اقتحمت قوات النظام البائد مدينة أمير المؤمنين عليه السلام، إثر قصفها بالمدافع الثقيلة، والصواريخ، ثم اقتحمتها بالآليات الثقيلة، والدبابات، والمجنزرات، ما أدى إلى القضاء على الانتفاضة الشعبانية الجماهيرية عام (١٤١٢هـ / ١٩٩١م)،

حتى إذا سيطرت القوات الهمجية الطائفية على المدينة المقدسة استباحتها، وأطلقت النار على قبة الإمام علي عليه السلام، وأعدمت الكثير الكثير من خيرة أبنائها، واعتقلت أضعافهم من شيوخها وشبابها المؤمنين، وفي مقدمتهم المرجع الأعلى للطائفة السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وكبار رجالات حوزة النجف الأشرف العلمية، ثم نهبت مكتبة هذه المدرسة الدينية التي كانت تضم عشرات الآلاف من الكتب القيمة، بعد أن تم تفجير هذا الصرح العلمي والمعماري الرائع بأصابع الديناميت، فتحولت تلك البناية الفريدة في هندستها وجمالها إلى يباب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أما المدارس الدينية القائمة حالياً، والحديثة الطراز، فلا ريب أن أجملها، وأوسعها، وأضخمها، وأحدثها عمارة، وتشيداً في مدينة النجف الأشرف، وربما في غيرها من الحواضر العلمية الأخرى هي (المدرسة العلوية للعلوم الدينية) التي أنشأها المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني في النجف الأشرف سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) والتي تعنى مضافاً إلى توفير سكن مناسب لطالب الحوزة بالجانب العلمي، وذلك من خلال برنامج تعليمي وثقافي، وكذا متابعة تفصيلية لمختلف الجوانب التي تسهم في إعداد طلبة العلوم الدينية بالمستوى اللائق بحوزة النجف الدينية العريقة، وكل ذلك بإشراف ومتابعة وتمويل من قبل سماحته. تقع المدرسة في مقدمة المجمع العلوي الذي يحتوي على (٧٠٠) بيت لسكن طلبة العلوم الدينية المتزوجين بين مأهول وقيد الإنجاز.

يقع هذا المجمع الضخم والبهي في تقاطع حي الأنصار من شارع أبي صخير، وتقع (المدرسة العلوية) في مقدمته، وقد شيدت على مساحة تبلغ (١٢٥٠٠) متر مربع، وتتألف من ثلاثة مباني رئيسة، تتضمن الوسطى منها (٣) ثلاث أجنحة،

في كل جناح توجد باحة كبيرة، تعلوها قبة جميلة، وقد خصص هذا المبنى الوسطي الذي يتكون من طابق أرضي و(٣) ثلاثة طوابق فوقه قاعات للدروس والغرف الإدارية، وعدد القاعات الكبرى فيها (٥٨) ثمان وخمسين قاعة، والتي تزينت باسم العلماء كالشيخ الطوسي، والسيد المرتضى، والشيخ المفيد، وغيرهم (قدس الله أسرارهم)، وكذا رجال الحديث كصفوان، وابن أبي عمير، وجميل بن دراج، وغيرهم (رضوان الله عليهم)، في حين أن عدد الغرف المتبقية للدروس الصغيرة والغرف الإدارية وبقية المستلزمات الأخرى (٢٣٣) مئتان وثلاث وثلاثون غرفة. وأما المبنى المتطرفان، اللذان يتكونان من أرضي وطابقين، فقد خصصا غرفاً لسكن الطلبة، والتي يبلغ عددها (٤٦٤) أربعمئة وأربع وستين غرفة مفردة، ومزدوجة تستوعب ما يقرب من (٥٠٠) خمسمئة طالب، مضافاً إلى مطابخ (٤) أربعة، و(٤) أربع قاعات كبيرة لجلوس الطلبة لتناول الطعام فيها، وغرف أخرى لبقية المستلزمات، منها مكان لغسيل الملابس، المزود بآلات الغسيل الحديثة، وكذا المرافق الصحية.

تحيط بالمدرسة من جوانبها حدائق جميلة، وكذا تتوسطها بعض الحدائق الأخرى، كما خصصت مساحات في مقدمتها لوقوف السيارات الخاصة بالأساتذة أو الموظفين العاملين فيها وقد افتتحت هذه المدرسة في (٢٠ جمادى الثانية عام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، وقد شهدت إقبالاً ممن يرومون الالتحاق بالحوزة العلمية، وكذا من الطلبة الملتحقين بها، وقد خضع الجميع لعدة اختبارات، فقبل منهم في المدرسة فعلاً (٨٤) أربعة وثمانون طالباً من جنسيات مختلفة، ومن الطلبة العراقيين (٦٤) أربعة وستون طالباً، يتوزعون على عدة محافظات هي: البصرة، والناصرية، والمثنى، والديوانية، والنجف، وكربلاء، وبغداد، وميسان.

وأما من غير العراقيين فـ(٢٠) عشرون طالباً، يتوزعون على دول متعددة هي: أفغانستان، والهند، وإيران، والسعودية، والبحرين، والسويد. وقد وفرت إدارة المدرسة للطلبة الساكنين فيها والأساتذة وسائل نقل من قرب مرقد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدرسة، وبالعكس، من أجل تسهيل نقل الطالب إلى المرقد المطهر، وكذا تسهيل تنقل الأساتذة بين مدرسة (نجم الأئمة) وهذه المدرسة، لاشتراك الأساتذة ودروس بعض الطلبة في المدرستين. يقوم نظام المدرسة على أن يكون لكل طالب غرفة متكاملة مستقلة، يتوافر فيها نظام تبريد وتدفئة، مضافاً إلى خدمات الانترنت المتوافرة لكل طالب، وكذا ثلاث وجبات طعام في اليوم.

كما تلتزم الإدارة بتوفير راتب شهري للطلاب القاطن فيها، مضافاً إلى الرواتب التي يستلمها من المراجع (أدام الله ظلهم)، وكذا تقدم رواتب للأساتذة الذين يدرّسون فيها.

هذا وللمدرسة نظام تعليمي تحت إشراف مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني وهو يتضمن منهجاً دراسياً مستمداً من المنهج الدراسي الحوزوي العام، مع بعض الإضافات، فالدروس في مرحلة المقدمات هي: (قطر الندى) في النحو، و(المنطق) للشيخ المظفر في علم المنطق، و(المسائل المنتخبة) في الفقه، و(الألفية) لابن مالك شرح ابن النازم في النحو، و(الحاشية) أو (حاشية ملا عبد الله) في المنطق، و(شرائع الإسلام) في الفقه.

وفي مرحلة (السطوح الدنيا) كتاب (الحلقة الأولى والحلقة الثانية) في أصول الفقه، و(أصول الفقه) للشيخ المظفر في أصول الفقه كذلك، و(اللمعة الدمشقية)

في الفقه، و(بداية الحكمة) في علم الكلام، و(مختصر المعاني) في علم البلاغة، كل هذه الدروس تكون في المدرسة حصراً.

وبعد ذلك تعدّ الإدارة قائمة بأسماء أساتذة (الكفاية) في أصول الفقه، و(الرسائل) في أصول الفقه يختار الطالب أحدها ليحضر عند أستاذ المادة، أما في الفقه فيدرس الطالب كتاب (المكاسب)، وذلك من خلال تنسيق مسبق مع هؤلاء الأساتذة لتوفير التزامات نظام المدرسة.

ويضاف إلى ذلك دروس مسائية أسبوعية، وهي (تفسير) القرآن و(سيرة النبي (ص) والأئمة (ع) و(أحكام التلاوة) و(العروض) و(الصرف). إضافة إلى دروس تطبيقية لتحسين الخط، وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. وكذا محاضرات فكرية أو تربوية أو أخلاقية بين الحين والآخر، يلقيها أساتذة في الحوزات العلمية.

وتتكفل إدارة المدرسة مضافاً إلى متابعة الحضور والغياب متابعة طريقة دراستهم وتقاريراتهم ومباحثاتهم، فهي تلزم الطالب بالمباحثة في المواد الدراسية، وكذا كتابة التقارير بالاتفاق مع الطالب عند دخوله إلى المدرسة، وانتفاعه منها. وذلك كله في ضمن سجلات تسلم للطالب عند قبوله. وكذا تطالب المدرسة الأساتذة بتقييم شهري للطلبة الذين يحضرون حلقاتهم. ومن ثم فهناك عدة أساتذة خصصتهم الإدارة لمتابعة الطالب الجيد وغير الجيد لأجل توعية الطالب وتحفيزه باتجاه تحسين مستواه.

كما تقوم إدارة المدرسة بمتابعة الطلبة في مختلف شؤونهم، ووضعت نظاماً جديداً في النمط الحوزوي، وهو نظام النقاط الملونة الذي تستخدمه لتنبيه الطالب

على ما يصدر منه كي يلتفت إليه، فوضعت (النقطة الحمراء) على انتهاك التعليقات الصادرة من الإدارة، و(الصفراء) على بعض التجاوزات الأخرى، في حين أن (الخضراء) على التصرفات الجيدة، و(الزرقاء) على التصرفات المميزة، ويسلم هذا التقرير شهرياً إلى الطالب، كما أن إدارة المدرسة تتأمل في المستقبل تطبيق بعض الأنظمة الحديثة عند توافرها.

يذكر أن (المدرسة العلوية للعلوم الدينية) هي إحدى منشآت (المجمع العلوي) الضخم، الواقع في تقاطع حي الأنصار، في شارع أبي صخير، الذي تبلغ مساحته (١٧٥ دونم)، ويضم (المجمع العلوي) عدا (المدرسة العلوية) ما يلي:

١. مجموعة من البيوت مقدارها (٦٩٨) بيتاً بمساحات مختلفة فبعضها بمساحة (٢٠٠ متر مربع) وبعضها بمساحة (١٠٠ متر مربع)، وبعضها بطابق واحد ونصف وبعضها بطابقين.

٢. مسجد محمد رسول الله ﷺ الواقع في وسط المجمع، وتبلغ مساحته (١٨٠٠ متر مربع).

٣. محلات تجارية تقع في وسط المجمع أيضاً عددها (١١ محلاً) مساحة الواحد منها (١٠٠ متر مربع)، مضافاً إلى سوق كبير بمساحة (٤٧٥ متر مربع)، في مقدمتها أماكن لوقوف السيارات على طول واجهة المحلات.

٤. مدرسة للدراسة الأكاديمية تقع في وسط المجمع تبلغ مساحتها (٣٢٠٠ متر مربع) بطابقين، ومجموع الصفوف الدراسية فيها (١٢ صفاً) مع قاعتين كبيرتين و(٥) مختبرات، و(٨) غرف للإدارة.

٥. القاعة العلوية الواقعة في الواجهة الجنوبية من المجمع العلوي وتبلغ مساحتها

(٦٣٠٠ متر مربع)، وهي تحتوي على قاعة كبيرة بتصميم مميز تستوعب أكثر من (٢٠٠٠) شخص، ويلحق بها قاعتان للنساء تستوعب ما يقارب (١٠٠٠) شخص، مضافاً إلى قاعتين أخريين تصلح كمعرض أو أي غرض آخر. كما هناك قاعة مدرجة للمحاضرات تستوعب (٣٢٥) شخصاً، فيها غرفة خاصة للترجمة مزودة بوسائل حديثة. مع توفر صاليتين للطعام تستوعب كلاهما (٢٢٥) شخصاً، ومطبخ واسع ذي أجهزة حديثة. وكذا غرفة تستوعب الأطفال الصغار. وتتوفر أيضاً كافة الخدمات الصحية المطلوبة والتي تزيد على (١٠٥) حمام وتواليت.

ويلحق بالقاعة العلوية مكان للاستضافة يستوعب (١٢٠) شخصاً، وكافتريا ومصلًى صغير.



المبحث الثاني

تشيد المدارس الدينية، الأقدم منها فالأقدم، في حوزة النجف الأشرف

تم في حوزة النجف الأشرف تشيد العشرات من المدارس الدينية لطلبة الحوزة العلمية سابقاً ولاحقاً، ومن الملاحظ أن مدارس حوزوية نسائية قد استحدثت في هذا العصر، وهي بادرة مباركة ما استدعاني لتخصيص مساحة للحديث عنها أكثر من غيرها للأهمية. وهذه المدارس بحسب قدم إنشائها هي:

٩ المدرسة المرتضوية

تعد المدرسة (المرتضوية) في صحن الإمام علي عليه السلام أقدم مدرسة علمية دينية في النجف الأشرف، ويظن أن أقدم إجازة علمية حفظتها الكتب^(١) مؤرخة في سنة (١٤٠٠هـ / ١٠١٠م) صدرت منها قبل أن يحط الشيخ الطوسي رحاله فيها سنة (١٤٤٨هـ / ١٠٥٧م).

ويظن كثيراً أن الرحالة ابن بطوطة قد زار (المدرسة المرتضوية)، وكتب عنها، حينما زار النجف الأشرف سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٧م)، وهي المقصودة بقوله: حول مرقد الإمام علي عليه السلام المدارس والزوايا والخوانق معمورة أحسن عمارة، وحيطانها مزدانة بالقاشاني (...). ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة^(٢).

(١) ينظر: الرجال. محمد بن علي النجاشي: ٥٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١٢٧.

كما ورد ذكرها أيضاً بعد ذلك في نهاية مخطوطة لمحمد بن علي الجرجاني ختم كاتبها كتابتها سنة (٧٢٠هـ / ١٣٢٠م)، وفرغ من نسخها ناسخها حيدر بن علي بن حيدر الأملي سنة (٧٦٢هـ / ١٣٦٠م) في المدرسة المرتضوية في النجف الأشرف.

📍 مدرسة المقداد السيوري

الفقيه والأستاذ المقدم في حوزة النجف الأشرف يومها، وصاحب كتاب (كنز العرفان في فقه القرآن) (ت ٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) كما تقدم في الكتاب الثاني من هذا البحث، حيث أنشئت مدرسته في أوائل القرن التاسع الهجري، وانتهى من بنائها سنة وفاته المتقدم ذكرها^(١).

وقد جدد بناءها سليم خان الشيرازي عام (١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)، فسميت لاحقاً باسم (المدرسة السليمية) نسبة لاسم مجددتها.

يقول الشيخ محمد الخليلي^(٢) (ت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) ما نصه: وقد دخلناها فوجدناها مدرسة صغيرة لا تتجاوز مساحتها (١٠٠م^٢)، وشاهدنا ستة حوانيت، قد اقتطعت منها ليصرف ريعها على كهرباء وماء وأجور خادم وإصلاحات أخرى، والمنقول أنه كان لها أوقاف ما لبثت أن اغتصبت، وقد كتب على بابها الخارجي بالقاشاني: أنها عمرت بهمة السيد أبي القاسم في سنة (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) وهذا آخر تعمير لها.

أما غرفها فعشر، وأما عدد طلابها فاثنا عشر، وكلهم من المهاجرين الواردين من الخارج.

(١) مدارس النجف القديمة والحديثة. الشيخ محمد الخليلي. موسوعة العتبات المقدسة/ ٧. قسم النجف: ٢/ ١٢٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ولا تزال آثارها قائمة لليوم، ولكن موقعها التجاري المهم -كونها ضمن المنطقة الفاصلة بين سوق المشراق وشارع الإمام زين العابدين- حوّل مكان بابها وبعض غرفها إلى محال تجارية مع الأسف الشديد.

وقد ورد ذكر هذه المدرسة في ختام نسخة من كتاب (مصباح المتعبد) لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) في حوزة المغفور له الميرزا حسين النائيني، قد فرغ ناسخها من نسخها في مدرسة المقداد السيوري، وكتب في نهايتها ما نصه: كان الفراغ من نسخه يوم السبت (١٢ جمادى الأولى سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) على يد الفقير إلى رحمة ربه وشفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن السيوري الأسدي بالمشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام وذلك في مدرسة المقداد السيوري^(١).

📍 مدرسة الملا عبد الله اليزدي

(ت ٩٨١هـ / ١٥٧٣م)، يقول المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين في كتابه القيم (معارف الرجال) إن السلطان عباس الصفوي (ت ١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م) أنشأها للملا اليزدي في الزاوية الشرقية من الصحن العلوي الشريف، وكان لها بعد قانون التجنيد الإجباري الذي سنّه العثمانيون شأن كبير، إثر تعيين العثمانيين مدرساً لهم فيها، فكان لمن امتحن فيها ونجح من الخوزيين إعفاء من الجندية، والإعفاء مدعاة لانتساب الخوزيين إليها تجنّباً للجندية، فعمرت لذلك بالمتحنيين، ثم اندرست آثارها بحدود سنة (١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م)، وقيل بعد ذلك بقليل.

(١) ماضي النجف وحاضرها. سابق ١ / ٨٥.

٩ مدرسة الصدر الأعظم

التي أنشأها الحاج محمد حسين الأصبهاني (ت ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م) وزير السلطان فتح علي شاه القاجاري بعد إكمال سور النجف السادس وهو الأخير، وتقع في نهاية السوق الكبير وذلك في سنة (١٢٢٦هـ / ١٨١١م)، وهي مدرسة كبيرة تربو مساحتها على (٩٠٠) تسعمائة متر مربع، وتزيد غرفها على (٣٠) ثلاثين غرفة بطابق واحد، وقد أوقف عليها مؤسسها موقوفات تفي بمتطلبات إسكان وإطعام طلابها. ونتيجة لكبر مساحتها فقد كانت تقام فيها الاحتفالات الكبيرة ومراسم التأبين لكبار الشخصيات من أمثال تأبين المرحوم الأديب الكبير الشيخ جواد الشبيبي.

وقد حدثني سيدي الوالد بأن أول اشتراك أدبي له في تأبين كبير، وهو يومئذ شاب في مقتبل العمر، كان في هذا التأبين، وفي سنة (١٤١٠هـ / ١٩٨٩م) اقتطعت بلدية النجف قسماً منها وبنته حوانيت وألحقها بوزارة الأوقاف في بغداد، وقد سميت بـ (مدرسة الصدر الأعظم) نسبة إلى موقع (الصدارة) الذي كان يشغله مؤسسها للسلطان فتح علي شاه.

وقد حوّل النظام الطائفي العنصري البائد اسمها إلى اسم آخر بحجة تجديدها فأسماها مدرسة الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

٩ مدرسة المعتمد

التي أنشئت في محلة العمارة قرب قبور المراجع من آل كاشف الغطاء بحدود سنة (١٢٢٨هـ / ١٨١٣م)، والمعروف أن المرجع الشيخ موسى آل كاشف الغطاء قد عمرها، ثم جدد بناءها المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.

وهي اليوم ذات باب خشبي عتيق يمرق منه الداخل إلى ساحة للمدرسة في وسطها شجرة سدرية كبيرة مهمة.

وتحتوي في طابقها على (٢٦) ست وعشرين غرفة، وقد اتخذ المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من أحد جوانبها ديواناً يجلس فيه للناس صباحاً ومساءً، ومن هذا الديوان صدرت فتاوى الشيخ الشرعية والوطنية، وكتب كتبه العلمية والأدبية.

📍 المدرسة المهدية

التي شيدها المرجع الشيخ مهدي آل كاشف الغطاء في محلة المشراق سنة (١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م) بمساحة قدرها (٩٠٠) تسعمائة متر مربع، وقيل (٧٠٠) سبعمائة متر مربع على قولين، وبطابقين، مشتملين على (٢٢) اثنتين وعشرين غرفة دراسية، سكنها نحو من (٣٠) ثلاثين طالباً، وقد آلت إلى السقوط فجددها الشيخ محمد علي آل كاشف الغطاء سنة (١٣٦٥هـ / ١٩٤٥م) بدعم سخي من المرجع الديني السيد أبي الحسن الأصفهاني، ثم أقام صرحها الحالي بطابقين الشيخ علي آل كاشف الغطاء. بـ (٤٢) اثنتين وأربعين غرفة، وقاعات دراسية، ومكتبة عامرة بصنوف الكتب المختلفة.

📍 مدرسة القوام

التي بنيت في محلة المشراق سنة (١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م)، بمساحة قدرها (٧٠٠) سبعمائة متر مربع تقريباً، وتبلغ مساحتها اليوم حوالي (٩٠٠) تسعمائة متر مربع، بطابقين، مشتملة على (٦٤) أربع وستين غرفة.

📍 مدرسة الإيرواني

التي أقيمت في محلة العمارة سنة (١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م)، وقيل (١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م) على مساحة قدرها حوالي (٣٠٠م^٢)، تشتمل بطاقيها على (١٩) تسع عشرة غرفة مخصصة للطلبة الترك، حيث سكنها (٢٤) أربع وعشرون طالباً منهم، وخاصة من أهل إروان، ودفن فيها الشيخ المحقق الفاضل الإيرواني.

📍 مدرسة المجدد الشيرازي

التي أقيمت جنب باب الطوسي أحد أبواب الصحن الشريف سنة (١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)، وقيل سنة (١٢٩٨هـ / ١٨٨٠م) على مساحة قدرها (١٢٠) مائة وعشرين متراً، وقيل (٢٠٠) مائتي متر مربع، وقد شيدت أول الأمر بطابقين خصص الطابق الأرضي منها للدراسة، والثاني منها بواقع (١٤) أربع عشرة غرفة لسكنى الطلبة.

وقد توسط ساحتها حوض للوضوء، ثم تم اقتطاع جزء منها خلال فتح شارع يطوق الحرم العلوي الشريف في القرن الماضي.

وقد عمّرت الآن لتضم مدرسين أرضي وعلوي، بعد إزالة غرف سكنى الطلبة لتقادم عهدها، ومن الجدير بالذكر أن سرداب المدرسة ضم مرقد مؤسسها المجدد الشيرازي.

📍 مدرسة الخليلي الكبرى

محلة العمارة التي شيدها المرجع الشيخ ميرزا حسين الخليلي سنة (١٣١٦هـ / ١٨٩٨م) على مساحة قدرت بـ (٦٠٠) ستمائة متر مربع، وبطابقين تشتملان على (٥٠) خمسين غرفة، تتوسطها ساحة كبيرة، فيها سرداب يدور حول جهاتها الأربع.

ويشير صك وقفيتها المختوم بأختام علماء عصره من أمثال الشيخ محمد كاظم الخراساني، والسيد محمد كاظم اليزدي، والشيخ محمد طه نجف، وغيرهم من مشاهير العلماء إلى أنه تم وقفها بتاريخ (١٧ ذي القعدة سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م). وقد شهدت هذه المدرسة نشاطاً كبيراً خلال حقبة تأسيس الحكم الدستوري في إيران، حيث ضمت قاعاتها اجتماعات المراجع الذين قادوا الحركة الدستورية، وألهبوا أوارها، وهم كل من: المرجع الخراساني، والمرجع المازندراني، والمرجع الخليلي. كما شهدت قاعاتها احتفالات للعلماء وغيرهم بمناسبة خلع الشاه محمد علي القاجاري شاه إيران، وتنصيب الشاه أحمد ميرزا مكانه.

📍 مدرسة البخاري أو البخارائي

التي أقيمت في محلة الحويش، وقام بتعميرها محمد يوسف البخاري، وهو من أصحاب الوزير خان ميرزا سنة (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) على مساحة قدرت بـ (٣٠٠) ثلاثمائة متر مربع، بواقع طابقين ضمّا (١٩) تسع عشرة غرفة، وقد عمرت من جهاتها الثلاث، أما الجهة الرابعة فهي مخصصة لقاعة درس واجتماع.

📍 مدرسة الشريبياني

التي أقيمت بمحلة الحويش سنة (١٣٢٠هـ / ١٩٠٣م) على مساحة قدرت بـ (٣٠٠) ثلاثمائة متر مربع بواقع (١٤) أربع عشرة غرفة وسردابين.

📍 مدرسة الآخوند الخراساني الكبرى

التي أقيمت في محلة الحويش سنة (١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) على مساحة قدرت بـ (٧٣٠) سبعمائة وثلاثين متر مربع بطابقين احتويا على (٤٨) ثمان وأربعين غرفة لسكنى الطلبة، ومكتبة عامرة، بعض كتبها مخطوط.

ويقتسم المدرسة بعد تجديد بنائها قسمان، ضمّا مدرسة كبيرة، ومعها ملحقتها بواقع (١٢٠) مائة وعشرين غرفة لسكنى الطلبة، ومكتبة كبيرة، ومدرسا لإلقاء المحاضرات تلقي في الدروس وتجري فيه المباحثات، كما تتوسط المدرسة الكبيرة ساحة كبيرة، وسرداب واسع تحت جهاتها الأربع، شيد على سردابين عميقين، يسميهما النجفيون بـ(سردابي سن).

📍 مدرسة الخليلي الصغرى

التي أقيمت بمحلة العمارة سنة (١٣٢١-١٣٢٢هـ / ١٩٠٣-١٩٠٤م) على مساحة قدرت بـ (٢٣٠) مائتين وثلاثين متر مربع، مشتملة على (١٨) ثمان عشرة غرفة، بطابقين عدا الجانب الغربي الذي خلا من الغرف.

📍 مدرسة القزويني

التي أقيمت في محلة الحويش في سنة (١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م) بطابقين على مساحة قدرت بـ (٣٠٠) متر مربع، ضمت (٣٣) غرفة، ومكتبة، وقد جدد بناؤها سنة (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

📍 مدرسة البادكوبي

التي أقيمت في محلة المشراق على مساحة أرض قدرت بحوالي (٨٠٠) ثمانمائة متر مربع سنة (١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م) بطابق واحد، ضمّ (٢٨) ثمان وعشرين غرفة، وسكنها طلاب قدر عددهم بأكثر من (٢٠) عشرين طالباً من بخارى، وبادكوبة، وقفقاسية. وقد اقتطع قسم منها ليضم إلى شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، فبقي من غرفها (١٦) ست عشرة غرفة فقط، ومن الجدير بالذكر أن بادكوبة هي عاصمة دولة آذربايجان.

٩ مدرسة الأخوند الوسطى

التي أقيمت بمحلة البراق سنة (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) على مساحة قدرت بـ (٤٢٠) أربعمئة وعشرين، وقيل (٤٣٠) أربعمئة وثلاثين متر مربع، بطابقين، ضمّا (٣٦) ستاً وثلاثين غرفة، ومكتبة كبيرة، وسرداب، يحتوي على (٣) ثلاثة حمامات.

٩ مدرسة اليزدي الكبرى

التي أقيمت بمحلة الحويش سنة (١٣٢٧هـ / ١٩١٩م) على مساحة قدرت بـ (٧٥٠) بسبعمئة وخمسين متر مربع، بطابقين، بواقع (٨٠) ثمانين غرفة، أمام كل غرفة، إيوان صغير، بهندسة جميلة، باتت محل إعجاب السواح والزوار، وتحتوي المدرسة على عدة سرايب مبنية طابقاً فوق طابق، ببناء محكم، يمتاز إضافة إلى جمال الصنعة ودقة الهندسة بهواء بارد مكيف طبيعياً، يلوذ بسرايبها الفارهة الطلاب فراراً من وقدة حرارة الصيف اللاهب.

وقد احتوت المدرسة الجميلة على واحدة من أكبر المكتبات في المدارس الدينية، ضمت كتبها بعض المخطوطات الثمينة كما تقدم.

٩ مدرسة الهندية

التي أقيمت بمحلة المشراق في سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) لسكنى الطلبة الهنود، على أرض مساحتها (٦٠٠) ستمئة متر مربع، بطابق واحد، ضمّ (٢٢) اثنتين وعشرين غرفة، حيث شغل الطلبة الهنود والكشميريون منها، عشرين غرفة، وخصصت واحدة للمكتبة، وأخرى فوق السطح. وفي المدرسة سرداب بثلاثة طوابق.

📍 مدرسة الأخوند الصغرى

التي أقيمت بمحلة البراق سنة (١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) على مساحة قدرت (٢١٠) مائتين وعشرة أمتار مربعة، وبطابق واحد، ضمّ (١٢) اثنتي عشرة غرفة.

📍 المدرسة الباكستانية البلتستانية

التي أقيمت سنة (١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م) على مساحة (٧٢٥) سبعة وخمسين متراً مربعاً لسكنى الطلبة الباكستانيين.

📍 مدرسة السيد عبد الله الشيرازي الصغرى

التي أقيمت في محلة الجديدة سنة (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) بواقع (٢٤) غرفة سكنية ومكتبة.

📍 مدرسة البروجردى الكبرى

التي أقيمت في الجانب الشرقي من الصحن العلوي المطهر سنة (١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) على مساحة قدرت بـ (٧٠٠) متر مربع بطوابق أربعة، أحدها سرداب كبير، وقد ضمت المدرسة (٦٢) غرفة، بواقع (٦٠) ستين طالباً، وفي المدرسة مكتبة كبيرة تجاوز عدد كتبها (٨٠٠٠) كتاب بضمنها بعض الكتب الخطية الثمينة في العلوم الإسلامية وخاصة في الفقه والأصول، كما يحتوي طابقها الأول على قاعة كبيرة نسبياً لإلقاء المحاضرات وإقامة المجالس، ولا زلت أذكر كيف كانت تغص قاعاتها بالمستمعين أثناء إقامة المجالس الحسينية في المناسبات الدينية.

وفي سنة (١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م) تم اقتطاع قسم كبير منها بداعي تطوير النجف فبات مساحتها الحالية (٣٥٠) متراً مربعاً بواقع (٣٢) غرفة.

المدرسة اللبنانية

وقد تسمى بـ(المدرسة العاملة) التي أقيمت باقتراح من المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه وبدعم سخي من الإمام السيد محسن الحكيم في منطقة خان المخضر سنة (١٣٧٧) هجرية على مساحة قدرت بـ(١٥٠٠) متر مربع، وبطابق واحد ضمّ (٤٠) غرفة، وسرداب مساحته (٢٠٠) متر مربع، ومكتبة.

ونتيجة لتهايوي بنائها فقد سويت بالأرض قبل سنوات من أجل إعادة بنائها ثانية، ولا زال البناء جارياً فيها حتى أواسط سنة ٢٠١٦ م.

مدرسة الجوهري

التي أنشئت في شارع المدينة سنة (١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) بواقع (٥٢) غرفة وقد جدد بناءها الوقف الشيعي سنة (٢٠٠٩م / ١٤٣٠هـ).

المدرسة الطاهرية

التي أقيمت بأمر المرجع السيد عبد الله الشيرازي بمنطقة الجديدة سنة (١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م) على مساحة بلغت (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف متر مربع، بواقع (١٤) أربع عشرة غرفة لسكنى ودراسة الطلبة.

مدرسة الرحبائي

التي أقيمت في محلة الجديدة سنة (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) بطابق واحد على مساحة قدرت بـ(١٠٠٠) ألف متر مربع، بواقع (٢٨) ثمان وعشرين غرفة لسكنى الطلبة.

٩ جامعة النجف الدينية

التي أقيمت بسعي المجتهد السيد محمد كلانتر في بداية حي السعد مدخل مدينة النجف الأشرف وتم افتتاحها سنة (١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م) وشيدت على مساحة قدرت بـ (٥٠٠٠) خمسة آلاف متر مربع، وبطوابق (٤) أربع، بضمها الطابق الأرضي، ضمت (٢٠٨) مائتين وثمان غرف، ومكتبة كبيرة من طابقين تحتوي على أمهات المصادر منها ما يقدر بـ (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف كتاب مطبوع، و (٦٠٠٠) ستة آلاف كتاب مخطوط، وخمسة سراديب، استوعب الطابق الأول منها (٦٢) غرفة، والطابق الثاني، (٥٤) غرفة، والطابق الثالث (٩٢) غرفة، وتجري الآن إعادة ترميمها وتغليف واجهاتها الخارجية بالطابوق الأصفر والزخارف التراثية الجميلة كما تقدم.

٩ مدرسة دار الحكمة

التي أسسها الإمام الحكيم في محلة المشراق بشارع الإمام زين العابدين عليه السلام سنة (١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) وشيدت بطراز معماري جميل على مساحة بلغت (٧١٤) سبعمائة وأربعة عشر متراً مربعاً، بثلاث طوابق ضمت بين جنباتها (١٨٠) مائة وثمانين غرفة، وقاعات للدراسة، ومكتبة كبيرة.

وإذ عمرت بالعلم ورواده وبالطلبة والأساتذة سنة (١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) اقتحمت دبابات وآليات النظام البائد مدينة النجف الأشرف بعد الانتفاضة الشعبانية عام (١٤١١هـ / ١٩٩١م) فهدمت هذه المدرسة العامرة، بل سوتها بالأرض بأصابع الديناميت، وسلبت مكتبتها العامرة يومئذ بمطبوعات ومخطوطاتها الثمينة. وحين سقط النظام البائد شيدت مجدداً من قبل المرجع الكبير

السيد محمد سعيد الحكيم لتمتلى قاعاتها بالطلبة والأساتذة دارسين ومدرسين. وتحتوي الآن على خمسة طوابق منها سرداب كبير يستخدم كقاعة دراسية كبرى. أما الطابق الأرضي فقد تقاسمته (٨) ثمان قاعات دراسية، في حين خصصت الطوابق: الأول، والثاني، والثالث، لسكن الطلاب، بواقع (٣٦) ست وثلاثين غرفة، في كل طابق (١٢) اثنتي عشرة غرفة منها. أما الطابق الرابع فقد خصص لخدمات المدرسة. وقد بلغ عدد طلبتها حين كتابة هذا الكتاب (١١٥) مائة وخمسة عشر طالباً.

📍 مدرسة عبد العزيز البغدادي

التي أقيمت على ساحة ثورة العشرين من جهة طريق كربلاء سنة (١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م) على مساحة قدرت بـ (١٩٠٠) ألف وتسعمائة متر مربع، بطابقين، وبواقع (١٠٢) للسكنى والدراسة، مع سردابين كبيرين مجهزين بكل ما يحتاجه ساكنها من أدوات ومستلزمات.

📍 مدرسة الأفغانيين البلوجيين

التي شرع الشيخ حسن الأفغاني بنائها لسكنى الأفغانيين سنة (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) بمحلة الجديدة خلف حديقة الملك غازي على مساحة بلغت (٤٠٠) أربعمائة متر مربع.

📍 مدرسة الأزري

التي أسسها الحاج عبد الأمير الأزري سنة (١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م). في محلة الجديدة، قرب منطقة خان المخضر، القرية جداً من مدينة النجف القديمة.

📍 المدرسة الشَّريَّة

التي أنشئت سنة (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) في محلة البراق، وشيدت على مساحة بلغت (٢٠٠م^٢)، بواقع (٤١) إحدى وأربعين غرفة، بطابقين، مع قاعة كبيرة للدرس والتحصيل، ومكتبة كبيرة ضمت كتباً مطبوعة ومخطوطة، و(٤) أربعة سراديب على مستوى واحد.

📍 مدرسة السيد السبزواري

تقع في شارع الرسول خلف مسجد المرجع السيد عبد الأعلى السبزواري، حيث تم تأسيسها سنة (١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م) وهي مشتملة على طابقين ضمّا (٤٤) أربعاً وأربعين غرفة، وفي المدرسة سرداب. وللمدرسة مكتبة عامة ملحقة بها للمطالعة والدراسة.

📍 مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

أسست سنة (١٤٣٢هـ / ٢٠١٠م)، وتقع في شارع الرسول صلّى الله عليه وآله، قرب مدرسة السيد السبزواري المتقدم ذكرها. ويتراوح عدد طلابها الآن بين (٦٠-٨٠) ستين إلى ثمانين طالباً عادة على حسب تقلبات الظروف، وتتكون من طابقين، فيها (٩) تسع صفوف دراسية، أحدها سرداب، ولها سكن خاص للطلبة في منطقة خان المخضر.

📍 مدرسة الإمام المهدي عليه السلام

وقد تأسست في منطقة الجديدة الأولى في عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) من طابقين على مساحة قدرت بـ (٨٠٠) ثمانمائة متر مربع، بواقع (٤٦) ست وأربعين غرفة دراسية.

📍 مدرسة السيد الخوئي

وقد أسست في دورة الصحن من جهة العمارة سنة (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) لتكون مدرسة كبرى، تضم من جملة ما تضم مكتبة عامرة بلغت في وقتها (٣٠٠٠٠) ثلاثين ألف كتاب مطبوع و(٣٥٠٠) ثلاثة آلاف وخمسمائة من المخطوطات، وقد هدمت قبل أن يكتمل بناؤها تماماً، ثم بعد سقوط النظام البائد دب العمل النشط لبنائها بطوابق متعددة، ولا زال العمل بها جارٍ على قدم وساق.

📍 مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام

تقع في شارع الإمام علي عليه السلام قرب ساحة ثورة العشرين في بيت سيدي الوالد، ثم انتقلت إلى مكان قريب منه، ولا زالت عامرة بطلابها وأساتذتها ومكثتها.

📍 مدرسة أبان بن تغلب

تقع في حي السعد قرب مدرسة دار الحكمة، وقد شيدت على مساحة قدرت بـ(٩٠٠) تسعمائة متر مربع، ضمت (١٤) أربع عشرة غرفة، يسكنها يوم كتابتي هذه من سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٥٠) خمسين طالباً.

📍 مدرسة السيد المرتضى

تقع في حي السعد بواقع (١٤) أربع عشرة غرفة، يسكنها يوم كتابتي هذه من منتصف سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٥٠) خمسون طالباً.

📍 مدرسة الرسول ﷺ للعلوم الدينية

تقع في شارع الرسول قرب مسجد السيد السبزواري. تأسست هذه المدرسة

سنة (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، يبلغ عدد طلابها (٣٠) ثلاثين طالباً، لها قسم داخلي قرب مسجد الطريحي، بواقع (٤) أربع غرف، يسكنها في منتصف سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (١٤) طالباً.

📍 مدرسة ولي العصر

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) في منطقة الشوافع بطابق واحد يحتوي على (٤) أربع غرف، وقاعة دراسية، ويقطنها أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٢٠) عشرون طالباً.

📍 مدرسة المنتظر عليه السلام

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) في منطقة الشوافع الجديدة، بطابق واحد، يحتوي على (٥) خمس غرف، وقاعة دراسية، يسكنها يوم كتابتي هذه سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٢١) واحد وعشرون طالباً.

📍 مدرسة المتقين

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م) في شارع الرسول، بواقع طابقين، ضمّا (٧) سبع غرف، يسكنها سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (١٢) اثنا عشر طالباً.

📍 مدرسة الإمام الحسين عليه السلام

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) في شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، بواقع طوابق ثلاثة، وقاعة دراسية، يقطنها يوم كتابتي هذه من أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، (٢٥) خمس وعشرون طالباً.

📍 مدرسة أبو طالب

تأسست سنة (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) من طابق واحد، بواقع غرفتين ثنتين، يسكنها يوم كتابتي هذه من سنة (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) (١٠) عشر طلاب.

📍 مدرسة مؤمن قريش

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) بطابق واحد، ضم (٣) ثلاث غرف، يسكنها ساعة كتابتي هذه أواخر عام (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م)، (١٥) خمسة عشر طالباً.

📍 مدرسة مأوى الصالحين

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م) في شارع المدينة، بواقع طابقين، ضمّا (٤) أربع غرف، ومكتبة، يقطنها يوم كتابتي هذه من أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، (٢٥) خمس وعشرون طالباً.

📍 مدرسة دار العلوم

تأسست هذه المدرسة سنة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) في شارع المدينة، بواقع طابقين، ضمّا (٦) ست غرف، ومكتبة، يسكنها يوم كتابتي هذه من أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٢٣) ثلاثة وعشرون طالباً حوزوياً.

📍 مدرسة العالم الربّاني السيد مرتضى الكشميري

أسست هذه المدرسة سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) بجهود سماحة السيد مرتضى الكشميري، تقع المدرسة في حي السعد على الشارع الرئيس الرابط بين الكوفة والنجف، وقد شيدت على مساحة بلغت (٨١٥ م^٢) بواقع (٨) ثمانية

طوابق، يشتمل كل طابق على (١٨) ثمان عشرة غرفة مكيّفة ومجهزة بمطبخ ومغاسل داخلية وأسرة وبقيّة مستلزمات الطالب الأخرى.

وقد ضمت المدرسة مصعدين إضافة إلى درجين يمنة ويسرة، وغرفة إدارة. وقد اشتمل طابقها الأرضي على مطبخ ومطعم وغرفة للطبابة وحمامات ومغاسل.

📍 مدرسة الإمام محمد الباقر عليه السلام

تقع هذه المدرسة الدينية ضمن مجمع شهيد المحراب الثقافي، الضخم بناية، المتنوع مرافقاً، ومؤسسات، الواقع في مدخل مدينة النجف الأشرف، المطل على ساحة ثورة العشرين، وقد شيدت هذه البناية الجميلة على أرض تبلغ مساحتها (٢٢٥٠) ألفين ومائتين وخمسين متراً مربعاً بمساحة بناء بلغت (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة متر مربع، بواقع أربعة طوابق، بضمنها الطابق الأرضي.

وقد شملت هذه البناية (٤٥) خمسة وأربعين صفّاً دراسياً، في كل طابق من طوابقها (١٥) خمسة عشر صفّاً مزوداً بما يحتاجه الصف الدراسي من معدات.

أما غرفها الإدارية فقد بلغت (١٢) اثنتا عشرة غرفة إدارية في كل طابق من طوابقها. كما تشتمل المدرسة على قاعة كبيرة للمؤتمرات، تسع لحوالي (٣٠٠) ثلاثمائة شخص، ومكتبة عامة، وقاعة حاسبات.

وقد تم افتتاح هذه المدرسة سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، وضمت في سنة تشييدها الأولى (٧٠) سبعين طالباً، تقدم لهم المدرسة رواتب شهرية منتظمة.

📍 مدرسة شيخ البطحاء

تقع هذه المدرسة في شارع المدينة، بطابق واحد، ضم (٥) خمس غرف،

ومكتبة، ويسكنها يوم كتابتي هذه أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) (٢٠) عشرون طالباً.

📍 مدرسة نجم الأئمة

وقد تقدم الحديث عنها سابقاً.

📍 مدرسة العلامة البلاغي

تم إنشاء مدرسة العلامة البلاغي سنة (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م) من قبل المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه) في محلة الحويش من المدينة القديمة، على شارع السور، وقد شيدت المدرسة على أرض مساحتها تقرب من (٣٦٦) ثلاثمائة وستون متراً مربعاً، وتبلغ مساحة البناء فيها حوالي (١٥٠٠) ألف وخمسمائة متراً مربعاً، في أربعة طوابق، اشتملت على (٤١) إحدى وأربعين غرفة لسكن الطلاب، وكذلك على قاعة للتدريس في كل طابق، وعلى مكتبة، ومرافق أخرى عديدة.

وقد أمر سماحته أن تسمى هذه المدرسة باسم أحد أعلام النجف في القرن الرابع عشر للهجرة، وهو (آية الله المحقق الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م)، مؤلف الكتب التالية: (آلاء الرحمن) في تفسير القرآن، و(الرحلة المدرسية) و(الهدى إلى دين المصطفى)، وغيرها من المؤلفات الكثيرة النافعة.

ونظراً للحاجة الملحة لمعرفة أهلة الشهور القمرية، وعدم وجود مرصد فلكي يعنى بهذا الأمر، فقد ارتأى مكتب سماحة السيد إنشاء مرصد على سطح

هذه المدرسة، لكونه على ارتفاع مناسب، بالإضافة إلى أنه مطل على الجهة الغربية للمدينة المقدسة، حيث تيسر الرؤية للأفق، وهو ما ميز هذه المدرسة عن سائر مدارس النجف الدينية الأخرى. استقبلت المدرسة منذ افتتاحها أعداداً كبيرة من طلاب العلوم الدينية من داخل العراق وخارجه، ومن جنسيات متعددة، بعضها غربية، كالسويد، والدنمارك وأمريكا، إضافة إلى غيرهم بيد أن العراقيين هم الأكثر عدداً في المدرسة.

٩ مدرسة آية الله المحقق الشيخ حسين الحلي للعلوم الدينية

تقع هذه المدرسة التي أنشأها المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني في واجهة حي الحسين، وقد شيدت على مساحة (١٣٠٠) متر مربع، وقد سميت باسم أحد كبار أساتذة الفقه والأصول في حوزة النجف سماحة الشيخ حسين الحلي المتوفى في (١٣٩٤هـ) أحد تلامذة أعلامها الكبار الشيخ المحقق النائيني، والفقيه المحقق الأصهباني، والمحقق العراقي.

وتتكون المدرسة من أربعة طوابق وتزيد مساحة البناء فيها على (٥٠٠٠) متر مربع، وتحتوي (٨٥) غرفة لسكن الطلبة كلها مفردة، ومجهزة بمستلزمات السكن من سرير، وخزانة ملابس، ومكتب للدراسة، كما تحتوي المدرسة على أربع قاعات كبيرة للدرس، ومكتبة، وقاعة متعددة الأغراض، وحديقة داخلية، وشرفة استراحة، مع خدمات صحية عديدة، وغرفة للحلاقة ولغسيل الملابس.

وقد افتتحت هذه المدرسة في (٢٤ من شهر ذي الحجة عام ١٤٣٩هـ/

٥ أيلول ٢٠١٨ م).

٩ المدرسة المظفرية

تم تشييد هذه المدرسة من قبل المرجع الأعلى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) وتقع بالقرب من مجسرات ثورة العشرين في مدخل مدينة النجف الأشرف، وقد شيدت على مساحد تزيد على (٦٠٠) متر مربع، وخمسة طوابق، وسميت باسم العلمين: الفقيه الكبير الشيخ محمد حسن المظفر المتوفى سنة (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م) وأخيه آية الله المجدد الشيخ محمد رضا المظفر المتوفى سنة (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، لما لهما من دور في خدمة علوم حوزة النجف الأشرف ومذهب أهل البيت عليه السلام، فضلاً عن الحياة الثقافية والأدبية في النجف الأشرف والعراق.

تتكون هذه المدرسة من خمسة طوابق وتشتمل على (٦١) غرفة سكنية أغلبها تتسع لفرد واحد فقط، وتشتمل أيضاً على مكتبة وقاعة للصلاة و(٨) غرف للتدريس ومطبخ وصالة طعام، مضافاً إلى الصحيات وبقية الغرف للمستلزمات الضرورية. وتحتضن المدرسة في جزء من سردابها مقبرة آل المظفر. وكذا يلحق بها بيت جانبي لسكن مدير المدرسة.

وقد افتتحت هذه المدرسة في (٧ جمادى الأولى عام ١٤٤١هـ/ ٣ كانون الثاني ٢٠٢٠ م)، وشهدت إقبالاً ممن يرومون الالتحاق بالحوزة العلمية وكذا من الطلبة الملتحقين بالحوزة سابقاً.

ويحسن بي أن أشير الى وجود مدارس دينية حوزوية نسوية منها:

٩ مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية - القسم النسوي

أسست مدرسة دار الحكمة للعلوم النسوية (٤) أربعة صفوف دراسية عام (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م)، ضمن أربعة مراحل، مسبقة بمرحلة تمهيدية، ضمن

إطار مرحلة المقدمات، وفق مخطط يتضمن دخولها لمرحلة السطوح خلال (٤) أربع أو خمس سنوات.

وتعقد في المدرسة ندوة أسبوعية لطالبات المدرسة، الهدف منها تربية وتطوير مهارات الطالبات في الجوانب العلمية في البحث والكتابة وتطوير القدرات الذاتية لهن، حيث يتم في هذه الندوة: استضافة شخصية علمية لإلقاء محاضرات في مختلف الجوانب، في حين يخصص الجزء الآخر من الندوة لمناقشة مختلف جوانب المعرفة، بمساهمة جميع الطالبات، وتصدر كل شعبة نشرة جدارية شهرية، تتابع وتقيم من قبل لجنة خاصة بتقييم هذه النشرات.

وفي المدرسة أيضاً مكتبة مدرسية، تحتوي على عدد كبير من الكتب، وخاصة الكتب التي تحتاجها الطالبة في مجال دراستها، وهناك استشارات تحدد نسبة المطالعات في كل شعبة وفي كل الشعب والعناوين ذات الأهمية للطالبات.

أما المنهج الدراسي المعمول به حالياً فيتضمن (٢٢) اثنين وعشرين درساً للمرحلة الواحدة أسبوعياً، أي بواقع (٤) أربعة دروس يومياً لستة أيام في الأسبوع، موزعة على مواد دراسية ينظر إليها بلحاظين:

« دروس أساسية تعطى الاهتمام الكامل في المراحل كافة من حيث الجدوية في إكمال المناهج والقدرة العالية في التدريس وبذل الوسع في البحث والتمحيص وهي مواد من أمثال علوم الفقه واللغة والمنطق وما شابه في هذه المرحلة.

« ودروس مكملية لا يكون الضغط فيها على الطالب بمستوى الدروس الأساسية كالسيرة والتفسير وما شابهها.

أما في المرحلة الثالثة والرابعة فيولي المنهج الدراسي لعلم الأخلاق اهتماماً

خاصاً، كما تشجع المدرسة الطالبة التي ترغب ببذل جهد إضافي في الدروس من خلال توفير الأساتذة لهن بعد الظهر.

ويتيح المنهج المتبع في المدرسة دخول الطالبة في أي مرحلة بشرط الامتحان والنجاح بالمراحل السابقة.

كما يلزم المنهج المتبع في المدرسة الكادر التدريسي بتقديم خطة سنوية بحسب المادة المكلف بتدريسها، موضحاً فيها المواد والحصص والمحاضرات بحسب اليوم والأسبوع والشهر وتحفظ نسخة من هذه الخطط عند الإدارة لتتابعها بعد المصادقة عليها من قبل اللجنة العلمية المشرفة.

وفي المدرسة مراحل دراسية متسلسلة تبدأ بالتمهيدي، وتنتهي بالمرحلة السابعة التخصصية.

ولعل من الملفت أن نقول هنا بأن بعض خريجات مدرسة دار الحكمة للنساء بدأت منذ سنة (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م) بحضور دروس البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف، وذلك بأن يسمعن المحاضرة عن طريق وسائط الاتصال المتيسرة هذه الأيام، ويرسلن أسئلتهن المباشرة للأستاذ متى ما احتاجت إحداهن إلى سؤال، كي يجيب أستاذها عنه، ثم يعقد الأستاذ معهن اجتماعاً كل أسبوع للإجابة عن الأسئلة التي لا زالت عالقة في أذهانهن عن موضوع البحث المطروح.

📍 مدرسة دار العلم النسائية للعلوم الدينية

بعد سقوط النظام الصدامي البائد في عام (٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ) ولضرورة الحفاظ على المبادئ والقيم الإسلامية والدينية وغرسها في نفوس الناشئة،

خصوصاً الشريحة النسوية منها، ارتأت نخبة من رجالات العلم والمعرفة السعي في هذا المضمار خدمة للعلم والدين.

لقد كانت البداية الأولى للمشروع متواضعة حيث تم استزراع البذرة الأولى بحسينية لإحدى النساء الفاضلات فكانت الخلية الأولى لها من كادر متواضع من المربيات الفاضلات اللاتي ناضلن سراً في زمان الظلم والجور، وحصلن على المعلومة الحوزوية من خلال جهاد متواصل، وبظروف غاية في الصعوبة، حيث كان همهن أن يستقطن أكثر عدد من النساء للقيام بدورهن الفاعل والمصلح والمربي.

لقد هيا الله للمدرسة سماحة السيد أحمد الصافي الذي بادر مشكوراً بفتح هذه المدرسة، حيث انبثق نور الهداية والمعرفة للكادر النسوي الحوزوي بأرجاء حسينية في حي المثنى - من أحياء النجف الأشرف - في (الشهر التاسع من سنة ٢٠٠٣م) الموافق ليوم (٢٣ جمادي الثانية عام ١٤٢٤هـ)، ثم انتقلت المدرسة نتيجة للظروف الصعبة إلى بناية كانت روضة للأطفال في حي السعد - أحد أحياء مدينة النجف الأشرف - حيث استطاعت إدارة المدرسة أن تستحصل موافقة إدارة الروضة على أن تنتقل إليها بما لا يتعارض مع دوامها الصباحي وذلك بأن تستغل المدرسة الوقت المسائي للبناية لدوامها ونشاطاتها، وبعدها انتقلت المدرسة إلى أحد أحياء المدينة القديمة في المنطقة المسماة بـ (الجديدة الثانية) فاستقرت فيها مدة سنة كاملة ثم اضطرت نتيجة لصعوبة المواصلات داخل المدينة القديمة إلى أن تنتقل في (١/١١/٢٠٠٦م، الموافق لسنة ١٤٢٧هـ) إلى حي الغدير في شارع كلية الآداب يحدو خطواتها العزم والإسراع بالمواصلة والسعي نحو الأفضل لتعميم الفائدة للجميع بعون الله تعالى.

وللمدرسة منهج تدريسي يتم التركيز فيه على العلوم التالية: الفقه، العقائد، المنطق، النحو والصرف، علوم القرآن أحكام التلاوة، علم الأخلاق. ولكل من هذه العلوم كتبه المقررة لمدرسة نظام حضور للطالبات تلزم به طالباتها مقسم على أربعة أيام أسبوعياً هي (الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء) من كل أسبوع، حيث يبدأ الدوام الفعلي من الساعة الثانية عصراً وحتى الرابعة والنصف، ولها نظام خاص للغيابات تجيز فيه المدرسة للطالبة أن تحصل على إجازة لظرف خاص تقدره إدارة المدرسة، فإذا غابت الطالبة شهراً من دون عذر مشروع تفصل من المدرسة.

هذا وتبدأ السنة الدراسية في الشهر العاشر من كل عام ميلادي وتحل العطلة الصيفية في الشهر الثامن منه علاوة على التزام المدرسة بالتعطيل في وفات الأئمة عليهم السلام إلى جانب أسبوعين من شهر محرم الحرام في ذكرى استشهاد الإمام الحسين السبط أبي الشهداء وآله وصحبه الكرام.

كما وتعطل المدرسة طيلة شهر الصيام شهر رمضان المبارك أيضاً.

أما النظام الخاص بالامتحانات فيقتضي أن تكون الامتحانات مستمرة خلال أيام السنة الدراسية وهي متفاوتة بين امتحانات يومية وفصلية ونهاية مقسمة على فصلين وتكون درجة النجاح في المدرسة (٦٠٪).

لقد بلغ نصاب طالبات المدرسة أول عام من افتتاح المدرسة (١٠٠) مائة طالبة للمرحلة الأولى، ومن ثم ازداد العدد في العام الثاني بعد نجاح الطالبات للسنة الثانية فبلغ نصاب الطالبات حينها حوالي (١٢٠) مائة وعشرين طالبة بعد التسجيل الجديد للطالبات المتقدمات للتسجيل في المرحلة الأولى. وفي السنة الثالثة

استحدث صف آخر وهو المرحلة الثالثة فبلغ النصاب وقتها (١٢٩) مائة وتسعاً وعشرين طالبة.

أما هذه سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م) فقد ارتفع العدد إلى (٢٠٠) مائتي طالبة مما اضطر إدارة المدرسة إلى وقف التسجيل لضيق المكان حيث أن التسجيل مرهون بسعة المكان وضيقه، وبما أن البناية الحالية لا تسع لأكثر من هذا العدد على أمل أن يتهياً لها مكان أوسع مستقبلاً إن شاء الله لاحتضان المزيد من الطالبات مستقبلاً.



المبحث الثالث

ضوء على أنموذجين من نماذج المدارس الدينية في العقدين الماضي والحالي من هذا القرن

يحتوي هذا المبحث على مطلبين هما:

المطلب الأول:

مدرسة من مدارس العقد الثالث من القرن الخامس عشر
الهجري (المدرسة اللبنانية) أنموذجاً

تقع المدرسة اللبنانية في شارع العباس من مدينة النجف الأشرف، قرب السوق المعروف بـ(سوق خان المخضر)، وقد تم افتتاحها لأول مرة سنة (١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) لتكون سكناً للطلبة اللبنانيين القادمين إلى النجف الأشرف للدراسة والعلم كما تقدم، ثم أغلقت في عهد النظام الصدامي البائد، وأعيد افتتاحها سنة (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) بعد سقوط النظام البائد لتكون سكناً للطلاب بشكل عام، ومن مختلف الجنسيات بحسب الحاجة، وتحتوي المدرسة اللبنانية على (٤٥) خمس وأربعين غرفة للسكن والدراسة، عدا بقية المرافق الأساسية من قاعات وغيرها.

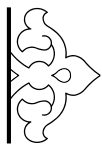
لقد أجريت استبياناً لطلبتها في النصف الثاني من السنة الدراسية (١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م) من حيث: أعدادهم وجنسياتهم، ومحافظاتهم العراقية التي قدموا منها إن كانوا عراقيين، وما إذا كانوا يسكنون في غرف مستقلة أو مشتركة، وما هي مستوياتهم الدراسية، وأماكن دراستهم خارج المدرسة، وما إذا كانت تهيأ لهم

وجبات طعام يومية في المدرسة، وعدد الوجبات الغذائية إن وجدت، وما إذا كان طلبتها من المتزوجين أو من العزاب، فكانت نتيجة الاستبيان ما يأتي:

- « عدد الطلبة القاطنين فعلاً: ٣٠ طالباً.
 - « جنسيات الطلبة: عراقية.
 - « المحافظات التي قدموا منها: بغداد، البصرة، الناصرية، العمارة، السماوة، الحلة، الديوانية، كربلاء، سامراء، ديالى.
 - « الحالة الاجتماعية: ٢٨ طالباً متزوجاً وطابان أعزبان.
 - « كل طالب يشغل غرفته الخاصة به، لا يشاركه فيها غيره.
 - « مستوياتهم الدراسية متنوعة ففيهم طلاب يدرسون في مرحلة المقدمات، وفيهم من يدرس في مرحلة السطوح، وفيهم من هو بمستوى طالب في مرحلة البحث الخارج.
 - « أماكن دراستهم: المساجد والمدارس الدينية.
 - « يتقاضى كل طالب منهم مرتباً مخصصاً له عن طريق الكارت الموحد للمراجع العظام فقط.
 - « لا يتقاضى أي منهم مرتباً من أي جهة أخرى رسمية أو غير رسمية.
 - « تقدم لكل منهم مجاناً وجبة طعام واحدة يومياً عدا أيام التعطيل الدراسي.
- ونظراً لأقدم بناء المدرسة اللبنانية فقد تمّ هدها إلى الأرض بعد نقل طلبتها إلى أماكن أخرى وتتم إعادة هندستها وتشبيدها مجدداً، وهي الآن قيد الإنشاء.



المطلب الثاني:

مدرسة من مدارس العقد الرابع من القرن الخامس عشر
الهجري (مدرسة نجم الأئمة) أنموذجاً

تعد مدرسة نجم الأئمة (رضوان الله عليه) من المدارس التي أنشأها المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني في النجف الأشرف، والتي تعنى مضافاً إلى توفير مسكن مناسب للطالب بالجانب العلمي، وذلك من خلال برنامج تعليمي وتثقيفي، وكذا متابعة تفصيلية لمختلف الجوانب التي تسهم في إعداد طلبة العلوم الدينية بالمستوى اللائق بحوزة النجف الأشرف.

تقع المدرسة في منطقة العمارة على الشارع العام قريباً من المدخل الرئيسي لوادي السلام من جهة باب الطوسي، وتتألف من (٦) ستة طوابق، (٢) اثنان منها تحت الأرض، خصص أحدهما لخدمات الطلبة الساكنين من قبيل: المطبخ والمطعم وخدمات الغسيل وغير ذلك، مضافاً إلى المكتبة، وتطل بواجهتها على وادي السلام والذي يضم في ترابه أجساد المؤمنين منذ قرون طويلة، ليكون ذكرى للطالب كلما رمقت عيناه ذلك المنظر الرهيب.

افتتحت هذه المدرسة في (٢٠ جمادى الثانية عام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م)، وهي تضم (١٢٨) مائة وثمان وعشرين غرفة، خصص منها (١١٠) مائة وعشرة غرف للسكن، في حين خصص الباقي قاعات للدراسة والمباحثة.

ويبلغ عدد الطلبة الساكنين في المدرسة يوم كتابة التقرير أواخر سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، (١٠٠) طالب من جنسيات مختلفة، فعدد العراقيين منهم (٦٥) خمس وستون طالباً، يتوزعون على عدة محافظات هي: البصرة، والناصرية،

والمثنى، والديوانية، والنجف، وكربلاء، وبغداد، وميسان، وديالى، وبابل، وكركوك، وأما من غير العراقيين فقد بلغ عددهم (٣٥) خمسة وثلاثين طالباً يتوزعون على دول متعددة عربية وإسلامية وعالمية هي: أفغانستان، والهند، وأذربيجان، وإيران، وغانا، والسعودية، ولبنان وأندونيسيا، وأمريكا، وفرنسا.

كما يبلغ عدد المتزوجين من طلاب المدرسة (٢١) واحداً وعشرين طالباً، يسكن بعضهم في بناية خصصت من قبل مكتب المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني لطلبة المدرسة. مضافاً إلى طلبة يدرسون في المدرسة من غير أن يقطنوا فيها، وعددهم (١١) أحد عشر طالباً. ذلك أن المدارس الدينية تخصص عادة لسكنى الطلبة العزاب.

أما نظام المدرسة فهو قائم على أن يكون لكل طالب غرفة متكاملة مستقلة، يتوافر فيها نظام تبريد وتدفئة، مضافاً إلى خدمات الإنترنت المتوفرة لكل طالب، وكذا ثلاث وجبات طعام في اليوم.

كما تلتزم الإدارة بتوفير راتب شهري للطلاب القاطن فيها، مضافاً إلى الرواتب التي يستلمها من المراجع (دام ظلهم)، وكذا تقدم رواتب للأساتذة الذين يدرسون فيها، والذين بلغ عددهم (٦٠) ستين أستاذاً.

هذا وللمدرسة نظام تعليمي تحت إشراف مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى، وهو يتضمن منهجاً دراسياً مستمداً من المنهج الدراسي الحوزوي العام، مع بعض الإضافات، فالدروس في مرحلة المقدمات هي: (قطر الندى) في علم النحو، و(المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر في علم المنطق، و(المسائل المنتخبة) في علم الفقه، و(الألفية) ابن النازم في النحو بعد كتاب (قطر الندى) المتقدم ذكره،

و(حاشية ملا عبد الله) في علم المنطق بعد كتاب (المنطق) للمظفر المتقدم ذكره، وكتاب (شرائع الإسلام) في الفقه.

والدروس في المرحلة التي تليها دروس مرحلة المقدمات أي مرحلة السطوح الدنيا فهي: كتاب (الحلقة الأولى والحلقة الثانية) للشهيد الصدر الأول في علم أصول الفقه، ثم كتاب (أصول الفقه) للشيخ محمد رضا المظفر، وكتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) بأجزائه المتعددة للشهيد الثاني في علم الفقه، وكتاب (بداية الحكمة) للسيد محمد حسين الطباطبائي في العقائد، و(المختصر في علم البلاغة) للتفتازاني، وكل هذه الدروس تدرّس في المدرسة حصراً.

وبعد ذلك تعدّ الإدارة قائمة بأسماء أساتذة مرحلة السطوح العليا ودروسها هي: كتاب (الكفاية) في علم أصول الفقه للآخوند الخراساني، وكتاب (المكاسب) في علم الفقه للشيخ مرتضى الأنصاري، وكتاب (الرسائل) في أصول الفقه للشيخ مرتضى الأنصاري أيضاً، ويسمح للطلاب في هذه المرحلة أن يختار إما (الكفاية) أو (الرسائل) ليحضر عندهم، وذلك من خلال تنسيق مسبق مع هؤلاء الأساتذة لتوفير التزامات نظام المدرسة.

ويضيف منهج الدراسة إلى ذلك دروساً مسائية أسبوعية، في علوم (تفسير القرآن)، و(سيرة النبي ﷺ) والأئمة (عليهم السلام)، (أحكام التلاوة) و(العروض) و(الصرف)، ودروس تطبيقية لتحسين (الخط)، و(تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها)، وكذا محاضرات فكرية أو تربوية أو أخلاقية بين الحين والآخر يلقونها أساتذة في الحوزات العلمية، تستضيفهم المدرسة لهذا الغرض.

تتكفل إدارة المدرسة مضافاً إلى متابعة الحضور والغياب متابعة طريقة دراستهم، وتقاريراتهم، ومباحثاتهم، فهي تلزم الطالب بالمباحثة في المواد الدراسية، وكذا كتابة التقارير، بالاتفاق مع الطالب عند دخوله إلى المدرسة. وذلك كله ضمن سجلات تسلم له عند قبوله. وكذا تطلب الإدارة من الأساتذة تقديم تقويم شهري للطلبة الذين يحضرون حلقاتهم. ومن ثم فهناك عدة أساتذة خصصتهم الإدارة لمتابعة الطالب الجيد وغير الجيد لأجل توعية الطالب وتحفيزه باتجاه تحسين مستواه.

وكذا تقوم إدارة المدرسة بمتابعة الطلبة في مختلف شؤونهم، من خلال نظام النقاط الملونة الذي تستخدمه لتنبية الطالب على ما يصدر منه كي يلتفت إليه، فوضعت النقطة (الحمراء) على انتهاك التعليمات الصادرة من الإدارة، و(الصفراء) على بعض التجاوزات الأخرى الأقل أهمية، في حين أن (الخضراء) على التصرفات الجيدة، و(الزرقاء) على التصرفات المميزة، ويسلم هذا التقرير شهرياً إلى الطالب. ليراقب سلوكه من ناحية وليشعر باستمرار مراقبة الإدارة له من ناحية أخرى.

وقد تميزت المدرسة في نظامها بحيث استطاعت أن تحوز على المستوى الأول في اختبارات اللجنة المشرفة على الامتحانات التي تجريها الحوزة العلمية للطلاب في السنتين الماضيتين، كما أنها تميزت بالمتابعة المستمرة للأستاذ والطالب في التزامهم بالدروس ومدى الانسجام بينهما، فاستطاعت أن تحرز (١٨٠) مائة وثمانين درساً من مجموع العام الدراسي، وهو ما يقارب (٨) ثمانية أشهر دراسية، باعتبار أن الشهر الدراسي في الحوزة (٢٢) هو اثنان وعشرون يوماً. مضافاً إلى تشجيع الطلبة على الدراسة في أيام التعطيل بما يشمل يومي

الخميس والجمعة متى وجدت لديه استعداداً لذلك.

ومن الملاحظ أن نظام المدرستين (المدرسة العلوية) و(نجم الأئمة) واحد وهو ما يبدو واضحاً من خلال ملاحظة نظاميهما ذلك أنهما تحت إشراف مكتب المرجع الأعلى السيد السيستاني.

ولعل المخرجات الإيجابية المتميزة لتطبيق نظام مدرسة (نجم الأئمة)، وهي المدرسة الأسبق تشييداً من أختها، والنتيجة التي حاز عليها طلابها في سلم الاختبارات كما تقدم، هي ما دعت إلى تطبيقه ثانية في أكبر مدرسة دينية في النجف الأشرف وربما في غيرها من الحوزات أيضاً (المدرسة العلوية).





الفصل الثالث

التطور التاريخي لمناهج الدراسة الحوزوية، وكتبها المعتمدة

يحتوي هذا الفصل على بحثين هما:

المبحث الأول

المراحل الدراسية في الحوزة العلمية

المبحث الثاني

الكتب الدراسية المقررة في هذه المراحل، سابقاً وحالياً



وسأتناولهما تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منهما

المبحث الأول

المراحل الدراسية في الحوزة العلمية

لعل الباحث في تاريخ مراحل الدراسة في الحوزة العلمية النجفية يلحظ بوضوح أنها كانت تمر إلى ما قبل منتصف القرن الثالث عشر الهجري، بمرحلتين هما (مرحلة المقدمات) و(مرحلة السطوح) فقط من دون أن تتبعها مرحلة ثالثة هي (مرحلة البحث الخارج).

أما في أواسط القرن الثالث عشر فقد جدّت مرحلة دراسية ثالثة في مراحل الدراسة الحوزوية، بعد مرحلتَي المقدمات والسطوح، ألا وهي مرحلة البحث الخارج، كما سيأتي، فأصبحت بذلك المراحل الدراسية في الحوزة العلمية النجفية منذ ذلك الحين، وفي القرن الرابع عشر، وما تصرم من القرن الخامس عشر.

أما في يوم الناس هذا، فقد بات من الشائع أن مراحل الدراسة في الحوزة العلمية النجفية ثلاث مراحل هي: (مرحلة المقدمات) و(مرحلة السطوح) و(مرحلة البحث الخارج)، وإن كان هناك من الباحثين من يدمج مرحلة المقدمات بمرحلة السطوح، لتكونا معاً مرحلة واحدة، تتبعها المرحلة الثانية مرحلة البحث الخارج^(١).

وربما فضّل بعضهم فصل مرحلة السطوح إلى مرحلتين أسماهما مرحلة السطوح الدنيا، ومرحلة السطوح العليا.

(١) تنظر: مقدمة كتاب: دروس في علم الأصول. السيد محمد باقر الصدر: ٩/١.

يبد أن تقسيم المراحل الدراسية إلى ثلاث مراحل هي (مرحلة المقدمات)، و(مرحلة السطوح)، و(مرحلة البحث الخارج) هو التقسيم السائد اليوم عند الحوزويين والباحثين، وهو ما ساعتمده في بحثي هذا، عدا ما سأعرضه في المبحث الثالث من الفصل الخامس، خلال استعراضي لأنموذج برنامج يوم عمل لمدرّس من مدرسي السطوح، فقد آثرت أن أذكر برنامجي عمل لمدرسين:

أولهما: لمدرّس من مدرسي السطوح الدنيا.

ثانيهما: لمدرّس من مدرسي السطوح العليا، لغرض الوقوف على ما في هذه المرحلة من تفاصيل وخصوصيات، آخذاً بنظر الاعتبار الفروق الفردية بين مدرّس وآخر، وطبيعة الاهتمامات الخاصة به من بين غيره من زملائه المدرسين.



المبحث الثاني

الكتب الدراسية المقررة لهذه المراحل سابقاً وحالياً

باديء ذي بدء يحسن بي أن أنوّه أولاً إلى وجود حرية تامة للأستاذ المربي في اختيار كتاب دراسي مقرر لتلميذه، من دون أن يفرض عليه أحد كتاباً محدداً لتدريسه، فربما يقرر أستاذ ما مادة معينة لتلميذه، ومنهجاً محدداً لها، وربما يختار أستاذ آخر مادة أخرى لتلميذه بمنهج آخر.

ومع هذا وذاك فإن هناك علوماً ومناهج دراسية أساسية يكاد يجمع عليها أساتذة الحوزة العلمية في دراستهم وتدريسهم فتوجيههم لتلامذتهم أو مستشاريهم في هذا القرن وما قبله، هو دراسة هذه المواد وهي:

كتاب (قطر الندى) ف(الألفية) في النحو، وكتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر، و(الحاشية) لملا عبد الله اليزدي في علم المنطق، وقد اعتمد كتاب (المنطق) للشيخ المظفر في العقود المتأخرة، و(المختصر)، ف(المطوّل) للتفتازاني في البلاغة، و(شرح الباب الحادي عشر) للمقداد السيوري في علم الكلام، و(شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، ف(الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) المتن للشهيد الأول والشرح للشهيد الثاني، ف(المكاسب) للشيخ الأنصاري في الفقه، و(المعالم) للشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين العاملي، ف(القوانين) للمحقق القمي، و(أصول المظفر) للشيخ محمد رضا المظفر الذي اعتمد في العقود المتأخرة، حيث بدأ غالبية الحوزويين يكتفون به بدلاً من دراسة كتاب (القوانين)^(١)،

(١) ينظر: المصدر السابق نفسه.

فإذا انتهى الطالب من استيعاب تلك الكتب، ثنى بدراسة كتاب (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري، (فالكفاية) للشيخ محمد كاظم الخراساني.

هذا هو ما استقر عليه حال المواد الدراسية ومناهجها في حوزة النجف الأشرف متأخراً، مع اختلاف بسيط في دراسة هذا العلم أو ذاك، وبهذا المنهج الدراسي أو ذاك، فمثلاً قد يذهب الأستاذ المربي إلى أن ما درسه تلميذه فأثقله من هذا الكتاب الدراسي في هذا العلم كافٍ لينتقل بعده إلى الكتاب الدراسي الذي يليه. أو أن دراسة كتاب (الرسائل) في علم أصول الفقه مثلاً أولى بالتقدم على دراسة كتاب (الكفاية) -وهو السائد حالياً في حوزة النجف الأشرف كما تقدم- أو العكس، كأن تقدم دراسة كتاب (الكفاية) على كتاب (الرسائل) -كما هو سائد في بعض الحوزات العلمية الأخرى- وهكذا.

ولو تتبعنا التسلسل التاريخي للعلوم المعتمدة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومناهجها الدراسية لوجدناها وفق ما ذكرها الباحثون منذ القرن الحادي عشر الهجري فما بعده على اختلاف في دراسة طالب ما لهذا العلم أو هذا المنهج الدراسي أو ذاك كما يلي:

« في القرن الحادي عشر: كانت المواد الدراسية المعتمدة في القرن الحادي عشر الهجري ومناهجها بحسب بعض الباحثين^(١) هي كما يلي:

■ علم الحديث: وقد كان الطالب يدرس في هذا العلم الكتب التالية: (التهذيب) و(الاستبصار)، وكلاهما للشيخ محمد بن الحسن الطوسي، و(الكافي) للشيخ الكليني، و(من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق.

(١) مع علماء النجف الأشرف. السيد محمد الغروي: ١/ ٢٧٠-٢٧١.

❏ علم الفقه: وقد كان يدرس الطالب في هذا العلم الكتب التالية: (المختصر النافع) للعلامة الحلي، و(شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، و(شرح اللمعة الدمشقية): المتن للشهيد الأول والشرح للشهيد الثاني.

❏ علم المنطق: وقد كان يدرس الطالب فيه كتابي: (تهذيب المنطق) للتفتازاني، وكتاب: (حاشية ملا عبد الله اليزدي) على كتاب (تهذيب المنطق).

❏ علم الأصول: وقد كان الطالب يدرس فيه كتابي: (المعالم) للشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين، و(معارج الأصول) للمحقق الحلي.

❏ علم الكلام: وقد كان يدرس الطالب فيه كتاب: (شرح التجريد) للعلامة الحلي.

« أما في القرن الثاني عشر فقد كانت المواد الدراسية المعتمدة ومناهجها الدراسية كما يلي:

❏ قواعد اللغة العربية: ويدرس الطالب فيه أول ما يدرس كتاب (الأجرومية) لابن آجروم، و(الألفية) لابن مالك، و(الصمدية في النحو) للشيخ البهائي.

❏ علم البلاغة: ويدرس الطالب فيه كتاب (المطول) للتفتازاني.

❏ علما المنطق والفلسفة: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: كتاب (تهذيب المنطق) للتفتازاني، و(حاشية ملا عبد الله)، وكتاب (شرح المطالع) للرازي، وكتاب (حكمة الإشراق) للسهروردي، وكتاب (شرح الإشارات) لابن سينا، وكتاب (شرح التجريد) للقوشجي.

❏ علم الحديث: ويدرس الطالب فيه كتابي (الاستبصار) و(التهذيب) وكلاهما للشيخ الطوسي، وكتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق، وكتاب (الكافي) للشيخ الكليني.

❏ الفقه: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، وكتاب (شرح اللمعة الدمشقية) للشهيد الثاني، وكتاب (مسالك الأفهام) للشهيد الثاني.

❏ علم أصول الفقه: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: (زبدة الأصول) للشيخ البهائي، كتاب (مبادئ الأصول)، وكتاب (مختصر الأصول)^(١).

« أما في القرن الثالث عشر فقد كانت المواد المعتمدة في القرن الثالث عشر الهجري ومناهجها الدراسية وعلى حسب العلوم - مع اختلاف جزئي بين دراسة هذا الطالب أو ذاك - كما يلي:

❏ النحو والصرف: ويدرس الطالب فيها الكتب التالية: كتاب (البهجة المرضية) للسيوطي. وكتاب (شرح الشافية) في الصرف، وكتاب (الصمدية) في النحو، وكتاب (الألفية) لابن النازم، وكتاب (مغني اللبيب) لابن هشام، وكتاب (العوامل) في النحو لملاً محسن، وكذلك (شرح العوامل).

❏ البلاغة: ويدرس الطالب فيها كتابي (المختصر) و(المطول)، وكلاهما للفتازاني.

❏ علم المنطق: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: (حاشية ملا عبد الله)،

وكتاب (شرح المطالع)، وكتاب (شرح الشمسية).

❏ علم الفقه: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، وكتاب (شرح اللمعة) للشهيد الثاني، وكتاب (مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام) لمحمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي الجبعي، وكتاب (رياض المسائل) للسيد علي الطباطبائي.

❏ علم الحديث: ويدرس الطالب فيه كتابي: (أصول الكافي)، و(الاستبصار).

❏ أصول الفقه: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية: (معالم الدين) للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني، وكتاب (زبدة الأصول) للبهائي، وكتاب (القوانين) للميرزا القمي.

❏ الفلسفة وعلم الكلام: ويدرس الطالب فيه كتابي: (شرح التجريد) للقوشجي، وكتاب (الأسفار) لصدر الدين الشيرازي المعروف بملّا صدر^(١).

« أما في القرن الرابع عشر الهجري فقد كانت مراحل الدراسة الحوزوية ومناهجها المعتمدة وفق ما بيّنه المرجع الشيخ عبد الله المامقاني^(٢) عن دراسته الحوزوية في العقد الأول من القرن الرابع عشر، وفق ما أورده في كتابه (مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني)، وهي ما يمكن أن تؤخذ كأنموذج واسع لمراحل الدراسة ومناهجها في الثلاثين الأولين من القرن الرابع،

(١) المصدر السابق: ١/ ٤٦٣.

(٢) مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني. الشيخ عبد الله المامقاني. ترجمة المؤلف: ١٥٤ - ١٥٧.

مع زيادة كتاب هنا، أو حذف كتاب هناك.

لقد بدأ المرجع الشيخ عبد الله المامقاني دراسته بختم القرآن الكريم، ثم اشتغل بعده بالدراسة الجادة لبعض الكتب في مقدمات اللغة العربية من نحو وصرف من قبيل (شرح السيوطي)، وحين أتمه بدأ بدراسة (شرح الجامي) في النحو، ثم (الشرح المطول) في البلاغة للتفتازاني، مع جملة من كتب المنطق كـ (الكبرى) و (الإيساغوجي) و (حاشية المولى عبد الله على تهذيب المنطق) و (شرح الشمسية)، و (حاشية المير)، عليها و (خلاصة الحساب)، كلاً منها تماماً.

ثم انعطف على دراسة كتب الفقه والأصول، فدرس كتاب (شرائع الإسلام) ف (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) في علم الفقه، و (معالم الأصول) في علم الأصول، فأتمها لينتقل بعدها إلى دراسة كتاب (القوانين) في أصول الفقه، وكتاب طهارة (الرياض) في الفقه، وإذ أتم دراسة (القوانين)، شرع بدراسة كتاب (الرسائل) في أصول الفقه، وكتاب (المكاسب) في الفقه، توجه بعد الانتهاء من ذلك كله إلى حضور بحوث الدرس الخارج في الأصول والفقه وكتابتها، مع التأليف، والتصنيف في الفقه والأصول وغيرهما.

أما في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر فقد تضمنت دراسة الطالب الحوزوية في النجف الأشرف وفق ما بينه سماحة المغفور له الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي^(١) في مقالته الموسومة بـ (تجربتي مع التعليم الحوزوي) زمن دراسته الحوزوية في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر بما يلي:

(١) تجربتي في التعليم الحوزوي حتى عام ١٣٩١ هـ. الشيخ عبد الهادي الفضلي. محاضرة في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية بالملكة العربية السعودية.

أولاً:

المرحلة الأولى: مرحلة المقدمات

وتدرس فيها العلوم الآتية التي تعتبر مقدّمة للتخصص في الفقه وأصوله وهي:

- « **علوم اللغة العربية** وتشمل علوم: الصرف، والنحو، والبلاغة.
- ❏ ففي "علم الصرف" يدرس الطالب كتابي: (مراح الأرواح)، وكتاب (شرح النظام على شافية ابن الحاجب).
- ❏ وفي "علم النحو" يدرس الطالب الكتب التالية: (الأجرومية)، لابن آجروم، وكتاب (شرح قطر الندى)، وكتاب (شرح ألفية ابن مالك) لابن الناظم، أو ابن عقيل، أو السيوطي، وكتاب (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري.
- ❏ وفي "علم البلاغة" يدرس الطالب فيه الكتابين التاليين: كتاب (مختصر المعاني)، كتاب (المطوّل)، وكلاهما للتفتازاني.
- « وفي **العلوم العقلية**: وتشمل العلوم التالية، علم المنطق، وعلم الكلام، والفلسفة الإلهية.
- ❏ ففي "علم المنطق" يدرس الطالب الكتابين التاليين: كتاب (حاشية ملاً عبد الله على التهذيب)، كتاب (شرح الشمسية) للقزويني.
- ❏ وفي "علم الكلام" يدرس الطالب فيه كتابي: (شرح الباب الحادي عشر) للمقداد السيوري، وكتاب (كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد) للعلامة الحلي.

وفي "الفلسفة الإلهية" يدرس الطالب فيها الكتابين التاليين: (شرح منظومة السبزواري) في المنطق والحكمة، وكتاب (الحكمة المتعالية) المعروف بكتاب (الأسفار) لملاً صدرا^(١).

ثانياً:

المرحلة الثانية: مرحلة السطوح

اسم لدراسة التلميذ في الكتب الدراسية، وسميت سطحية لأنه لا يطلب فيها من الطالب أكثر من فهم ما في الكتاب، والذي يفهم الكتاب ويحفظ مضامينه يسمى محصّلاً ومشتغلاً، ولا يسمى فاضلاً ولا عالماً ولا متجزياً ولا مجتهداً^(٢).

ومرحلة السطوح هي المرحلة التي يدخل فيها الطالب مرحلة التخصص من خلال دراسته للكتب الاستدلالية متدرجة من الأبسط إلى الأعمق بحسب مستوى الطالب وفي علوم الشريعة ومقدماتها من خلال الكتب التالية:

« علم أصول الفقه: ويدرس الطالب فيه الكتب التالية:

كتاب (معالم الدين) للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

وكتاب (قوانين الأصول) للقمي، كتاب (الكفاية) للأخوند الخراساني.

وكتاب (الرسائل) للشيخ الأنصاري.

(١) أخالف ما ذهب اليه الشيخ الفضلي من أن مرحلة المقدمات تشمل بعض ما ذكر وخاصة كتاب (الأسفار) فهو كتاب عميق فوق مستوى الطالب في هذه المرحلة.

(٢) حجر وطن. الشيخ محمد تقي الفقيه: ١٨٥/٤. هامش رقم ٢.

« علم الفقه: ويدرس فيه الطالب الكتب التالية:

❏ كتاب: (الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة)، المتن للشهيد الأول، والشرح للشهيد الثاني.

❏ كتاب (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري.

ثالثاً:

المرحلة الثالثة: مرحلة البحث الخارج

وسمّيت بذلك لأن الدراسة فيها تعتمد طريقة المحاضرة، أي أن الدرس فيها يكون خارج الكتاب، وتقتصر الدراسة في هذه المرحلة -غالباً في عصرنا الحاضر- على أصول الفقه، والفقه، ولكن بمستوى الاستدلال المعمق.

وبعبارة أوسع: إن بحث الخارج، أو البحث الخارج: اسم للدراسة بدون كتاب، وهي عبارة عن محاضرات علمية عالية في الفقه والأصول، وغيرهما، يلقيها الأستاذ بدون كتاب، ولا كتابة، يشرع فيها من أول مسائل العلم، وينتهي بآخره، وبنهاية البحث الأخير من الدورة العلمية البحثية تنتهي تمام مسائل ذلك العلم، ويسوغ للطلاب مطالبة الأستاذ بالبرهان الكامل على كل ما يقوله، فالأستاذ لا بدّ أن يكون مستعداً ومتسلحاً بأعظم سلاح من قوة التفكير، وسعة الاستقراء، ودقة الملاحظة والاستقصاء.

وهي دروس ارتجالية، إلّا أنها محضرة من ذي قبل، ولا يتيسر ذلك إلّا لمن زاول تدريس السطوح مدة، ودوّن ملاحظاته وملاحظات أساتذته، ومن درّس

خارجاً بدون ذلك، يعرّض نفسه لاستخفاف فضلاء الطلاب به^(١).

هذا ما كان في أواخر القرن الرابع عشر، أما في الثلث الأول من القرن الخامس عشر الهجري، وهو قرننا الحالي، فقد استقرت المراحل الدراسية فيه على ما كانت عليه في أواخر القرن الذي سبقه، مع تعديل جزئي في المناهج المعتمدة دراسياً، وهو ما سأتناوله مرحلة دراسية مرحلة في الفصول القادمة.



(١) المصدر السابق.



الفصل الرابع

مرحلة المقدمات

مناهجها الدراسية المعتمدة وكتبها المقررة،
طريقة تدريسها، ومحاولات تطويرها،
وبرنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرسيها

يتضمن هذا الفصل مباحث أربعة هي:

المبحث الأول

المناهج الدراسية المعتمدة وكتبها المقررة في مرحلة المقدمات

المبحث الثاني

المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبها المقررة في هذه المرحلة

المبحث الثالث

طريقة التدريس المعتمدة في هذه المرحلة

المبحث الرابع

برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرسي مرحلة المقدمات



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منها

المبحث الأول

المناهج الدراسية وكتبها المعتمدة في مرحلة المقدمات

يدرس طالب الحوزة العلمية الدينية في النجف الأشرف، أول ما يدرس عادة في مرحلة المقدمات، العلوم المساعدة لتخصصه الدقيق في علم الفقه، وأولى مقدمات هذه العلوم المساعدة علوم اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، مركزاً طالبها اهتمامه البالغ على علوم اللغة العربية في هذا الدور من حياته الدراسية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولغة السنّة الشريفة، بل ولغة المصادر الأصيلة لموضوع تخصصه في الشريعة الإسلامية، خاصة بعدما باتت تشهده لغتنا العربية الجميلة من ضعف كبير وانحطاط مقلق، إلى حدّ بات يخشى عليها من ازدياد تأثيرات العجمة على فصاحتها، ناهيك عن ركافة في الأسلوب، وضعف في التعبير، وأغلاط لا تعد ولا تحصى في النحو والصرف والاشتقاق عند من يفترض فيهم عكس ذلك، فضلاً عن غيرهم، ولعل من أسباب تركيز الحوزة العلمية في النجف الأشرف على صون اللغة العربية وآدابها، مما دخلها من عجمة أو طغى عليها من لحن، علم رجالات الحوزة: بأن اللغة العربية لم تلق من الإعراض والإهمال في تاريخها الطويل، ما لاقته في القرون المتأخرة، قبل عصر النهضة^(١).

وهذا ما يدعونا إلى الاعتراف بما أسدته مدرسة النجف الأشرف إلى لغة القرآن الكريم من فضل وما بذلته في سبيلها من جهد، وخاصة بعد محاولات

(١) الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. الشيخ محمد مهدي الآصفي: ١٧.

التريك الشرسة التي مارستها الدولة العثمانية ضد اللغة العربية، بل ضد الحوزة نفسها، وهو ما تناولته في الكتاب الأول من بحثي هذا.

لذلك كله وغيره، فقد ركز منهج الحوزة اهتمامه الكبير في مرحلة المقدمات على هذه العلوم، وأعطاه المساحة الكبيرة من عمر الطالب العلمي في سنّيه الأولى. ويأتي في مقدمة علوم العربية العلوم التالية:

« علم النحو والصرف

وهو أول علم يبدأ به طالب الحوزة العلمية دراسته الحوزوية متدرجاً من دراسة كتاب (الأجرومية) لأبي عبد الله بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بـ(ابن آجروم) (ت ٧٤٣ هـجـ / ١٣٤٢ م) وهو كتاب أولي في دراسة النحو العربي إلى دراسة كتاب (قطر الندى وبلّ الصدى) لجمال الدين محمد بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـجـ / ١٣٥٨ م) وهو أوسع من سابقة وأكثر تفريعاً وتنوعاً، فإذا انتهى من دراسته عكف على دراسة كتاب (ألفية ابن مالك) في النحو والصرف لمحمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت ٦٧٢ هـجـ / ١٣٠١ م) وهو أرجوزة نظمت النحو العربي في ألف بيت ليسهل حفظه والرجوع إليه والاستشهاد به متى دعت الحاجة إلى ذلك، ولألفية ابن مالك أكثر من شرح، منها شرح ابن الناظم، ناظم الألفية لأرجوزة أبيه، ولعل هذا الشرح هو أفضل الشروح، وإن كان أكثرها تعليلاً نحوياً وتجريداً فكرياً، ويحتمل أن يكون هذا هو سبب ميل حوزة النجف الأشرف وأساتذتها إلى تدريسه سابقاً قبل أن يقلّ تدريسه شرح ابن الناظم تدريجياً لصالح تدريسه شرح ابن عقيل على الألفية، لكون شرح ابن عقيل شرحاً أقلّ تعليلاً نحوياً من شرح ابن الناظم.

ومما ساعد على ميل طلاب حوزة النجف الأشرف إلى شرح ابن عقيل على الألفية صدور وانتشار طبعة محققة منه للباحث النحوي المصري المعاصر الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد (ت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) حرص محققها على ضبط الأمثلة والشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي، ثم يشرح الشيخ الأبيات شرحاً وسطاً، مع إعرابها كاملة مستعملاً عبارة سهلة وأسلوباً قريباً، وقد يتوسع أحياناً في الشرح، ويتعرض للمسائل الخلافية معقّباً أو مرجحاً أو مفسراً.

ثم بعد انتهاء الطالب من دراسة الألفية وحفظها أو حفظ جملها، نتيجة الدراسة الدؤوبة والتكرار، أو بقصد الحفظ، بعدها يختتم طالب الحوزة دراسته للنحو بدراسة كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري المتقدم ذكره، وربما حرص بعض الطلاب بعد استيعابهم لكتاب (مغني اللبيب)، وتأكيداً لرغبته في التوسع أكثر بدراسة النحو والصرف على دراسة كتاب (شرح النظم على شافية ابن الحاجب)، أو كتاب (شرح الشيخ الرضي على الكافية)، وهذا الأخير من أهم كتب النحو المفصلة، وقد أتم الشيخ الرضي (ت ٦٨٦هـ / ١٢٨٧م) كتابة مؤلفه القيم هذا في النجف الأشرف جوار الحرم العلوي المطهر، وهو ما أشار إليه الشيخ الرضي في آخر كتابه، كما تقدم في الكتاب الثاني من هذا البحث.

« علم البلاغة

تهتم مرحلة المقدمات بثقافة الطالب في علم البلاغة والمعاني والبيان: حيث يدرس طالب الحوزة في هذه المرحلة كتاب (مختصر المعاني) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت ٧٩١هـ / ١٣٨٨م)، ثم يثني بدراسة كتاب (المطول) للتفتازاني أيضاً.

« علم المنطق

في علم المنطق سادت منذ بعض العقود دراسة كتاب (المنطق) للشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م)، بل وربما الاكتفاء به من دون الحاجة إلى المزيد بدراسة غيره، وإن كان قسم منهم لا زال يثني بدراسة كتاب (حاشية تهذيب المنطق) للملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي (٩٨١هـ / ١٥٧٣م)، أو يدرس بعضهم كتاب (تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية) لقطب الدين محمد بن محمد الرازي (ت ٧٦٦هـ / ١٣٦٥م)، أو (شرح الشمسية) لنجم الدين الكاتبي القزويني (ت ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م).

وقد درج الكثير من الطلاب في عصرنا الحاضر ممن يروم منهم التوسع بدراسة المنطق على ترك دراسة الكتاب الأخير والاكتفاء بدراسة الكتاين المتقدمين عليه؛ كونهم ساعين للتخصص في علم الفقه وأصوله، لا في علم المنطق، أو علم الكلام أو الفلسفة.

« علم الكلام

في علم الكلام قد يدرس طالب المقدمات كتاب: (شرح الباب الحادي عشر) الباب للحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المعروف بـ (العلامة الحلي) (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، والشرح للمقداد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن محمد السيوري الحلي الأسدي (ت ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م)، ثم يعقبه بدراسة كتاب (كشف المراد في تجريد الاعتقاد) للعلامة الحلي المتقدم ذكره، وقد يؤجل ذلك إلى المرحلة الدراسية اللاحقة مرحلة السطوح.

« الفقه

أما في مقدمات علم الفقه، وهو موضوع الاختصاص الدقيق لطالب الحوزة العلمية، فيبدأ طالب المقدمات أول ما يبدأ بدراسة رسالة عملية لأحد المراجع العظام من أمثال كتاب (منهاج الصالحين) الذي يتضمن المهم المهم من أحكام فقه العبادات، ثم المهم المهم من أحكام فقه المعاملات.

وكان طالب المقدمات قبلاً يبدأ أول ما يبدأ شوطه العلمي في الفقه بدراسة كتاب (المختصر النافع) لأبي القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي المعروف بـ (المحقق الحلبي) (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) الذي لا يتخطى فيه الكاتب المحقق مرحلة استيضاح وفك مغاليق المتون الفقهية ذات العبارات المحبوكية.

ونظراً للدور العلمي/الدراسي لكتاب (المختصر النافع) فقد تجاوزت شروحه والتعليقات عليه (٥٥) خمسة وخمسين شرحاً وتعليقاً، لأهميته وعمليته.

ثم بعد أن ينهي طالب المقدمات من دراسة (المختصر النافع) في الفقه، يثني بدراسة كتاب (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) للمؤلف نفسه، وكتاب (شرائع الإسلام) من أمتن كتب الفقه الإسلامي، وأوسعها انتشاراً، وأكثرها شروحاً، وأجملها عبارة، وأسبكها نظماً، وأجملها منهجة، حيث قسم المؤلف كتابه بمنهجية عالية إلى أربعة أقسام هي: العبادات، والعقود، والإيقاعات، والأحكام، معللاً وجه حصره مسائل الفقه بهذه الأقسام الأربعة بقوله:

إن المبحوث عنه في الفقه إما أن يتعلق بالأمور الأخروية أو الدنيوية، فإن كان الأول فهو عبادات، وإن كان الثاني، فلا يخلو إما أن يفتقر إلى عبارة أو لا، فإن لم يفتقر فهو الأحكام، وإن افتقر، فإما من الطرفين أو من طرف واحد، فإن كان

الثاني فهو الإيقاعات كالطلاق والعق، وإن كان الأول فهو العقود، ويدخل فيه المعاملات والنكاح^(١).

ثم عكف المحقق الحلي بعد ذلك على كل قسم من هذه الأقسام الواسعة، فقسّمه إلى مجموعة كتب أخص فأخص، ثم انثنى فقسم كل كتاب منها إلى أركان، وفصول، وأطراف، وأنظار، وجعل عند اللزوم لبعض الكتب مقدمة أو خاتمة. ثم عاد فقسّم الأركان والفصول والأطراف والأنظار إلى فقرات، والفقرات إلى بحوث وهكذا.

أما ما يخص منهجته في عرض الأحكام وترتيبها، فقد اعتمد منهج تقديم الواجبات منها، فالمندوبات، فالمكروهات، فالمحرمات، ناصباً على ذلك في معرض بيان سبب تأخير حكم مكروه عن غيره من الأحكام الأخرى بقوله: إنما أخرنا هذا الحكم وهو متقدم في الترتيب لما وضعنا عليه قاعدة الكتاب من البداية في كل قسم بالواجب وإتباعه بالنذب وتأخر المكروه^(٢)

ولقد كان حضي كتاب شرائع الإسلام منذ أقدم الأزمنة بعناية العلماء وطلاب الدراسات الفقهية فكان موضعاً لتدارسهم وشروحهم وتعليقاتهم، ولعل أهم الموسوعات الفقهية التي ألفت منذ عصره حتى عصرنا الحاضر كانت شروحاً له^(٣) عدّ منها محصيا السيد محمد جواد الجلاي أكثر من (٢٠٠) مائتين شرح بأسمائها وأسماء مؤلفيها وتواريخ وفياتهم، محدداً المطبوع من هذه الشروح، وعدد أجزائه، وتاريخ ومكان طبعه، ثم معرّفاً بأهم هذه الشروح وهي:

(١) شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. المحقق الحلي: ١/ ١٨.

(٢) المصدر السابق: ١/ ١٩.

(٣) مقدمة كتاب شرائع الإسلام للطبعة المحققة الأولى. السيد محمد تقي الحكيم: ٤

(مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام) لزين الدين بن نورالدين علي بن أحمد الجبعي العاملي (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م)، و(مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام) لمحمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي (ت ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م)، و(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) لمحمد حسن ابن الشيخ باقر بن عبد الرحيم النجفي (ت ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م)^(١) الذي يعد أكبر موسوعة فقهية كاملة مطبوعة في الفقه الجعفري.

يبد أن الحاجة لاستيعاب دورة فقهية عملية معاصرة تحتوي على مستجدات المسائل الحياتية رجّحت لطالب المقدمات البدء بدراسة الرسالة العملية أولاً.

« أصول الفقه

أما في علم أصول الفقه: فقد يبدأ الطالب أول ما يبدأ بدراسة شيء ما من كتاب (معالم الدين) أو ما يسميه طلبة الحوزة العلمية بكتاب (المعالم) اختصاراً، وهو من تأليف الشيخ حسن نجل الشهيد الثاني (ت ١٠١١هـ / ١٦٠٢م)، أو قد يؤجل ذلك إلى المرحلة اللاحقة، تبعاً لنصيحة شيخه أو أستاذه.

« علوم مساعدة ومطالعات هادفة

يجب أن يدرس طالب الحوزة في مرحلة المقدمات إضافة إلى ما تقدم من علوم دروساً قد تستهوي أستاذه الموجّه له في مسيرته الدراسية، مع قراءات مطلوبة من طالب المقدمات دائماً ذات طبيعة هادفة من أمثال قراءات متأنية في علوم، مثل:

(١) شروح الشرائع. بحث. مجلة فقه أهل البيت. العددان الحادي عشر والثاني عشر من السنة الثالثة.

التفسير والحديث والرجال والتاريخ والسير وفنون الأدب العربي وتاريخه، ودواوين الشعر العربي من خلال حفظ نصوص أدبية بليغة نثرية عالية المضامين كنهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، وخطب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وغيرها.

إضافة لقراءة كتب ثقافية عامة ينتقيها الأستاذ لطلابه، ويحثهم على مطالعتها والاستفادة منها.



المبحث الثاني

المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبتها المقررة في مرحلة المقدمات

مقدمة

لعل من أولى الإشكاليات على نظام الحوزة العلمية وأقدمها هي مشكلة تحديث المنهج التدريسي المتبع تعيُّناً في حوزة النجف الأشرف العلمية، بل وفي الحوزات الدينية عامة، فهذه الإشكالات ليست بجديدة، ولا هي وليدة هذا العقد من الزمن، بل تم تشخيصها منذ زمن، وأشار إلى بعضها المجتهد السيد محسن الأمين خلال ترجمته لنفسه في نهاية موسوعته الضخمة (أعيان الشيعة)، كما اتخذت شكلاً أكثر وضوحاً خلال الثلث الأول من القرن العشرين.

ولعل في مقدمة محاولات تطوير المنهج الدراسي المتبع في مرحلة المقدمات هذه، قد تنوعت بين تأليف كتب دراسية منهجية جديدة لتحل محل الكتب المعهودة المتبعة، وتعديل ما في المنهج المتبع لدراسة علم ما من علوم هذه المرحلة، مع إضافة علوم جديدة لمنهج الطالب الدراسي يقتضيها الوضع الحاضر، وسأعرض ذلك في مطلبين هما:

المطلب الأول:

تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية القديمة

اعتاد طلاب المقدمات على أن يدرسوا الكتب المؤلفة قديماً وهم في أولى مراحلهم الدراسية فيعانون في سبيل فك رموز وإشارات القدماء ما يعانون، ذلك أن الأساتذة في حوزة النجف الأشرف شأنهم شأن أقرانهم في بقية الحوزات العلمية الأخرى لم يفكروا في إيجاد كتب دراسية بديلة تفتح الأبواب أمام الطالب المبتدئ وهو يخوض غمار هذه العلوم الدقيقة والعميقة الغور. فكان الطالب المسكين يواجه أول ما يواجه كتباً مغلقة يحتاج في حلها إلى تعاويد علاوة على الفهم الوقاد^(١).

ولذلك سعى بعض المصلحين بدأب وجرأة إلى تأليف كتب منهجية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية القديمة في مرحلة المقدمات، بعد أن شخصوا الحاجة الماسة لذلك شعوراً منهم بأن طريقة دراسة المقدمات تحتاج إلى جلد كبير في كتبنا القديمة، وهذه الدراسة بجميع شؤونها قد لا يحصل عليها إلا القليل، ومعنى ذلك فقد طبقات كان يمكن أن يكونوا في عداد المحصلين لو أن الدراسة بسّطت لهم، على أن الزمن تطور، فلم يعد الترف الذي ساد جل الطبقات يساعد على خلق الصبر على دراسة ومطالعة هذه الطلاسم المغلقة، وهذا التضايق من الدراسة القديمة أحدث بمعونة غيره من العوامل الكثيرة (...) رد الفعل في نفوس الطلاب، فلم تظفر النجف منهم بالواحد من كل عشرة^(٢).

(١) المنطق. أبو الهادي (السيد محمد تقي الحكيم). مقال. مجلة الدليل. العدد العاشر من السنة الثانية رمضان

١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م. ص: ٥٧٧.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٨.

لقد أخذ الشيخ محمد رضا المظفر على عاتقه فيما أخذ -تلافاً لما تقدم وغيره- تأليف كتاب لتوضيح علم المنطق، ووسمه باسم (المنطق)، ليحل محل كتابي (الحاشية) و(شرح الشمسية).

وقد سادت دراسته بشكل كبير، إما بالاكْتفاء به لوحده في دراسة هذا العلم وهو الغالب، أو بإضافة كتابي (الحاشية) أو (شرح الشمسية) إليه، وهو قليل، أو كليهما، وهو نادر.

ومن الحق أن يقال: إن ساحة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر قد قدم خدمة جليلة لدارسي علم المنطق، ممن هم في هذه المرحلة، مرحلة المقدمات بتأليفه كتابه المنهجي (المنطق)، مثلما قدّم خدمة جليّ لدارسي علم أصول الفقه ممن هم في مرحلة السطوح بتأليفه كتابه في (أصول الفقه) كما سيأتي، فهذان الكتابان يعتبران فتحاً كبيراً في هذا الباب، ولا يجد الباحث عسراً كثيراً ليلتمس الجهد الكبير الذي بذله الشيخ الفقيه لتبسيط المنطق والأصول في هذين الكتابين، مع صعوبة المادة في ذاتها. ولا يقتصر الجهد التجديدي الذي بذله الشيخ المظفر في هذين الكتابين على تبسيط العرض، ففي هذين الكتابين وجوه أخرى من التجديد والتطوير لا توجد في الكتب الأخرى المؤلفة قبلهما في هذين العلمين.

وقد حاول الشيخ المظفر أن يجاري في هذين الكتابين أحدث المناهج التأليفية في كتب الدراسة الجامعية من العرض والتبسيط والتمثيل والتمرين والتنسيق والتعليق. وحبذا لو قام أعلام الفكر من أمثال الفقيه بالإشراف على تأليف الكتب الدراسية من جديد وفق المناهج الحديثة^(١).

(١) الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. سابق: ١٠٧.

فمن الجدة في تأليفه لكتابه المنطق مثلاً أتباعه خطة لبحث الموضوعات المنطقية ومنهجتها، أخذ فيها واضعها قدرتها على أن تسلسل الموضوعات تسلسلاً هو الآخر (منطقياً)، كموضوع الكتاب نفسه، فالموضوع اللاحق يبتني على سابقه بحيث لا يمكن للقارئ أو الدارس المبتدئ فهم الموضوع اللاحق والإلمام به إلماً مستوعباً إلا بالمرور عبر سابقه، من خلال قراءة متعمقة، أو دراسة متأنية، فالموضوعات تتسلسل تسلسلاً (منطقياً) بحيث تسلم واحدتها للأخرى بسلسلة أسلوبية، تتعاضد وتتآزر مع سلاسته المنطقية والمنهجية وتأخذ بزمامها لتشبع نهم القارئ المعرفي، من غير حاجة إلى إحالته إلى مصدر آخر كي يستوضح المعنى (المنطقي) المقصود بالبحث، ولا الطلب إليه بأن يراجع موضوعاً لاحقاً سيأتي بحثه فيما بعد كي يستوضح سابقه، وهكذا.

ومن مظاهر هذه الجدة أيضاً توظيفه لعلامات يستعملها علم الرياضيات في علم المنطق، كما فعل خلال بحثه للنسب الأربعة عند المناطقة، أو عند بحثه لموضوع القسمة.

ومنها كذلك بعض الابتكارات التي أدخلها على العلم كتعريف الحركات الفكرية على نحو ما هو موجود في الجزء الأول، وعرضه لموضوع التناقض عرضاً مفصلاً ملحقاً بفوائد لم تعرض في الكتب المتداولة على نحو ما عرضه، كذكره للتداخل والقضاء، ثم يدخل في العكوس ويلحقها بالنقض وهو مبحث لا يقل في قيمته عن مباحث العكوس، وإن أهملت تفصيلاته في بعض الكتب، وبعدها يدخل في القياس فيعرض له بجميع أقسامه وأشكاله، والقياس هو الغاية تقريباً من علم المنطق، وبه وبالتعريف كما يقولون يعصم الفكر عن الخطأ

وهذا المبحث من أجل مباحث الكتاب، وبه يظهر عمق المؤلف ومقدار تمكنه من هذا العلم... على أن الكتاب إذا قيس بالمنطق المبحوث في الجامعات العربية ظهر أثر الفرق بينه وبين ما يدرس هناك، وحسب العلامة المظفر أنه أخذ أطايب ما يقرأ هناك وما في المنطق القديم، ثم أضاف إليها تجاربه الخاصة فكان منها كتاب المنطق^(١).

لقد حاول الشيخ المظفر في تأليفه لكتابه المتقدم أن يأخذ الحد الوسط في طريقة العرض، فلم يأخذ بالطريقة الاستقرائية كما يصنع جل المحدثين، ولم يبق على الطريقة التقريرية كما صنع جل القدماء، والطريقة التي أخذ بها هي المثلث رغم اعتراضات بعض الكتاب عليه لعدم التزامه بالطريقة الاستقرائية في حين أنهم لم يلاحظوا قابليات الطلاب التي ألف كتابهم من أجلهم^(٢).

هذا إضافة إلى وضعه أسئلة بعد نهاية كل مبحث في الكتاب هدفها استكشاف مدى إحاطة الطالب بمبحثه الذي درسه من خلال آلية محددة لاختبار معلومات القارئ أو الطالب تهدف إلى استكشاف مدى ما استوعبه الطالب من مبحثه الذي أتمه وختمه، وهي طريقة لم تعتد عليها كتب الدراسة الحوزوية من قبل، كما أن طريقة وضعه لها تنبئ عن فهم دقيق لكيفية وضع أسئلة قادرة على تحديد مدى استيعاب الدارس لدرسه، وهي قدرة لا يمتلكها إلا دارس أصول علم التربة وطرائق وضع الأسئلة الكاشفة عن المستوى المطلوب اكتشافه. وغير هذا وذاك من جودة الكتابة والتأليف كثير. هذا فيما يتعلق بالمنهج الدراسي المتبع في علم المنطق أما في علم أصول الفقه لمرحلة المقدمات فقد ألف بعد حين

(١) المنطق. سابق. مقال: ٥٧٩.

(٢) المصدر المتقدم نفسه.

المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر الحلقة الأولى من حلقات ثلاث في علم الأصول سيأتي الحديث عنها مفصلاً لاحقاً.

كما ألف المرجع الحالي سماحة الشيخ بشير النجفي كتاباً تمهيدياً في علم الأصول أسماه (مرقاة الأصول) ليكون بديلاً عن كتاب (معالم الدين) نظراً إلى المشاكل التي تواجه الطالب حين افتتاحه علم الأصول -يقول المرجع الشيخ بشير النجفي: وقد سبرتها أيام دراستي للمعالم وما يضاهيه من الكتب - أضمرت في نفسي وضع كتاب يتكفل تعبيد سبيل الأصول للمبتدئ وتخفيف الصعوبات العائقة عن التدرج السريع نحو البحوث العليا^(١).

وقد عرّج في مقدمة الكتاب على ذكر كتاب (معالم الدين) وبيّن رأيه في تدريسه لطالب الحوزة كمقدمة أولى في علم الأصول فقال المؤلف أنه يفرض على الطالب دراسة (معالم الدين) في الأصول مع أنه ليس كتاباً أصولياً، إنما هو كمقدمة لموسوعة فقهية مفقودة كما يرشد إليه عدوله عن تعريف الأصول إلى تعريف الفقه، ولم يلتزم المؤلف تذليل المسائل وإبرازها على نهج يسهل على المبتدئ انتهاجه... ولا أبغي من وضع هذه الرسالة الموجزة اتباع المنهج المؤلف في البحوث الأصولية السامية فإنها بمعزل عنه تنشُد غاية أخرى تمتاز بها عن مقاصد تلك البحوث، فإنها تحاول أن ترسم إطاراً يعم جملة من مباحث الأصول شمولاً إجمالياً ليوقف الطالب على عتبات هذا العلم^(٢).



(١) مرقاة الأصول. الشيخ بشير النجفي كلمة المؤلف: ١.

(٢) المصدر السابق.

المطلب الثاني:

إجراء تعديل على المنهج الدراسي المتبع في مرحلة المقدمات

أما فيما يتعلق بالمطلب الثاني الخاص بإجراء تعديل على المنهج المتبع في مرحلة المقدمات فقد شمل ذلك عدة مواد، ففي مادة علم الفقه، وحرصاً من أساتذة الحوزة العلمية على اجتياز الطالب دورة أساسية أولية بعلم الفقه، وحثاً له على الإحاطة بفتاوى المرجع الأعلى أو المرجع المقلد، إما لعمل الطالب نفسه بها إذا كان مقلداً للمرجع المعين صاحب الرسالة العملية التي يدرسها، أو للإجابة عن أسئلة سائليه من مقلدي ذلك المرجع المعين نتيجة كثرة مقلديه وحاجتهم إلى سؤال طالب الحوزة عما يعن لهم من أسئلة.

فقد درج طلاب المقدمات بحثاً من أساتذتهم على دراسة (رسالة عملية) لمرجع معاصر منتشر تقليده في زمنهم أولاً، قبل الشروع بدراسة كتب الفقه المقررة في سلم الدراسة الحوزوية، ولعل من أشهر هذه الرسائل العملية التي ساد تدريسها مؤخراً كتاب (المسائل المنتخبة) للمرجع الأعلى في حينه سماحة السيد الخوئي، ثم دراسة كتاب (منهاج الصالحين) بجزأيه له أيضاً، أو (المسائل المنتخبة) لسماحة المرجع الأعلى اليوم السيد السيستاني وهو كتاب فقهي مختصر، ثم (منهاج الصالحين) بأجزائه الثلاثة له أيضاً وهو أوسع من سابقه بكثير، أو كتاب (منهاج الصالحين) بأجزائه الثلاثة أيضاً لسماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم، وأشبه هذه من الرسائل العملية الأخرى، وغير قليل من طلاب الحوزة الجدد من يبدأ دراسته للفقه بدراسة كتاب (منهاج الصالحين) ابتداءً، دون المرور بكتاب (المسائل المنتخبة) المختصر، ثم بعد انتهاء الطالب من دراسة هذه الدورة الأولية

الأساسية لأبواب الفقه وفروعه ومسائله من خلال إمامه إماماً تفصيلياً مستوعباً لرسالة عملية معاصرة بمسائلها المستجدة، فقد يثني طالب المقدمات بدراسة كتاب: (المختصر النافع في فقه الإمامية) للمحقق الشيخ جعفر الحلي، أو ينتقل مباشرة من (الرسالة العملية) إلى كتاب: (شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام) بأجزائه الأربعة للمحقق الحلي نفسه، وهو ما بدأ يسود اليوم.

وفي مادة علم النحو، فقد بدأ العديد من طلاب هذه المرحلة -بعد إتمامهم لدراسة كتاب (قطر الندى وبل الصدى)، وبحث قوي من أساتذتهم - بدراسة (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) لتحل محل دراسة (شرح ابن الناظم على ألفية أبيه) لأن البديل أكثر فائدة عملية لطالب النحو، وأقل تعليلاً نحوياً لمسائلها، وتجريداً فكرياً لمطالبها.

فإذا انتهى طالب المقدمات من دراسة (الألفية) عكف على دراسة (مغني اللبيب) لابن هشام.

ولقد كان سائداً قبل عصرنا الحاضر أن يدرس طالب النحو في حوزة النجف الأشرف -بعد إتمامه دراسة كتاب (المغني) - كتاب (شرح الشيخ الرضي على الكافية)، محتتماً به دراسة النحو المعمقة، إلا أن دراسة هذا الكتاب الذي انتهى نجم الأئمة الشيخ الرضي من تأليفه جوار الحضرة العلوية المطهرة في النجف الأشرف وأهداه لمكتبتها العلوية، بدأت تنحسر شيئاً فشيئاً، لأن الطالب بدأ يعتبر دراسته له -وهو الكتاب العميق في النحو وفلسفة اللغة العربية- زيادة على حاجته العلمية، كونه لا يبغي من دراسته للنحو التخصص الدقيق فيه، بل إن دراسته لا تعدو أن تكون مقدمة لدراسة الفقه وأصوله المستلزم لفهم واستيعاب

واستظهار واستنطاق النص الشرعي قرآناً كريماً، وحديثاً شريفاً، وكتباً فقهية للأقدمين، مع كل ما يمت إلى استنباط الحكم الشرعي منها أو يعين عليه بصلة، من تفاسير لمحكم الكتاب الكريم والحديث الشريف إلى كتب الفقه وأصوله إلى متون الكتب التراثية عامة، ولعلمهم أصابوا في حذف الزائد من مواد الدراسة، وإن كانت نافعة، بل وأحسنوا التخطيط التربوي لمواد دراستهم التخصصية ومقدماتها.

أما في مادة (علم البلاغة) فقد بدأت تسود تدريجياً دراسة كتاب: (البلاغة الواضحة) للأديبين: علي الجارم ومصطفى أمين، حيناً، وكتاب: (جواهر البلاغة) لأحمد بن إبراهيم الهاشمي، أو كليهما كأول ما يدرسه الطالب المبتدئ في هذا الفن، وكلا الكتاين المتقدمين من الكتب البلاغية الحديثة التأليف.

ثم يشني الطالب بدراسة كتاب (مختصر المعاني) لمسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، ويكتفون عنده من علم البلاغة بذلك، أما ما قبل هذه المرحلة، فقد كانوا يدرسون كتاب (المطوّل) للتفتازاني خائضين عبابه المتلاطم، مستنرفين الكثير من الوقت والجهد فيه، حتى قال قائلهم في مقال منشور له عام (١٩١٣م) ما نصه: المطول: عبارته أشكل من معناه، وفيه من النحو وفلسفته، والمنطق وأدلته، وغيرها من العلوم، أكثر مما فيه من علمي المعاني والبيان.

ويعزى السر في هذا التحول إضافة لما تقدم إلى شعورهم -محققين- بزيادته عن حاجتهم التخصصية.



المطلب الثالث:

إضافة مادة دراسية على المناهج الدراسية المعتمدة
في مرحلة المقدمات

أما فيما يتعلق بالمبحث الثالث الخاص بإضافة مادة جديدة لهذه المرحلة الدراسية، فقد أُلّف أحد أعلام الحوزة كتاباً في (علم الرجال) ليضاف إلى منهج هذه المرحلة، نتيجة حاجة الطالب إلى دراسة هذا العلم لقابل أيامه، فقد كتب الشيخ باقر الإيرواني كتابه الموسوم بـ(دروس تمهيدية في القواعد الرجالية) مشخصاً شدة الحاجة إليه بقوله: فتحت عيني في مدرسة النجف الأشرف الحبيبة في فرعي الفقه والأصول، ولم أجد إلى جانب ذلك فرعاً في علم الرجال وقواعده، وإنما كنت أقرأ في تراجم الأعلام أن فلاناً قرأ الرجال على فلان من دون أن ألمس على مستوى التطبيق شاهداً.

وأنهت مرحلة السطوح، ودخلت مرحلة الخارج، وليس لي إلمام من قرب أو بعد بالقضايا الرجالية... وكنت أسمع بعض القضايا الرجالية من هذا العلم أو ذاك عند حضوري بحث الخارج، الأمر الذي أشعني بوضوح بالطفرة... فما هي طرق ثبوت الوثاقة؟ وكيف نعرف أن فلاناً ثقة أو لا؟ وما هو ضابط حجية الرواية؟ وما هي التوثيقات العامة؟ ... وكنت من عشاق النكات الرجالية، وأحب الأستاذ أو الكتاب الذي يبين لي مجموعة من النكات الرجالية لأرتوي بذلك^(١).

أما موضوعات الكتاب ومقدمته وفصوله، فقد عرضت المقدمة لمنهج الكاتب لكتابه حيث قسّمه إلى قسمين: قسم يرجع له الطالب بداية أمره والقسم

(١) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية. الشيخ باقر الإيرواني: ٥-٨.

الثاني لا يختلف عن الأول إلا بالتوسع قليلاً^(١)، فكان القسم الأول منه لمرحلة المقدمات، والثاني لمرحلة السطوح التي سيأتي الحديث عنها في الفصل القادم.

هذا وقد قسم الشيخ الإيرواني كل قسم من هذين القسمين الأساسيين إلى مدخل وفصول أربعة. تحدث في الفصل الأول عن طرق إثبات وثاقة الراوي، والتوثيقات العامة، ومدرك حجية قول الرجالي، وتحدث الكاتب في الفصل الثاني من قسمه الثاني عن أقسام الحديث، وخصص الباحث الفصل الثالث من كتابه لنظرات في بعض كتب الحديث، وتناول في الفصل الرابع منه نظرات في بعض كتبنا الرجالية، متبعاً المنهج نفسه في القسمين، مع توسعة أكبر في مادة القسم الثاني، وعمق أكثر في الموضوع المطروح للدراسة. وقد تخللت مباحث القسم الأول من الكتاب وفصوله أربعة تطبيقات عملية، وخمسة تمارين، تقاسمت كل تمرين العديد من الأسئلة محل الابتلاء.

أما ما يتعلق بمواد العقيدة في مرحلة المقدمات، فقد بدأ بعض الأساتذة والمربين يرجح للطلاب دراسة كتاب (عقائد الإمامية) للشيخ محمد رضا المظفر ثم يثنّي بدراسة كتاب (الباب الحادي عشر) للعلامة الحليّ أبي منصور جمال الدين الحسن بن يوسف الحليّ.

وفيما يتعلق بإضافة كتب جديدة أو علوم جديدة محبذة تستهوي الطالب حيناً، أو تستهوي أستاذه الموجه له في مسيرته الدراسية أحياناً لينصح الطالب بقراءتها، فقد ينصح الأستاذ طالبه بدراسة كتب محددة في علوم نافعة له من أمثال علوم: التفسير، والحديث، والرجال، والتاريخ، والسير، وفنون الأدب

(١) المصدر السابق: ٩.

العربي وتاريخه، ودواوين الشعر، إضافة لقراءة كتب ثقافية عامة ينتقيها الأستاذ لطلابه ويحثهم على مطالعتها والاستفادة منها مع قراءات كثيرة مطلوبة من طالب المقدمات عادة.



المبحث الثالث

طريقة التدريس المعتمدة في مرحلة المقدمات

وسأتناولها من خلال نقاط عدة:

شرح الدرس

تختلف طريقة التدريس في الحوزة العلمية باختلاف المرحلة الدراسية التي يمر بها الطالب، ففي حين تعتمد مرحلتا المقدمات والسطوح على شرح الأستاذ لعبارة الكتاب المقرر أولاً، حيث يقرأ الأستاذ من كتاب مفتوح بين يديه، جملة تامة، تنهض بفكرتها العامة لوحدها، ثم يقوم بتفكيكها شارحاً، ومفسراً، ومعلقاً، وممثلاً بمثال أو أكثر لتوضيح مقصده، مستعيناً غالباً بصوته في المد، والوقف، والرفع، والخفض، وبلمحات وجهه الموحية، وحركات يديه المعبرة لإيصال الفكرة لتلميذه بجلاء، وربما يعتمد الأستاذ أحياناً كما بتنا نرى مؤخراً على شرح مقطع من مقاطع البحث بإيجاز، قبل البدء بقراءة متن الكتاب، فإذا انتهى من شرحه الموجز ثنى بقراءة النص الذي شرحه بإجمال قبلاً، فقرة فقرة، مع تفكيك عبارة متن الكتاب المقرر، بترؤ وأناة، بمعية ما تقدم من شرح أول الدرس، حتى إذا تيقن الأستاذ أن الفكرة قد وصلت إلى تلميذه على الوجه الأكمل، جلية واضحة، بنى عليها فأردفها بأختها، موصلاً المقطع بالمقطع، والفكرة بالفكرة وهكذا.

وقد يعقب الأستاذ شرحه لمتن الكتاب باستعراض المهم من النقود الواردة عليه والإشكالات المتوجهة اليه، مما تضجج بها حواشي الكتاب عادة، ثم يدلي

الأستاذ برأيه فيها، مناقشاً، ومنتهاً إلى رأي، وقد يزيد الأستاذ المحاضر فيستطرد بتبيين استطرادات موحية يتوسع بها عما هو مقرر في متن الكتاب المقرر وحواشيه، لزيادة معارف الطالب، وتوسيع أفقه العلمي، للفت نظر الطالب إلى أمر علمي خفي، لا يتبادر إلى ذهنه عادة، إلا بالإشارة إليه والوقوف بتأنٍ عنده، وخاصة إذا لمس الأستاذ في طالبه نضجاً، وحباً للمعرفة، وتشوقاً للاستزادة منها، وهو ما يستحق من أستاذه أن يمدّه بما هو أوسع من الكتاب المقرر وحواشيه لتنمية قدراته ومهاراته.

وكثيراً ما ينتهي الدرس بإشكالات واستفسارات من الطالب، وأجوبة عنها من أستاذه، بما قد ترتفع معه سخونة النقاش إلى حدّ ارتفاع وتيرة الصوت لإثبات المطلوب.

يجري هذا كله والطلاب متعلقون حول الأستاذ، جالسين على الأرض، يستمعون لدرسه منصتين، في حلقة قد تكبر أو تصغر نتيجة لأسباب عديدة، تدخل فيها المادة الدراسية، وشهرة الأستاذ العلمية، وحسن بيانه، وشدة توضيحه، وسعة صدره، لتقبل النقاش، والإجابة عن أسئلة طلابه، وأمثال ذلك.

المباحثة

فإذا انتهى الأستاذ من درسه وتفرق الطلاب جرت العادة أن يتفق اثنان منهم فصاعداً على وقت ومكان محددين لما يطلقون عليه لفظ (المباحثة)، وهي إعادة لشرح درس من الدروس مضت على تدريس الأستاذ له فترة غير بعيدة، بما يُضمن معها ابتعاد الطالب عن أجواء ذلك الدرس الخاص، ونسيانه لعبارات أستاذه كي يُحرز أن الطالب مستوعب للدرس، ومتفهم لمطالبه، وليس مردداً

لألفاظ مدرّسه تردّد الحافظ وليس الفاهم، حتى إذا حان وقت المباحثة المتفق عليها بين الزملاء هبّ أحدهم لإلقاء الدرس على زميله أو زملائه، متخذاً هيئة أستاذه، شارحاً درسه، مجيباً عن إشكالات رفيقه في الدرس أو رفقائه، وهكذا بالتناوب بين الزملاء على الأستاذية يوماً، وعلى إعداد الأسئلة التي قد تتطلب منه أو منهم مراجعة كتاب أو كتب مساعدة كي يثبت كل منهم أمام زميله أو زملائه أنه متابع ومستحضر ومجد ومتابع، وهكذا بالتحضير المستمر، والمران على توجيه الأسئلة والإجابة عنها، تتطور العملية التعليمية باطراد ودربة.

ومما يزيد من أهمية المباحثة في تثبيت المعلومة في ذهن الطلاب المتباحثين، كثرة الأسئلة والاستفسارات التي يلقيها بعضهم على الطالب الذي اتخذ هيئة الأستاذ في هذه الحلقة، فقد كان يحصل كثيراً أن تمنع هيئة الأستاذ الطالب من توجيه إشكاله على معلومة ما وردت في بحث الأستاذ، بينما يستسهل الطالب توجيه الإشكال إلى زميله كي يحله له، فإذا قدر له أن لا يجد ضالته العلمية في دفع إشكاله من خلال جواب رفيق بحثه، عندئذ لا يجد أو لا يجدان بدءاً من أن يتوجه أو يتوجه حينها للأستاذ كي يحل له أو لهما الإشكال العلمي العالق.

كتابة الدرس

يجب على طالب الحوزة المجد أيضاً -إضافة لما سبق من حضور الدرس والمباحثة فيه- أن يكتب كل يوم درسه، ثم يحمله كل مدة إلى أستاذه كي يراجعه ويلاحظه ليتعرف على مستوى فهم تلميذه لدرسه، وطريقة تدوينه له، ومدى دقة عبارته في توصيل المبنى العلمي الذي درسه. وشيئاً فشيئاً يزداد تركيز المطلب في ذهن الطالب وتحسن أدواته التعبيرية عنه.

تقييم طريقة التدريس في هذه المرحلة

أما لو أمعنا النظر في طريقة التدريس في المرحلتين السابقتين من مراحل الدراسة الحوزوية مرحلة المقدمات ومرحلة السطوح لوجدناها تتردد بين الطريقتين اليونانيتين، طريقة التحليل، وطريقة التفسير.

أما الأولى فهي أن يتناول الأستاذ الموضوع ويجزئه إلى أقسام، ثم يتناول كل قسم على حدة ويجزئه إلى أجزاء، وهكذا يقسم ويحلل حتى يصل إلى أدق الأقسام فيتناولها، ويبحث في العلل والعلاقات والمعاني والألفاظ، وقد اشتهر العراق بهذه الدراسة، فكان الأستاذ يكثر في تقدير الموضوع جرياً وراء الفروض والاحتمالات على سائر الوجوه، وقد قدم أحد العلماء على مالك في المدينة المنورة وقد كلفه أصحابه أن يسأل مالكا، وكلما أجاب يقول له: فإن كان كذا، وبعد الجواب يكرر: فإن كان كذا، حتى ضاق مالك فقال: هذه سلسلة بنت سلسلة، إن أردتها فعليك بالعراق.

ومن شهرة العراقيين بأسلوب التدقيق في البحث والتحري والاستقصاء والتعمق قول علماء المسلمين منذ القدم: إن الرجل الذي يكثر تقاطيعه بالسؤال والتفريع يُسأل: أعراقي هذا؟ وهذه هي بعض آثار المنطق السرياني واليوناني في العراق.

أما طريقة التفسير والشرح فهي أن يضع الباحث نص القضية فيدرسها ويأخذ بتفسيرها من جميع الوجوه الممكنة ويختار الوجه الذي يناسبه والتفسير الذي يتذوقه، ويغلب على الأسلوب العلمي النجفي في التحرير والتقرير

أسلوب محاورات سقراط المعروفة التي يسمونها اليوم طريقة السؤال والجواب^(١).

منذ بداية دراسته الحوزوية وحتى نهايتها فعندما يفتح الطالب عينيه لأول مرة على كتاب الأمثلة وهو رسالة صغيرة في الاشتقاق يبتدئ به الطالب النجفي حياته الدراسية يواجه هذه الجملة: (اعلم رعاك الله) فيدعو الأستاذ الطالب أن يسأل نفسه: لماذا ابتداء المصنف الكتاب بقوله: (اعلم) دون أن يقول: (اقرأ)، فيجيب الأستاذ عنه، بعد أن يعجز الطالب عن الإجابة طبعاً، بأن الغرض من الدراسة ليس هو القراءة والحفظ بل النظر والفهم.

وهكذا يتدرج الطالب الناشئ منذ أولى خطواته في هذه الحياة الجديدة على النظر والتفكير والمناقشة والنقد^(٢).

إن طريقة السؤال والمناقشة الحرة إحدى أهم طرق التعليم التي أقرتها التربية الحديثة، وأكدت عليها مدرسة التساؤل التربوية وفلسفة التربية عندها جزء من فلسفة السؤال المستمر، والتساؤل الذي لا يفتر (...) وعلى هذا الأساس تتحول فلسفة التربية إلى طاقة للسؤال، ومنبع للاستفهام لا يتوقف عن مناقشة العملية التعليمية، والكشف عن معانيها، وبذلك لا يبدأ التعليم أو يستمر من غير أسئلة تناقش أسسه ومسلماته، ولهذا فإن نجاح العملية التربوية يكون على مدى قدرة الطالب على السؤال^(٣).

(١) الأحلام. الشيخ علي الشرقي: ١٣٧.

(٢) الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. سابق: ٢٤.

(٣) دراسات في فلسفة التربية. حسان محمد حسان: ٤٢.

المبحث الرابع

برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسيها (الشيخ حيدر الشيخ محمد الخاقاني أنموذجاً)^(١)

ليس من الإنصاف أن يطلب من مثلي أن يكتب عن نفسه لما يختلجه من مساوئ الأخلاق ولكن ليس للعبد أمام من لا يرد طلبه إلا الطاعة والاستجابة فتوكلت على الله العاصم ونظرت إلى أيامي فوجدتها، تبتدئ عند الفجر بنافلتها وفريضتها وبعض الأذكار بما يسمح به الوقت، تشاركني به أهلي وربما أولادي أيضاً لننال ثواب صلاة الجماعة.

ثم أتمياً للخروج إلى الدرس سابقاً إياه بزيارة لسيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام مقتصداً على زيارة (أمين الله) مقبلاً لشبّاكه الطاهر متصوراً بأني أقبل يديه الشريفتين طالباً منه الدعاء لي ولجميع المشتغلين بالتوفيق والصلاح.

ثم أتوجه إلى أول الدروس في (الفقه) و(الأصول) من الساعة السابعة وحتى الثامنة والرّبع، وبعده أقوم بتدريس طلابي في مرحلة (المقدمات) درساً (فقهيّاً) في كتاب (منهاج الصالحين) من الثامنة والنصف إلى ما بعد التاسعة، ثم أحضر درس كتاب (نهاية الحكمة) عند الساعة التاسعة والثلث ويتلوه درس في علم (أصول الفقه) عند الساعة العاشرة والرّبع، وأخيراً أتوجه إلى تدريس كتاب (المنطق) أحد دروس مرحلة المقدمات للشيخ محمد رضا المظفر عند الساعة الحادية عشر والرّبع، ويتخلل بين هذه الاوقات مناقشات ومباحثات مع بعض

(١) كتب هذا البرنامج ليوم عمل دراسي للشيخ الفاضل قبل أكثر من ست سنوات حين كان يدرّس المقدمات، أما الآن فقد أصبح من مدرّسي السطوح النافعين.

الإخوة الزملاء في دروسنا التي نأخذها أو التي نعطيها أو مسائل أخرى تطرح للنقاش فإذا انتهيت من الدرس والتدريس والمباحثة عند صلاة الظهر أقف إماماً للجماعة في (ديوان الخاقاني)، وبعد الصلاة ومستحباتها وما تتطلبه صلاة الجماعة، إن لم تكن هناك ذكرى لوفاة إمام معصوم من أئمة أهل البيت عليه السلام أو ولادته، وإلا فنور صاحب الذكرى أيضاً.

بعدها أصعد لغرفتي الخاصة في نفس (ديوان الخاقاني) لأخذ قسطاً من الراحة، ثم أتناول ما رزقنا الله من نعمة في وجبة الغداء مع من هو موجود في الديوان من مستخدمين وعمال، ثم بعدها أتوجه لنفس الغرفة لأبدأ بتحضير دروسي، محاولاً أن ألخص ما أخذته من دروس في الصباح، وأحضر درسي القادم، وأكتب المحاضرة التي أريد تدريسها، حتى صلاة العشاءين فأقف أيضاً إماماً للجماعة في (ديوان الخاقاني) نفسه.

ثم أقوم بتدريس علوم (الفقه) و(النحو) و(العقائد) في العطلة الصيفية لطلاب المدارس من مستوى طلاب المرحلة الثانوية والإعدادية وهذا قبل صلاة العشاءين وبعدهما.

ولمّا أنعم الله ﷻ عليّ في هذه السنين للذهاب لحج بيته الحرام بصفة (مرشد ديني) لتعليم الأحكام الشرعية لحجاج بيت الله الحرام، وكذا باعطاء (محاضرات ودروس فقهية) للمصلين في شهر رمضان بين صلاتي الظهر والعصر، أما بعد صلاة العصر فنقرأ جزءاً من القرآن استماعاً من التسجيل، ثم يقرؤه المصلون بعد استماعهم له، فنكون قد قرأنا في هذا الشهر الفضيل ختمتين مجتمعتين فإذا أتممت صلاة العشاءين ومتعلقاتها أكرر صعودي لغرفتي الخاصة لأنهي ما بقي من تحضير دروسي حتى الساعة السابعة والنصف أو الثامنة والثامنة والنصف

لأتوجه بعد ذلك لعائلي التي لا أراها إلا في الليل عدا يومي الخميس والجمعة فأذهب إليهم بعد صلاة الظهرين وأعود إلى الديوان قبل صلاة العشاءين لأقيم الصلاة جماعة ونقرأ دعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام مع المصلين ليلة الجمعة، إن لم أذهب إلى كربلاء، أما يوم الجمعة فنقرأ دعاء الندبة قبل صلاة الظهرين وليلة الأربعاء نقرأ دعاء التوسل فان مشاركة المصلين في الأدعية والزيارات مما ورثته من والدي (حفظه الله) وأوصانا به أستاذنا الكبير في محاضراته الأخلاقية الأسبوعية في يوم الأربعاء، أما في ليلة الخميس فأذهب منفرداً لزيارة سيدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام لأقرأ الزيارة الجامعة فهي مما أوصاني بالالتزام بها أحد أساتذتي.

ثم إذا حل منتصف الليل أدت وزوجتي وأحياناً بعض أولادي صلاة الليل قبل أن نخلد إلى النوم لأنهم صباحاً لتلقي العلم وهكذا.

وقد استغل بعض الأوقات لمطالعة بعض الكتب الخارجية - فمثلاً أقرأ في هذه الأيام كتاب لطف حسين - وخصوصاً بعد أن تيسرت القراءة والكتب بواسطة الأجهزة الالكترونية الحديثة - كالأيباد - لا كالزمن السابق الذي كنت أعاني فيه وأنا أقرأ كتب الكاتب (التيجاني) وكتب الشيخ محمد جواد مغنية.

هذا ما يسعني أن أذكره من أيامي والتي لا أحيد عنها إلا لسبب، وقد عودت نفسي أن أحاول جاهداً كي لا يتساوى يومي في علم ولا ستاتي في عبادة حتى لا أكون مغبوناً. وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم ورضا والدي ودعاء المؤمنين.

حيدر الخاقاني

جمادى الأولى ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م



الفصل الخامس

مرحلة السطوح

مناهجها الدراسية المعتمدة وكتبها المقررة،
طريقة تدريسها، ومحاولات تطويرها،
وبرنامج يوم عمل دراسي لمدرس من مدرسيها

يتضمن هذا الفصل مباحث ثلاثة هي:

المبحث الأول

المناهج المعتمدة والكتب الدراسية المقررة في مرحلة السطوح وطريقة تدريسها

المبحث الثاني

المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبها المقررة في هذه المرحلة

المبحث الثالث

برنامج يوم عمل دراسي لمدرس من مدرسيها



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منها

المبحث الأول

المناهج المعتمدة والكتب الدراسية المقررة في مرحلة السطوح وطريقة تدريسها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول:

المناهج الدراسية وكتبها المعتمدة

تتركز دراسة الطالب في هذه المرحلة والتي تليها على دروس الاختصاص الدقيق من فقه وأصول فقه عادة، وإن كنا نرى العديد من الأساتذة والطلاب في عصرنا قد شملوا عن ساعد الجد في علوم أخرى عقلية أو نقلية إضافة إلى الفقه وأصوله كما سيأتي.

وتكون الدراسة في هذه المرحلة على سطح كتاب مفتوح، ولذلك سميت -على الأرجح- بالسطوح. وفيما يلي المناهج الدراسية وكتبها المقررة في هذه المرحلة وهي:

« علم الفقه

أما في موضوع الاختصاص الدقيق وهو علم الفقه وأصوله، فيدرس الطالب من كتب الفقه في مرحلة السطوح الكتب التالية:

(الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) المتن للشهيد الأول الشيخ محمد بن مكي الجزيني العاملي (ت ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م) كتبه في أسبوع جواباً عن رسالة

بعثها إليه حاكم خراسان علي بن المؤيد، طالباً من الشهيد الأول القدوم إلى خراسان للتصدي للمرجعية، وإذ لم تسمح للشهيد الأول ظروفه بمغادرة الشام، كتب إليه (اللمعة الدمشقية) لتكون مرجعاً لشيعة خراسان. وقد ترجم كتاب (اللمعة) إلى اللغة الفارسية بترجمتين: أولاهما للشيخ محسن غرويان وعلي شيرواني في مجلدين، وثانيتهما طبعته جامعة طهران في مجلدين أيضاً.

أما شروح (اللمعة) فقد تعدت ستة عشر شرحاً، أشهرها وأكثرها تداولاً كتاب: (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) للشهيد الثاني الشيخ زين الدين الجبعي العاملي (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م)، وهو شرح كبير ذو أجزاء عدة استوعبت بمجموعها دورة فقهية كاملة، ابتداء من كتاب الطهارة، وانتهاء بالديات، وقد ناهزت الشروح والتعليقات على كتاب (الروضة البهية في اللمعة الدمشقية) (١٥٠) المائة وخمسين شرحاً وتعليقاً، أوسعها وأعمقها مادة وأمتنها استدلالاً شرح الفاضل الهندي محمد بن تاج الدين الأصفهاني (ت ١١٣٧هـ / ١٧٢٤م)^(١).

لقد حاول الشهيد الثاني بكتابه (الروضة البهية) من خلال شرح مزجي - جمع بين جمال الاختصار وعذوبة البيان وذكر الأدلة وضرب الأمثلة وقوة المناقشات - تدريب الطالب المبتدئ على أمور مهمة:

أولها: طريقة الاستدلال والاستنتاج الصحيحين بحسب طرائق زمن تأليفه.
وثانيها: تزويده بالقدرة اللازمة على ممارسة الاستدلال والاستنتاج العلميين.

(١) شروح اللمعة والروضة البهية. السيد محمد جواد الجلاي. بحث في مجلة فقه أهل البيت عليه السلام. العدد العاشر من السنة الثالثة لعام ١٩٩٨م ص: ١٧٥ وما بعدها.

وثالثها: أدب البحث العلمي في المناقشات وطرح الآراء المخالفة باحترام كبير للرأي الآخر.

ثم بعد أن يتم طالب السطوح دراسته لكتاب (الروضة البهية)، يواصل دراسته التخصصية في علم الفقه، فيشرع بعض الطلاب في دراسة كتاب (رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل) للسيد علي الطباطبائي (ت ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، وهم الأقل عدداً بين الطلاب، لاعتقادهم أنه نافع لهم قبل خوضهم غمار كتاب (المكاسب)، ذلك لامتيازه من بين ميزات أخرى لـ (الرياض) أنه يقوم مقام المدرس الخبير، حيث يرشد الطالب إلى كيفية النقاش العلمي، وتنقيح المسائل الفقهية، وسبل الورود والخروج منها^(١).

فإذا انتهى الطالب من ذلك أكبّ على دراسة كتاب (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري، وهو كتاب غاية في الدقة والرصانة، قسّمه مؤلفه إلى أقسام ثلاثة هي: المكاسب المحرمة، والبيع، والخيارات على التعاقب.

وقد صدره بالبحث عن أكثر المكاسب المحرمة في مسائل مستوفياً جهده في الإحاطة بمداركها من أدلتها التفصيلية بدقة متناهية وصدر رحيب في استقصاء الأقوال والأدلة، كما هو ديدنه في سائر مؤلفاته، ثم ركز البحث فيه على كتاب البيع وخصوصياته لاشتراكه في أكثر المعاملات في المباني والشرائط العامة وألحقه بالبحث عن الخيارات المعروفة في أبواب المعاملات. وهو مشحون بالتحقيقات الفقهية والمطالب الأصولية^(٢). وقد طبع طبعات

(١) مقدمة كتاب رياض المسائل للسيد علي الطباطبائي: ١/ ١٨.

(٢) تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية. سابق: ١٢٧.

عديدة وشرح شروحاً كثيرة أغلبها خلاصة لدروس شراحه من خلال محورية كتاب المكاسب.

وقد يعتمد الطالب المجدّد إضافة لدراسته لكتاب (المكاسب) إلى دراسة كتب فقهية أخرى، تأتي في مقدمتها كتب من أمثال: (المسالك) لزين الدين الجبجي، و(المدارك) لمحمد بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي، و(التحرير) و(القواعد) للعلامة الحلّي، وكتاب (رياض المسائل) للسيد علي الطباطبائي، وهو ما كان يفعله الطالب قبل عقود ويفعله القليل منهم اليوم.

« علم أصول الفقه

أما في موضوع التخصص الدقيق الثاني لطالب الحوزة العلمية، وهو (علم أصول الفقه)، فيبدأ الطالب أول ما يبدأ بدراسة كتاب (معالم الدين) للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني زين الدين العاملي الجبجي (ت ١٠١١هـ / ١٦٠٢م) المعروف كتابه في أوساط الحوزيين اختصاراً باسم (المعالم).

لقد حاول مؤلف (المعالم) أن يستقصي آراء الأصوليين حتى عصره، مستعرضاً أدلتها، ومناقشاً مبانيها، مولياً آراء السيد المرتضى علي بن الحسين والشيخ الطوسي اهتماماً خاصاً باعتبارهما رائدين مؤسسين في علم أصول الفقه الإمامي.

وقد شرح كتاب (المعالم) منذ زمن تأليفه وما بعده شروحاً كثيرة أربت على الثلاثين (٣٠) شرحاً.

ثم وبعد أن ينهي الطالب دراسة كتاب (معالم الدين) يثني بدراسة كتاب (أصول الفقه) بأجزائه الثلاثة للشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م).

وكتاب (أصول الفقه) للشيخ المظفر من كتب الأصول الحديثة التأليف، سعى فيه مؤلفه إلى عرض المباني الأصولية الحديثة بأسلوب واضح سلس، مولياً آراء الأعلام الأصوليين الثلاثة الكبار أستاذه الشيخ الأصفهاني، والشيخ النائيني، والشيخ العراقي.

وقد فرض الكتاب نفسه بعد لأي ككتاب دراسي منذ فترة ليست بالبعيدة. فإذا أنهى طالب مرحلة السطوح دراسة كتاب (أصول الفقه) للشيخ المظفر، عكف على دراسة كتاب (فرائد الأصول) المشهور بين الحوزيين باسم (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م) مؤلف كتاب (المكاسب) المتقدم ذكره.

وكتاب (الرسائل) هذا كان فاتحة عهد جديد لعلم الأصول، وهو وإن خلا من موضوعات (مباحث الألفاظ)، إلا أنه تضمن بعمق تحرير مباحث القطع والظن والأصول العملية والتعادل والتراجيح.

وقد شرح كتاب (فرائد الأصول) شروحاً عديدة أربت على (٩٠) التسعين شرحاً.

فإذا فرغ طالب السطوح من دراسة كتاب (فرائد الأصول) واستوعبه استيعاباً تاماً، شرع بدراسة كتاب: (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ (الآخوند الخراساني) (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م).

وكتاب (كفاية الأصول) غاية في العمق، والدقة، والاختصار، وضغط التعبير، وهو ما يستدعي من دارسه جهداً مضاعفاً لاستيعابه، ودأباً متواصلاً لفك رموزه وحل طلاسمه، ولا سيما بعد إدخاله المسائل الفلسفية ضمن

المسائل الأصولية في الكتاب بشكل لم يسبق له مثيل في كتابات الأصوليين السابقين عليه^(١).

لذلك فقد اهتم بتدريس كتاب (الكفاية) وشرحه الكثير من أساتذة هذا الفن حتى ذرفت شروحه على (١٠٠) المائة.

وقد كان المعتاد حتى عهد ليس بالبعيد أن يدرس طالب السطوح كتاب: (المعالم) للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني ثم كتاب (قوانين الأصول) لأبي القاسم الجيلاني المعروف بـ(المحقق القمي) (ت ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م)، ثم كتاب (الفصول) للشيخ محمد حسين الحائري (ت ١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م)، ثم كتاب (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري، ثم كتاب (كفاية الأصول) للمحقق الخراساني المتقدم ذكرهما.

وقد يقدم بعض الطلاب دراسة الجزء الأول من كتاب (الكفاية) على كتاب (الرسائل) بإشارة من أستاذه أو شيخه أو ناصحه.

ويرجع سبب انحسار دراسة كتب (قوانين الأصول) و(الفصول) من بين أمور أخرى إلى تعقيد أسلوبها في الأداء، وميلها إلى التعبير عن مقاصدها العلمية بأسلوب صعب، إضافة إلى احتوائها على مطالب ومباحث قديمة سبق أن تجاوزها علم الأصول، فباتت هذه من تراث هذا العلم لا من بحوثه المعاصرة.

ونتيجة لتعقيد عبارة (القوانين) فقد أكبَّ أساتذة علم الأصول على شرحه وتوضيح مبهماتة حتى بلغت شروحه أكثر من ثلاثين شرحاً.

(١) تجربتي مع التعليم الحوزوي. الشيخ عبد الهادي الفضلي. محاضرة.

ونتيجة حاجة الكتب الدراسية إلى البيان والتوضيح نشطت حركة الشروح والتعليقات والخواشي عليها نشاطاً ملحوظاً، وكثرت كثرة وافرة، حتى بلغت شروح بعضها العشرات، وأرّبت شروح بعضها الآخر على مائة وخمسين شرحاً، واختلفت هذه الشروح والخواشي من حيث الإطناب والإيجاز والبين بين، فبلغت شروح كتاب (معالم الأصول) مثلاً العشرات، عدّ منها الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي بأسمائها وأسماء مؤلفيها خمسة وثلاثين شرحاً.

وعدّ من: شروح كتاب (قوانين الأصول) خمسة وثلاثين شرحاً كذلك، ومن شروح كتاب (الرسائل) تسعة وتسعين شرحاً، ومن شروح كتاب (الكفاية) مائة وخمسة شروح، وهكذا غيرها^(١).

ولعل من آخر الشروح الجديدة الصادرة عن علماء حوزة النجف الأشرف لكتاب (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني المتقدم ذكره هو كتاب (كفاية الأصول في أسلوبها الثاني) للشيخ باقر الإيرواني متبعاً فيه أسلوباً مختلفاً عن الشروح السائدة للكفاية كما ورد في مقدمته حيث يقول مؤلفه ما يأتي:

« اتبعت طريقة جديدة في الشرح تغاير طريقة الشرح المزجي وطريقة الشرح المقطعي، إنها طريقة شرح المحاضرة والدرس بكامله... وضبطت في نهاية كل محاضرة توضيح بعض الألفاظ الغامضة في المتن كما حاولت أن أذكر خلاصة لكل محاضرة في نهايتها.

« حاولت قدر الإمكان الابتعاد عن تسجيل الاعتراض على مطالب الكتاب إن كانت فإني لا أرى الطالب بحاجة إلى ذلك في هذه المرحلة.

(١) ينظر: دروس في أصول فقه الإمامية. الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي: ١/ ١٤-٢٩.

« ربما يوجد اختلاف في بيان مقصود الشيخ الأنصاري في بعض الموارد، فيذكر أكثر من احتمال، ولكننا لا نرى ضرورة في ضبط الاحتمالات وبيان أقواها وأجدرها، فإن ذلك ليس بهمهم، بل المهم إيصال الطالب الأصولية إلى الطالب وتدريبه عليها.

« قمنا في نهاية كل محاضرة بتوضيح للألفاظ الغامضة في المتن.

« ربما نشير في نهاية كل بحث إلى مدى ضرورته للفقهاء في مقام الاستنباط كي يكون الطالب على اطلاع من هذه الجهة.

« قمنا في نهاية كل محاضرة بضبط المتن بأسلوب آخر... وهدفنا من ذلك أمران:

« إثبات أن عبارة الكفاية ليست مختصرة كما يتصور، بل هي قابلة للاختصار أكثر، ولا أكون مبالغاً إذا قلت: إنها قابلة للاختصار إلى النصف بحذف المطالب الجانبية والكلمات والضمائر التي لا حاجة إليها.

« توضيح أن اختصار الألفاظ واختزالها شيء وإرباك العبارة بحشو الضمائر والمطالب الجانبية التي يمكن الاستغناء عنها شيء آخر^(١).

« علم الكلام والفلسفة

قبل الدخول في كتب الحكمة والفلسفة التي يدرسها الطالب في حوزة النجف الأشرف أشير بإجمال إلى وجود مدرستين فكريتين تختلفان في قضية تدريس هذه العلوم فهناك من العلماء من يرى أهمية تدريسها وهناك من يرى خلاف ذلك،

(١) كفاية الأصول في أسلوبها الثاني. الشيخ باقر الإيرواني. ط ٢. مؤسسة إحياء التراث الشيعي. قم. إيران.

بل يجذب - إن لم أقل أكثر - عدمه. وقد كتب المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) حول هذه القضية قائلاً^(١):

كان تدريس المعقول بأقسامه رائجاً معمولاً في جامعة النجف الأشرف حتى أواسط هذه المائة (١٤)، وكانت جامعة النجف منذ تأسيسها لم تزل تزدهر بأنواع العلوم وتزدان بعلماء في شتى الفنون، وكانت الحرية التامة تسير في جانب العلماء في دراستهم العلوم، من معقولها ومنقولها، وتفسيرها وأدبها... ولكن مع الأسف الشديد في أواسط هذه المائة صار تدريس المعقول مهجوراً، ودرس الكلام ممنوعاً، وتهذيب الأخلاق متروكاً، ولا أدري ما الباعث على ذلك مع كثرة احتياج الناس إليها في هذا الزمان التعيس.

ومن أجل تأكيد الشيخ آل كاشف الغطاء لدعواه استعرض أسماء العديد من أساتذة المعقول المتأخرين في حوزة النجف الأشرف فقال: كان من أساتذة المعقول سطحاً وخارجاً في العصور الأخيرة: الحكيم المتأله الشهيد الإصطهباناتي، والمرجع الأعلى المتبحر في أنواع العلوم الشيخ فتح الله الشهير بـ (شيخ الشريعة الأصفهاني)، والشيخ أحمد الشيرازي، والمولى علي محمد النجف آبادي، والسيد حسين البادكوبي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني (كمباني)، وأستاذنا الحكيم المتأله الشيخ عبد الحسين الرشتي، وابن عمنا المجتهد المرجع الكبير السيد محمد جواد الطباطبائي التبريزي، وأستاذنا المتبحر السيد ميرزا حسن البجنوردي، والشيخ صدرا البادكوبي.

وفي الحكمة العملية السيد علي التستري أستاذ الشيخ الأنصاري في الأخلاق،

(١) جنة المأوى. المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ٣٢٢.

والمولى فتح علي السلطان آبادي، والمولى إسماعيل القره باغي، والسيد مرتضى الكشميري، والمولى حسين قلي الهمداني، والشيخ محمد البهاري الهمداني، والسيد أحمد الكربلائي، والشيخ أفا رضا التبريزي، والسيد المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي، وابن عمنا الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي النجفي، وغيرهم ممن يعسر عليّ عددهم، وإنما ذكرنا منهم من حضر حالاً اسمه^(١).

ولبعض هؤلاء العرفاء درس أخلاقي ومنهج عمل للعديد من التلامذة في الأخلاق^(٢)، وسيأتي ذكر بعض أساتذة علم الأخلاق في حوزة النجف الأشرف لاحقاً.

أما وقد اتضح الخلاف حول التوسع في تدريس علمي الفلسفة والكلام من عدمه، فإن ما يدرسه طالب السطوح من كتب في هذين العلمين يأتي في مقدمتها دراسته لكتاب (تجريد الاعتقاد) للشيخ نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م)، أو قد يسعى الطالب إلى التوسع في دراسة هذا العلم إن كان من مؤيدي هذا التوسع من خلال دراسته كتاب (الحكمة المتعالية) المعروف بكتاب (الأسفار) للحكيم المعروف محمد بن إبراهيم الشيرازي (ت ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) الملقب بـ(ملاً صدرا) على لسان الناس، و(صدر المتألهين) أو (صدر المحققين) على لسان تلامذة مدرسته الفلسفية.

وقد أوضح سماحة الشيخ ضياء الدين الدخيلي (ت ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م) أحد طلاب حوزة النجف الأشرف في ذلك الوقت أن بعض طلاب حوزة النجف الأشرف ينكبّ بنهم على دراسة علمي الكلام والفلسفة الإسلامية

(١) المصدر السابق: ٣٢٣.

(٢) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٩ / ٣٦٤.

فيدرس فيها (شرح المنظومة) للسبزواري، و(شرح التجريد) للعلامة الحلّي، و(شرح إشارات ابن سينا) للخواجه نصير الدين الطوسي، و (الحكمة المتعالية) المعروف بكتاب (الأسفار) للحكيم المعروف محمد بن إبراهيم الشيرازي الملقب بـ(ملاً صدرا) على لسان المتحدثين عنه في أوساط الحوزة، و(صدر المتألهين) أو (صدر المحققين) على لسان تلامذة مدرسته الفلسفية. و(الشوارق) لعبد الرزاق اللاهجي و(الشفاء) لابن سينا.

والحق أن جوامع النجف الأشرف تدرس الفلسفة الإسلامية بتوسع لا مزيد وراءه^(١).

ويضيف متحدثاً عن معاناته خلال دراسته بما يكشف عن عمق الدراسة وجدية الطلاب والأساتذة في حوزة النجف الأشرف رغم ضراوة الظروف المحيطة فيقول كنت أدرس (شرح إشارات ابن سينا) لدى شيخ فارسي يدعى (الدامغاني) فكان يتمعن في تدقيقهن فلا يدرس في اليوم أكثر من نصف صفحة، أو ربعها بالرغم من أن الدرس يستغرق ساعة أو أكثر، وكنا نذهب إلى داره بعد الظهر بقليل، وذلك في صيف النجف الأشرف، تكليف شاق لا يطاق، لشدة الحرارة في هذه البقعة الجافة. في هذه البلدة الجائمة على حدود الصحراء العربية الملتهبة بضرام حصاها، ولاسيما أني كنت أخرج من سراديب مدرسة السيد كاظم اليزدي التي تتوغل عميقة في الأرض حيث تغوص بك في مناخ بارد شتوي يضطرك إلى الالتحاف بما يقيك أذى البرد القارس. ولربما يتذكر تلك

(١) جوامع النجف الأشرف: مجلة آفاق نجفية. العدد ٢٣. السنة السادسة. ١٤٣٢ هجرية / ٢٠١١ م: ص:

١٠٠-١٠١. نقلا عن مجلة الرسالة المصرية. العدد ٢٣٥. السنة السادسة. لسنة ١٣٥٦ هجرية/ ١٩٣٨ م

(لم يذكر رقم الصفحة).

السراييب الأستاذان الزيات وأحمد أمين وصحبهما، فقد أنزلت الوفد إلى سراييب المدرسة وحملت له المصباح ولنا في أحشاء هذا المعهد العلمي، ولكم أعجبت تلك السراييب السيّاح فكتبوا عنها الكثير وهي ابتكار لطيف في التغلب على الطبيعة القاسية والتمرد على عذابها، ولكن أستاذي الدامغاني كان أقسى. فكم أجهدنا في خوض معارك الفلاسفة الدامية يقذف بنا في جحيم الخصومة العنيفة بين الخواجة نصير الدين الطوسي وبين محمد بن عمر الخطيب الرازي، وكل منهما شارح (للإشارات) لابن سينا، ولكني ابتليت قبله بأستاذين درست عليهما الفلسفة في حلقتين كبيرتين تضم العراقي والفارسي والتركي والسوري.. إلخ كأنها سفينة نوح في الأساطير، كان كل من هذين الأستاذين مفتوناً بسعة اطلاعه في المذاهب الفلسفية وما نسجه العقل البشري من أحابيل وأضاليل، وما كشف النقاب عنه من حقائق ناصعة، فكاننا غفر الله لهما يركضان بنا في ميادين واسعة من أفكار فلاسفة اليونان من مشائين وإشراقيين، ومن احتجاجات فرق المسلمين وطوائفهم من أشاعرة ومعتزلة، وشيعة، وصوفية، وباطنية حلولية، إلى غير ذلك، فاذا حمي الوطيس بين هذه المذاهب فليس عليك إلا أن ترهف سمعك ليفيض عليك هذان الأستاذان بخلاصة جهودهما الفكرية^(١).

وقد بدأ يزداد شيئاً فشيئاً في الأعوام المتأخرة دراسة كتابي: (بداية الحكمة) ثم (نهاية الحكمة) للسيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) صاحب تفسير القرآن المعروف بتفسير (الميزان) وقد ازادت دراسة هذين الكتاين العلميين بعد سقوط النظام الدكتاتوري السابق في سنة (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م)

(١) المصدر السابق نفسه.

وما تبع ذلك من عودة العديد من أساتذة حوزة النجف الأشرف المسفرين والمسافرين إلى خارج العراق، حاملين معهم قناعاتهم الجديدة بأهمية تدريس الفلسفة والتركيز عليها.

ومن هؤلاء الأساتذة المعروفين في تدريس كتابي (بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة) كل من السيد أحمد الإشكوري، والسيد جعفر نجل الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم الذي درّس هذين الكتابين لأكثر من دورة، وزاد عليهما توسعاً فدرّس على مستوى البحث الخارج ما أصدره لاحقاً في كتابه الموسوم بـ(علم النفس الفلسفي).

وعلى خلاف هذه الرؤية العلمية هناك رؤية علمية أخرى على الضد منها تماماً تذهب إلى خطورة هذا المنحى الفكري، وبناء على ذلك فقد تصدى بعض أساتذة حوزة النجف الأشرف ومراجعها قبلاً واليوم لنقد طروحات بعض رواد مدرسة صاحب (الأسفار) الفلسفية، فمن المراجع السابقين - كما قيل - المراجع الشيخ محمد حسين النائيني، والسيد محمد كاظم اليزدي، والسيد أبو القاسم الموسوي الخوئي وغيرهم، مركزين في مؤاخذاتهم على محاور عدة يأتي في مقدمتها كما نسب إليهم: قول هذه المدرسة الفلسفية بوحدة الوجود المصادقية، وهو كما يقولون مخالف للوجدان، وذهاب هذه المدرسة إلى القول بنظرية دوام الفيض والقول بقدم العالم، وهو كما يقولون مخالف للشريعة، وعدم قولها بالأولوية ووجوب وجود الشيء إذا توافرت علته التامة، وهو قول كسابقه كما يقولون مخالف للشريعة.

ويبدو أن المدرسة الناقدة هذه ترجع في أصولها إلى قبل هذه الفترة بزمان ليس بالقليل فهذا المرجع الشيخ أبو الحسن الفتوني (ت ١١٣٨ هـ / ١٧٢٦ م)

كبير مراجع التقليد في حوزة النجف الأشرف يومها يؤلف كتابه (أصول عقائد الإمامية)، ناقداً فيه من يدرس الكتب الفلسفية والكلامية ظناً منه أنه يرسخ عقيدة من درسه، يقول الشيخ الفتوي في ديباجة كتابه الذي لا زال خطياً مع الأسف: لما رأيت أقواماً من المنتحلين لهذا المذهب المدّعين للعلم بهذا المسلك يصرفون أوقاتهم في تدريس الكتب الفلسفية والكلامية.. لزعمهم أن فيها البراهين القاطعة التي لا يحصل الاطمئنان إلّا بها، لكونها عقلية، وكون غيرها نقلية، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا... إلخ^(١).

وفي مقابل هذه الرؤية هناك من المراجع وأساتذة الحوزة العلمية في حوزة النجف الأشرف من يرى خلاف ذلك، من أمثال المرجع الشيخ محمد حسين الأصفهاني، فقد نقل عنه تلميذه المجتهد المصلح الشيخ محمد رضا المظفر أنه كان يقول: لو أعلم أحداً يفهم أسرار كتاب (الأسفار) لشددت إليه الرحال للتلمذة عليه، وإن كان في أقصى الديار.

وكان أستاذنا يريد أن يفتخر أنه وحده بلغ درجة فهم أسرار، أو أنه بلغ درجة من المعرفة أدرك فيها عجزه عن اكتناه مقاصده العالية^(٢).

بل ذهب الشيخ المظفر في تقويمه لكتاب (الأسفار) ومؤلفه إلى أكثر من ذلك حيث قال: وأزيدك إني من المؤمنين بأن صاحبنا صدر المتألهين أحد أقطاب أربعة في الدورة الإسلامية: هو، والمعلم الثاني أبو نصر الفارابي (ت حدود ٣٤٠هـ / ٩٥١م)، والشيخ الرئيس ابن سينا (٣٧٣-٤٢٧هـ / ٩٨٤-١٠٣٦م)، والخواجه نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي (٥٩٧-٦٧٣هـ / ١٢٠١-١٢٧٥م).

(١) فهرست مخطوطات الخزانة العلوية. إعداد وفهرسة أحمد علي مجيد الحلي: ١ / ٢٢٧.

(٢) أحلام اليقظة. الشيخ محمد رضا المظفر: ٦٨.

هؤلاء هم في الرعيل الأول، وهم الأصول للفلسفة، وصاحبنا خاتمهم، والشارح لآرائهم والمروّج لطريقتهم والأستاذ الأكبر لفنهم، ولولا خوف المغالاة لقلت هو الأول في الرتبة العلمية، لاسيما في المكاشفة والعرفان^(١) رغم أنه كتب تحت عنوان (من المؤاخذات على صدر المتألهين) ونشره^(٢) ذاكراً فيه مؤاخذات بارزة سجلت عليه أولها: رأيه في وحدة الوجود، وثانيها: رأيه في ابن عربي، وثالثها: موقفه مع الفقهاء.

وفي محاولة منه لبيان سلبات هذه المدرسة الفكرية الفلسفية في وقتنا الحالي من جهة، والوقوف بوجه دراسة بعض كتبها في حوزة النجف الأشرف الحالية ككتابي (بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة)، للسيد محمد حسين الطباطبائي من جهة أخرى، فقد شرع السيد محمد باقر السيد محمد صادق الحكيم أحد أساتذة البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف الحالية بتدريس مادة أسماها (نقد فلسفة)، متخذاً من كتاب (شرح بداية الحكمة) للسيد كمال الحيدري على متن (بداية الحكمة) للطباطبائي، مادة للنقد، كونه كتاباً منهجياً مبسطاً يدرس في العديد من مدارس وجوامع الحوزة العلمية في قم المقدسة وغيرها من جهة، ولأنه يحمل جلّ أفكار هذه المدرسة المعرفية، ولا سيما أن مؤلفه من أعلام هذه المدرسة النشطين تأليفاً ومحاضرات ونقاشاً من جهة أخرى.

وربما توسع في بحثه فتجاوز ما يطرحه كتاب (بداية الحكمة) المتقدم إلى ما هو أوسع منه وأعمق وأكثر إيغالاً في المطالب الفلسفية، كأن يذهب إلى كتاب (المنظومة) لينقده كما حصل في بحث التشكيك، وبحث المعقول الفلسفي الثاني

(١) المصدر السابق: ٦٨-٦٩.

(٢) المصدر نفسه: ٩٧-١١٤.

مستعيناً بكتاب التوحيد للشيخ الصدوق قبل الدخول في الفصل الرابع من فصول المرحلة الأخيرة (الثانية عشرة).

وقد انصبت نقوده على هذه المدرسة الفكرية - كما يقول بعض تلامذته من حضّار درسه هذا الذي استمر خمس سنوات - من خلال سوقه الأدلة الموافقة للوجدان والضرورة القطعية، مستنداً في أدلته على الثوابت الشيعية التي تظافرت فيها روايات أهل البيت عليه السلام كما تقدم، مبنياً بالتفصيل نقاط الضعف في براهين هذه المدرسة الفلسفية، شارحاً بالأدلة تابعيتها لمدرسة المتصوف محي الدين بن عربي، موضحاً ذلك من خلال تتبعه لتصريح كبار فلاسفة هذه المدرسة بكونهم يدينون بما وصلوا إليه من آراء وأفكار للفيلسوف محي الدين بن عربي ومدرسته الفكرية، ذاهباً إلى أن هذه الطروحات مناقضة لخط أهل البيت عليه السلام ومدرستهم العلمية الفكرية.

وقد بدأ بعض تلامذته بتدريس آراء أستاذهم في نقد الفلسفة شعوراً منهم بأهمية تدريسها لطلبتهم.

كما بدأ ولا يزال بعض أساتذة حوزة النجف الأشرف العلمية بتدريس كتاب (نهاية الحكمة) منهم السيد عز الدين نجل المرجع السيد محمد سعيد الحكيم، شارحاً ومناقشاً وناقداً متى وصل البحث إلى نقد آراء الكتاب. مبنياً ما فيها من خلل من وجهة نظر السيد الباحث.

ونتيجة لاختلاف هاتين المدرستين العلميتين في الرؤية فقد سألت أساتذة البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف الحالية عن رأيه في مباني وطروحات ورد الكتابين المتقدمين فقال أن لا شيء مخالف للشريعة في هذه المباني الفلسفية

المطروحة في كتابي: (بداية الحكمة) و(نهاية الحكمة)، وأن ما قد يبدو لبعض الأساتذة من مخالفتها للشرعية هو عدم استطاعة عبارات كتب هؤلاء الفلاسفة والمتكلمين من البوح بكل مكنوناتها المقصودة لجميع قرائها ودارسيها، فيقع اللبس نتيجة لذلك.

ويزيد أستاذ من أساتذة البحث الخارج على ذلك بقوله: إنه درس آراء ومباني هؤلاء الفلاسفة والمفكرين منذ أن كان فتى يافعاً وواصل تتبعه لكتبهم وآرائهم سنوات وعقوداً فلم ير فيها ما يخالف الشريعة رغم اختلافه مع بعض مبانيها وطروحاتها.

وفيما يتعلق بما يدرسه طالب السطوح في حوزة النجف الأشرف العلمية بشكل عام، فقد وفق الشيخ ضياء الدين الدخيلي -أحد طلاب حوزة النجف الأشرف المتقدم ذكره- بشرح ما يدرسه الطالب في مرحلة السطوح إذ قال: نبدأ بدراسة (المعالم) في أصول الفقه للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني نضم إليها كتاب (الشرائع) في الفقه للمحقق الحلي، ثم ندرس (القوانين) في الأصول للمحقق القمي مع (شرح اللمعة الدمشقية) في الفقه والأصول للشهيد الأول والشرح للشهيد الثاني ثم ندرس (الكفاية) في الأصول للشيخ ملا كاظم الخراساني، ثم في الأصول العملية (رسائل) الشيخ مرتضى الأنصاري مع كتابه في الفقه (المكاسب)، ولا يقنع الطالب بهذه الكتب بل يكثر التردد على المصادر الأخرى للتوسع، فيطالع في الأصول (بحر الفوائد في شرح الفوائد) وحاشيتي سلطان والشيخ محمد تقي على المعالم و(حقائق الأصول) و(عدة) الشيخ الطوسي و(أنيس المجتهدين) و(تشریح الأصول) للشيخ ملا علي النهاوندي و(خزائن) الدبندي و(منهاج الأصول) و(غاية المسؤول) و(شرح العضدي) و(تهذيب

الأصول) إلى غير ذلك من الكتب العديدة في الأصول التي قضيت في دراستها زمناً ذهبياً (بأوراقها الصفراء)، ونطالع في الفقه (جواهر الكلام) وهو في عدة مجلدات من أهم الكتب يتوسع مؤلفه كثيراً في أبحاثه ولا يترك مذهباً في المسألة لا ينقد أدلته، و(الحقائق) و(المسالك) و(المدارك) و(البرهان القاطع) و(تذكرة العلامة) و(قواعده) و(سرائر) ابن إدريس و(الرياض) و(مستند الشيعة) و(مختلف) العلامة و(تحريره) و(جامع المقاصد) و(جامع الأعرجي) وشرح منظومة بحر العلوم و(كشف الغطاء) و(المبسوط)^(١).

« دراسة العلوم المساعدة

وقد يدرس الطالب علوم القرآن والتفسير لشدة احتياجه إليها في شوطه الدراسي القادم، وقد تتجاوز دراسة الطالب في هذه المرحلة كتب الاختصاص إلى غيرها، توسعة لآفاقه النظرية ولا ارتباطها ولو قليلاً بدراسته بحسب تصوره، كما كان سائداً في العهود السابقة، فقد كان طالب السطوح يدرس الحساب من خلال كتاب (الزبدة) للشيخ بهاء الدين محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي المعروف بـ(الشيخ البهائي) (ت ١٠٣٠ أو ١٠٣١ هـ / ١٦٢١ - ١٦٢٢ م)، والهندسة من خلال كتاب (أشكال إقليدوس)، كما كان الطالب يراجع في علم اللغة مراجعة دؤوبة كتاب (القاموس المحيط) لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٦ أو ٨١٧ هـ / ١٤١٤ - ١٤١٥ م)، وفي علم الرجال يراجع الطالب أو يدرس ما يطلقون عليه في أوساطهم كتاب (منتهى المقال في أحوال الرجال) لمحمد بن إسماعيل بن عبد الجبار الحائري (ت ١٢١٥ أو ١٢١٦ هـ / ١٨٠٠

(١) جوامع النجف الأشرف. سابق: ١٠٠.

أو ١٨٠١م)، كما يراجع الطالب في هذه المرحلة كثيراً كتاب (وسائل الشيعة) للشيخ محمد بن الحسين العاملي المعروف بـ(الحر العاملي) (ت ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م) الجامع المستقصى الجيد لما في الكتب الحديثية الأربعة وغيرها من الروايات الواردة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ويدرس الطالب في تربية النفس وتهذيبها أو يراجع بقصد العلم والعمل كتاب (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) للشهيد الثاني زين الدين العاملي.

ولعل من العلوم التي كانت تدرس سابقاً، ثم بادت دراستها أو كادت في عصرنا الحاضر، هو علم (الهيئة)^(١)؛ نتيجة لتقدم العلوم الطبيعية ووجود مراكز بحثية وعلماء متخصصين فيه أثر مهم في ذلك.

ويأتي في مقدمة من أثر الكتابة عن علم الهيئة من علماء الحوزة النجفية المعاصرين هو سماحة المغفور له المرحوم السيد عبد الرزاق الحكيم (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) فقد ألف كتاباً أسماه (الظواهر الفلكية ذات العلاقة بالحكم الشرعي) عززه بالرسوم والمخططات التوضيحية.

أما سابقاً فقد كانت دراسة وتدريس علم الهيئة محل اهتمام الحوزويين، ونظراً لمعرفة مدى اهتمام علماء حوزة النجف الأشرف به فقد سبرت تراجم العلماء وأحوال الفضلاء في كتاب (معارف الرجال) بأجزائه الثلاثة للمجتهد المحقق الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م) أنموذجاً فوجدت عدداً غير قليل ممن تمت ترجمتهم فيه قد درس أو درس هذا العلم.

(١) علم الهيئة: علم يبحث عن أحوال الأجرام السماوية وضوابط حركتها الخ وتعرف به مقادير الأيام والشهور والسنوات والأهلة وأحوال الشمس والقمر كالكسوف والخسوف ومسير الكواكب واستخراج التقاويم السنوية وغيرها.

ويأتي في مقدمة من أولى علم الهيئة وغيره من العلوم الغربية اهتمامه الكبير الشيخ علي بن الشيخ عبد الله حرز الدين (ت ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م) الذي كان ماهراً في علم الطب اليوناني، والنجوم، والهيئة، وله اليد الطولى في علم الطلاسم (...). وكان قبيل وفاته بأشهر قد ذهب إلى بحر النجف - وكانت فيه السفن الشراعية - وألقى بعض ما جرّبه من العلوم صحيحاً في البحر. حدّث بذلك ولداه العلامة الشيخ حسن والشيخ أحمد، وقالوا: إنه دخل في ماء البحر إلى ترقوته، ونحن ننظر إليه، ومحا صفحات كتاب خطي بيده، وآخر كله، ثم ألقاه في الماء، فليم على ذلك، فأجاب إنني أخاف أن يعمل به بعض من لا يخاف الله من أولادي وأحفادي، فيفسد أمة من الناس بعلمه، حيث أودعت فيه المجربات من العلوم الغربية، المغربية، والافريقية^(١).

ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بدراسة وتدريس علوم أخرى خارج سياق الدروس الحوزوية المقررة هو الشيخ ملا باقر التركي النجفي (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢١م) الذي كان عالماً محققاً في العلوم الرياضية ولا سيما الحساب، والنجوم، والهيئة، وقد أثر عنه أنه قال: يمكنني أن أقسم الفلك بقواعده شبراً شبراً، وروى عنه الأستاذ الحاج ميرزا الخليلي الرازي أنّه علم من طريق علم النجوم حدوث الوباء سنة (١٢٤٧هـ / ١٨٣١م) في العراق، فاستخرج البلد الذي لم تصبه آفة الوباء، وهو بلد (بروجرد) في إيران، وحمل عياله إليه قبل حلول الوباء، حتى إذا ارتفع الوباء من العراق رجع إليه سالماً هو ومن معه^(٢).

(١) المصدر السابق نفسه (بتصرف): ٩٩ / ٢.

(٢) المصدر السابق: ١ / ١٢٥.

ويعد أبو العلوم^(١) السيد محمد ابن السيد هاشم ابن السيد محسن الموسوي الشرموطي النجفي^(٢) (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م) العالم المحقق الفقيه الأصولي - كما في (معارف الرجال) - من خيرة أساتذة هذه العلوم في عصره، فقد كان أستاذاً في الفلسفة، وعلم النجوم، والفلك، والهيئة، والهندسة، والحساب، وعلم الحروف، والافاق^(٣)، والطب، وقد ألّف وصنّف في كل هذه العلوم وغيرها، ولدينا شيء الكثير من مؤلفاته بخطه، تتلمذت عليه في علم الأصول، والكلام، والنجوم، والهيئة، واستفدت منه كثيراً من العلوم العقلية أيضاً.

وقد تتلمذ هو على الأستاذ الشيخ محمد حسين الكاظمي في الفقه باديء أمره، وعلى السيد ميرزا محمد حسن الشيرازي في النجف الفقه والأصول وعلم النجوم^(٤)، وكتب تقاريراته في الاصول دورة كاملة، وتعلمذ على السيد التستري في علم النجوم، وقد قرأ عليه العالم المحقق الشيخ علي الأسترآبادي العلوم الرياضية، ومما حضره عليه رسالة في علم جر الثقليل^٥ وكانت مرموزة مندرسة حل رموزها وشرحها له .

له: كتاب التقارير في الأصول دورة كاملة، وهو كتاب ضخّم بخط السيد الشرموطي، ملخص ما أملاه أستاذه الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، وطلب السيد استنساخه لما كان في سامراء، فكتبت له نسخة في النجف وأرسلت إليه،

(١) كما يسميه تلميذه المحقق الشيخ محمد حرز الدين. المصدر السابق نفسه.

(٢) أطلت في ذكره لكونه من أشهر من درس ودرّس وألّف في هذه العلوم، رغم كونه من الأساتذة المجتهدين الكبار.

(٣) علم الأوفاق: علم الطلاسم.

(٤) لم أعهد سابقاً أن المرجع السيد الشيرازي صاحب (فتوى التنبك) قد درّس علم النجوم.

(٥) من فروع علم الهندسة والميكانيك. ويبحث في معرفة مراكز الأثقال.

ولا أعلم ما مراد السيد من ذلك، وله أيضاً: الأنوار الشرموطية بخط المؤلف يبحث فيه عن علم الأوفاق. والحروف، وكتاب الخاتمة في التفرقة بين المعجزة والسحر. قال في مقدمته يقول محمد بن هاشم الشرموطي: لما رأيت كثرة المدّعين (...). رجعت الى مكاشفات العرفاء، والورود من بحور الأولياء.. إلخ.

ومن مؤلفاته أيضاً: كتاب تبصرة المستخرجين: يبحث فيه عن علم النجوم، قال فيه: ولما كان استخراج النجوم في العربية قليلاً، بل عزيزاً، ذكرت شرحاً وافياً على الزيج الجديد^(١) للشهيد (الغ بيك) فرغ منه (١٣ رجب سنة ١٣٠٣ هـ)، وكتاب: بيان قواعد جفر الخاوية المنسوب إلى الإمام الناطق بالحق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال فيه: نحمدك اللهم على إفاضة الأرواح وإيجاد الأشباح حمداً نعجز عن تناهيه وأنت محصيه، وله كتاب: إيضاح الخلاصة في علم الحساب، ورسالة في المنطريات، وكتاب في علم النقطة والرمل له حجم ضخمة، وكتاب الحكمة الجيدة، وكتاب الأجرام السماوية وتأثيراته في العناصر السفلية في علم النجوم^(٢).

وأن السيد علي ابن السيد محمد الموسوي الغريفي النجفي (١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م) كان مختصاً في علم الهيئة والحساب ومطلق العلوم الاجتماعية، والتمسه بعض فضلاء العامة في بغداد على أن يدرسه علم الهيئة وبعض الرياضيات فاجاب واستمر تدريسه حوالى الستين^(٣).

(١) علم تعرف به موضع كل واحد من الكواكب السبعة بالنسبة الى فلكه وكل ما يتعلق به والغرض منه معرفة أوقات الصلاة وسمت القبلة والساعات وأحوال الشفق والفجر.

(٢) ينظر: المصدر نفسه (بتصرف): ٢ / ٣٦٣ - ٣٦٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ١٢١.

كما درس الشيخ محمد بن الشيخ جعفر الزاهد النجفي^(١) (ت ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) على يد الشيخ محمد حرز الدين علم الهيئة، ودروساً في الطب اليوناني مع جماعة من أصحابه.

وأن الشيخ عبد الله المازندراني^(٢) (ت ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) الأستاذ المعروف الذي كان لأهل العلم من حضار درسه حسن ظن بعلمه وتقائه، والذي بقي مدة من الزمن يدرّس ويفتي الناس . يقول الشيخ محمد حرز الدين عنه: وقد شاهدته يدرّس، والحق أنه محقق في علمي الفقه، والأصول، والهيئة .

وكان السيد محمد بن السيد مهدي الحسيني^(٣) (ت ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م) القزويني الحلّي النجفي مولعاً بدراسة العلوم الرياضية: كالحساب، والهندسة، والهيئة، والاصطرلاب، وعلم المنطق.

وكان الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الحسين سماكة الحلّي النجفي (ت ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)^(٤) الفقيه العالم له اليد الطولى في علم الهيئة، والهندسة، والحساب، ويعتبر المدرّس الأول في علم الهيئة، والرياضيات، حيث قرأ على السيد محمد الشرموطي علم الهيئة والحساب، ومما قرأ عليه أيضاً شرح تشريح الأفلاك وشرح الخلاصة في الحساب، ومن مميزات أنه يدرّس كلما طلب منه تدريسه من مقدمات وغيرها من العلوم العقلية والنقلية، حضر عليه جماعة من العامة وبعض أئمة جماعتهم في الهيئة والحساب والأصول، وصار لديه جملة من كتب

(١) المصدر نفسه: ٢ / ٣٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢ / ١٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٣٨٥.

(٤) المصدر نفسه: ٢ / ٣٩٣.

أستاذه السيد الشرموطي في المعقول والمنقول، والهيئة، والحساب.

ودرس السيد هادي ابن السيد ميرزا صالح الحسيني الشهير بـ(القزويني) النجفي الحلّي^(١) (ت ١٣٤٧/١٩٢٨ م) على الشيخ محمد حرز الدين علم الهيئة، وعلم الكلام، في البحث الخاص الذي كان يعقده الشيخ حرز الدين لبعض تلاميذه.

ثم يأتي دور مؤلف الكتاب نفسه كتاب (معارف الرجال) المجتهد المحقق الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م) في الاهتمام بعلم الهيئة، فقد أورد نجله الشيخ محمد حسين حرز الدين^(٢) في ترجمة أبيه أنه حضر على المحقق (أبو العلوم) السيد محمد ابن السيد هاشم الشرموطي الفقه والأصول، وعلم الكلام، والنجوم، والهيئة، وغير ذلك من العلوم العقلية، بل ودرس علم الهيئة، وغيره من العلوم الغريبة، وألف فيها، وقد حضر عليه الشيخ محمد ابن الشيخ جعفر الزاهد، وغيره، علوم الفقه، والأصول، والهيئة.

هذا ما كان من دراسة وتدريس بعض العلوم سابقا خارج نطاق الدروس المقررة في حوزة النجف الأشرف.

أما في عصرنا الحاضر فقد درس خارج نطاق الدروس الحوزوية المقررة سماحة السيد محمد صادق الخراسان طلابه كتاب (دلائل الصدق) ذي الأجزاء الثلاثة لسماحة المرجع الشيخ محمد حسن المظفر، مرتين.

كما ألقى محاضرات في علمي الحديث، والرجال المقارن، أربع دورات،

(١) ن. م: ٣/ ٢٣٤

(٢) ينظر: معارف الرجال. المقدمة: ١/ ٦ وما بعدها.

وقد صدر الجزء الأول من تقارير درسه للدورة الثالثة بقلم تلميذه الشيخ محمد علي محراب الرحيمي، على أن تصدر بقية الأجزاء تبعاً.

وقد اهتم غير واحد من طلابه بتدريس كتاب (دلائل الصدق)، وكذلك تدريس بحوثه في علمي الحديث والرجال.

كما درّس أيضاً سماحة السيد محمد باقر السيستاني علم تفسير القرآن الكريم في شهر رمضان المبارك.

ودرّس سماحة السيد جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم كذلك دروساً علمية ثقافية في شهر رمضان المبارك.

ودرّس الشيخ عبد الأمير الطريحي بعض مقدمات كتاب (الحقائق الناضرة) أيام تعطيل الدراسة الحوزوية.

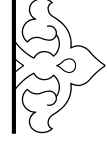
ودرّس غير هؤلاء الأساتذة أيضاً -بحسب الظاهر- دروساً أخرى في أيام العطل الحوزوية، استثماراً للوقت بالنافع، غير أنه لم يصلني للأسف، كما لم أطلع شخصياً على تدريس غيرهم، دروساً خارج الدروس النظامية المقررة، رغم طلبي ذلك ممن يعينهم الأمر.

وقد تقدم أن بعض المدارس الحوزوية الحديثة أضافت تدريس علوم أخرى تم ذكرها خلال التعريف بتلك المدارس فيما سبق.



المطلب الثاني:

طريقة التدريس المتبعة في مرحلة السطوح



أما طريقة التدريس المتبعة في مرحلة السطوح، فهي طريقة التدريس المتبعة في تدريس مرحلة المقدمات نفسها مع تطور تقتضية طبيعة المرحلة، وقد تقدم الحديث عنها مفصلاً مع تقييمها في الفصل السابق، وهو ما يغنيني عن إعادة تبيانها مجدداً.



المبحث الثاني

المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبتها المقررة في مرحلة السطوح

مقدمة

تعددت محاولات إصلاح المنهج التعليمي المتبع في مرحلة السطوح، أسوة بما حصل من محاولات إصلاح المنهج التعليمي المتبع في مرحلة المقدمات.

ونظراً لأهمية هذه المرحلة الدراسية من عمر الطالب التخصصي، كونها المرحلة التي تعتمد على الاستدلال، وعرض الآراء المختلفة في المسائل محل البحث مسألة مسألة، ومناقشتها والانتهاج من المناقشة إلى رأي مختار، يستدل الباحث عليه بما وهبه الله من ملكة البرهان والبيان، وقرع الحجة بالحجة، والدليل بالدليل، فقد ركز دعاة إصلاح المنهج التدريسي على مواد هذه المرحلة الدراسية المهمة، وأولوها الوقت الكافي من البحث والتحري والاستقصاء، وهو ما يقتضي مني أن أفرد لها مساحة أكبر من سابقتها في هذا الكتاب.

ولقد تركزت محاولات إصلاح المناهج في هذه المرحلة كما تركزت في سابقتها أيضاً على ثلاثة مطالب، حاول المطلب الأول فيها تبيان محاولات إصلاح المنهج التعليمي المتبع فيها من خلال تأليف كتب جديدة لتحل محل الكتب القديمة المعتمدة في علم الفقه، وحاول المطلب الثاني شرح محاولات إصلاح المنهج الدراسي المتبع في هذه المرحلة الدراسية في علم الأصول، فيما حاولت أخيراً الإشارة إلى البدء جزئياً بإضافة علوم جديدة إلى المنهج المتبع في هذه المرحلة.

المطلب الأول:

تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية المقررة
سابقاً في علم الفقه

لاحظ المعنيون بإصلاح المناهج الدراسية بمادة التخصص الرئيس الأولى (علم الفقه)، أول ما لاحظوا أن تاريخ أول كتاب فقهي يبدأ طالب الحوزة في دراسته إلى ما يزيد على السبعة قرون، حيث عاش الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن المعروف بـ(المحقق الحلي) في الفترة ما بين سنتي (٦٠٢ - ٦٧٦هـ/ ١٢٠٥ - ١٢٧٧م)، وهو مؤلف كتاب (شرائع الإسلام) أول كتاب فقهي يدرسه الطالب بعد الرسالة العملية.

ثم ينتقل الطالب بعد ذلك إلى دراسة كتاب (اللمعة الدمشقية) الذي هو من مصنفات القرن الثامن الهجري حيث عاش الشهيد الأول مؤلف هذا الكتاب في الفترة ما بين سنتي: (٧٣٤ - ٧٨٦هـ/ ١٣٣٤ - ١٣٨٤م)، فيما عاش الشهيد الثاني صاحب كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) وهو كما يبدو من عنوانه شرح على كتاب (اللمعة) في الفترة ما بين (سنتي: ٩١١ - ٩٦٥هـ/ ١٥٠٥ - ١٥٥٨م).

أما الكتاب الثالث والأخير الذي يدرسه الطالب في مرحلة السطوح وهو كتاب (المكاسب) فقد عاش مؤلفه الشيخ مرتضى الأنصاري في الفترة ما بين سنتي: (١٢١٤ - ١٢٨١هـ/ ١٧٩٩ - ١٨٦٤م).

وبذلك يكون قد مضى على تدوين الكتاب الدراسي الأول في منهج الحوزة أكثر من سبعمائة عام، بينما مضى على أحدث كتاب يدرسه الطالب وهو كتاب

(المكاسب) أكثر من مائة وثلاثين عاماً. ومما لا شك فيه إن المؤلف - أي مؤلف - محكوم بمشكلات عصره والتحديات الزمنية التي تواجه المجتمع الذي يعيش فيه، وكذا يمثل ما يضيفه ذلك الإطار الحياتي الذي ينتمي إليه، إذ ليس بالإمكان أن يتجاوز الإنسان مشكلاته الحاضرة ويتأمل في معالجة مشكلات أخرى يفترض تجدها في العصور اللاحقة^(١) كمشكلاتنا نحن الحالية اليوم.

كما لاحظ المعنيون بتحديث المنهج الدراسي أن مسائل كثيرة في علم الفقه استجدت، هي غير مبحوثة في المنهج الدراسي السائد اليوم، في حين عالج المنهج المقرر مسائل عفا عليها الزمن فلم تعد محلاً لسؤال سائل، ولا مشكلة إبتلائية لمستشكل، ومع ذلك أولاهها المنهج المقرر مساحة واسعة من عمر الطالب وجهده وطاقته، والأمثلة على ذلك معروفة وشواهد بيّنة.

ولاحظوا أيضاً أن حركة الاجتهاد الشيعي تاريخياً اتجهت نحو المجال الفردي ذاك المجال المتصل بسلوك الفرد المسلم وتصرفاته، لا سلوك الجماعة الإسلامية وهو ما ذهب إليه سماحة السيد الشهيد محمد باقر الصدر والعديد من تلامذته قائلاً إن المجتهد خلال عملية الاستنباط يتمثل في ذهنه صورة الفرد المسلم الذي يريد أن يطبق النظرية الإسلامية للحياة على سلوكه، ولا يتمثل صورة المجتمع الذي يحاول أن ينشئ حياته وعلاقاته على أساس الإسلام، وهذا التخصيص والانكماش في الهدف له ظروفه الموضوعية وملابساته التاريخية، فإن حركة الاجتهاد عند الإمامية قاست منذ ولدت تقريباً عزلاً سياسياً عن المجالات الاجتماعية للفقهاء الإسلامي (...). إن الانكماش في الهدف وأخذ المجال

(١) النظام التعليمي في الحوزة العلمية/ ٢. الشيخ عبد الجبار الرفاعي. بحث. مجلة الفكر الإسلامي. العدد

الثاني من السنة الأولى ١٤١٤ هجرية/ ١٩٩٣ م. ص: ٢٥٦-٢٥٧.

الفردى للتطبيق بعين الاعتبار فقط نجم عنه انكماش الفقه من الناحية الموضوعية، فقد أخذ الاجتهاد يركز باستمرار على الجوانب الفقهية الأكثر اتصالاً بالمجال التطبيقي الفردي، وأهملت المواضيع التي تمهد للمجال التطبيقي الاجتماعي نتيجة لانكماش هدفه وانكماش ذهن الفقيه عند الاستنباط غالباً إلى الفرد المسلم وحاجته إلى التوجيه، بدلاً عن الجماعة المسلمة وحاجتها إلى تنظيم حياتها الاجتماعية (...). وقد كان من نتائج ترسخ النظرة الفردية قيام اتجاه عام في الذهنية الفقهية يحاول دائماً حل مشكلة الفرد المسلم عن طريق تبرير الواقع وتطبيق الشريعة عليه بشكل من الأشكال^(١).

بل ذهب إلى أكثر من ذلك حين قال لقد امتد أثر الانكماش وترسخ النظرة الفردية للشريعة إلى طريقة فهم النص الشرعي أيضاً، فمن ناحية أهملت في فهم النصوص شخصية النبي والإمام الحاكم ورئيس الدولة (...). ومن ناحية أخرى لم تعالج النصوص بروح التطبيق على الواقع واتخاذ قاعدة منه، ولهذا سوغ الكثير لأنفسهم أن يجزئوا الموضوع الواحد ويلتزموا بأحكام مختلفة له^(٢). وبموجب هذا الطرح فإن المناهج الدراسية بحاجة إلى إعادة النظر فيها بما يتلاءم مع هذه الرؤية.

ولاحظ المعنيون بالإصلاح أيضاً أن الطالب ينهي مرحلة السطوح ولا يشعر في نفسه اجتياز نصف الشوط أو ربعه إلى مرحلة الاجتهاد، والسبب واضح؛ لأن ما يدرسه من كتب لم يشيد لزرع روح الاجتهاد في نفس الطالب، فهو يبقى مهما

(١) الاتجاهات المستقبلية لحركة الاجتهاد. الشهيد السيد محمد باقر الصدر. بحث. مجلة فقه أهل البيت عليه السلام.

العدد الأول. السنة الأولى. ١٤١٦ هجرية / ١٩٩٥ م. ص: ١٥-١٨.

(٢) المصدر السابق: ١٩-٢٠.

كررها وأمثالها سنوات بعيداً عن المقصود الأساسي، بل إن تلك الكتب لم يوضع الحجر الأساس فيها لتكون محوراً للدراسة وتبقى ألفاظها المطلسة عائقاً عن تلقي الفكرة بوضوح^(١) وهو ما اشتكى منه كثيراً طلاب هذه المرحلة الدراسية.

يقول سماحة السيد محمد كلانتر -أحد شراح كتاب (اللمعة) ومدرسيه لفترة زمنية طويلة-: إن في هذا الكتاب الجليل رغم جلالة شأنه، وعلو قدره بعض العبارات المغلقة التي لا يتسنى فهمها بسهولة لكثير من الطلاب في مراحلهم الدراسية الأولى، دون بسط في الشرح، ومهارة في التوضيح. لذا كنت ولا أزال عند ما أمرّ خلال ساعات التدريس بهذا النوع من العبارات الغامضة يحز في نفسي ما يلاقيه بعض الطلبة من جراء ذلك الغموض^(٢).

بيد أن ذلك لا يدعونا إلى إغفال الأهمية الكبيرة لكتاب (اللمعة) كونه ينمي ملكة تطبيق الكبرى على الواقع الخارجي.

إلى جانب ذلك يقول الشيخ باقر الإيرواني - أحد أساتذة البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف الحالية -: يدخل طالب الحوزة مرحلة السطوح ويخرج ولا يجد أمامه ما يمثل ذلك القسم الهائل من الروايات الذي يواجهه في مرحلة الخارج، فهو لا يعرف صورة واضحة عنها، ولا يعرف كيف علاج حالة التعارض بالرغم من أن المجتهد لا يكون مجتهداً إلا بذلك.

وهو لا يعرف لاستصحاب العدم الأزلي وكيفية تطبيقه رسماً ولا أثراً، بل الأصول العملية بشكل عام لا يعرف كيفية تطبيقها^(٣).

(١) دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري. الشيخ باقر الإيرواني: ٧.

(٢) من مقدمته لكتاب اللمعة: ١١ / ١.

(٣) دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري. سابق: ٧.

وفي مقدمته لكتابه الذي أسماه (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري) يحاول الشيخ باقر الإيرواني أن يفصل مقصوده أكثر ودواعيه لتأليف كتاب دراسي جديد في علم الفقه يحل محل بعض الكتب الدراسية المعتمدة في هذه المرحلة، فيعمد لأن يضرب مثلاً من معاناته هو خلال فترة دراسته لعلم الفقه في مرحلة السطوح هذه فيقول: لم أقرأ خلال دراستي للسطوح أحاديث أهل البيت عليهم السلام، لا في الصوم، ولا في الصلاة، ولا في الطهارة، فضلاً عن الديات والحدود والتعزيرات، كما ولم أقرأ طرق الاستدلال التي يستعين بها الفقيه في مقام الاستنباط، وكنت أسمع أن (الروضة البهية) دورة استدلالية تُعَلِّمُ الفقه من خلال الاستدلال، وكنت اتقبل هذا عن تعبد، حتى إذا ما فتحت عيني الآن قليلاً وجدت الأمر على خلاف الواقع. إن الروضة البهية تعلّمتنا كيف نتلفظ بالفاظ معقدة، وكيف نحل الرموز والطلاسم.

بقيت أحلّ الطلاسم فترة، وغاب عني ما في داخل تلك الطلاسم.

بقيت أتعلم ان هذا ليس بشرط للأصل وذاك واجب للرواية. إنني تعرفت على هذا المقدار لا أكثر، ولم أعرف الروايات الواردة في المسألة كي لا تكون غريبة عليّ عندما أسمعها الآن، لم أسمع كيف هي متعارضة؟ وكيف نحل التعارض؟ وإلى ماذا نرجع عند استحكام التعارض؟ إن هذا لم أواجهه في (الروضة).

أجل واجهت شيئاً منه في (المكاسب)، إلّا أن حدود كتاب (المكاسب) ضيقة ويقتصر على البيع والخيارات، فأين الصلاة، وأين الصوم، وأين الحج، وأين الخمس، وأين، وأين، وأين...؟

إننا نحتاج في مرحلة السطوح إلى كتاب فقهي يشتمل على الأقل على غالب الأبواب الفقهية، نستمع فيه إلى روايات أهل البيت عليهم السلام، وكيف نعمل عند التعارض، وما هي طرق الاستدلال الحديثة المتبعة عند علمائنا الأعلام، مع الإشارة الموجزة إلى بعض القضايا الرجالية، ولا نحتاج بعد هذا إلى العبائر ذات الطلاسم والرموز.

وهل في مطالبنا العلمية وطرق استدلالنا قصور لنحتاج إلى تكميله بذلك؟

إنني أقول عن تجربة: لم أعرف روايات أهل البيت عليهم السلام في مختلف الأبواب الفقهية، إلا من خلال حضوري بحث الخارج، وواجهت آنذاك طفرة جديدة، وللمرة الثانية.

إننا بحاجة ماسة إلى تأليف كتاب يشتمل على دورة فقهية كاملة أو شبه كاملة، تضم بين دفتيها مجموعة كبيرة من روايات أهل البيت عليهم السلام، ومجموعة كبيرة من طرق الاستدلال الحديثة يكتمل أفقها عند الانتقال إلى مرحلة الخارج^(١).

وخلاصة الأمر أن الطالب حتى بعد اجتيازه لمرحلة السطوح: لا يعرف ربط ما قرأه في علم الأصول بما يحتاج إلى استنباطه من أحكام في الفقه. ويبقى التلاقح بين الفقه والأصول خفيفاً عليه إلى أن يجتاز فترة طويلة في بحوث الخارج^(٢).

(١) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية. الشيخ باقر الإيرواني: من مقدمة القسم الأول من الكتاب. سابق: ٦-٧.

(٢) دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري. سابق: ٨٧.

وتأسيساً على هذه الرؤية عمد سماحة الشيخ باقر الإيرواني إلى تأليف كتابه (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري) ليحل محل كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) للشهيد الثاني، واضعاً نصب عينيه في منهجة كتابه التأكيد على أمور عدة أهمها:

« عرض مقدار غير قليل من الروايات في كل مسألة ليكون الطالب على أهبة الاستعداد لمواجهة ذلك الكم العظيم من الروايات في مرحلة الخارج.

« عرض الروايات المتعارضة وتوضيح طرق علاجها.

« تأكيد ربط أحكام الفقه بقواعد الأصول لتتضح بذلك فائدة علم الأصول ومقدار الحاجة إليه.

« الإشارة إلى بعض النكات الرجالية ليستعد الطالب لمواجهة التفاصيل في مرحلة الخارج ولتفاعل معها في وقت أقرب.

« حاول الكتاب أن لا يجود بالألفاظ، ولا يشح بها، ويضغط بعض الأفكار العميقة في عبارة صغيرة حفاظاً على العلاقة بين التلميذ وأستاذه.

« عملية عرض الأحكام الفقهية والاستدلال عليها لم تتم إلا في بعض قليل مما أشار إليه فقهاؤنا الأبرار لأن مقصودنا تدريب الطالب على عملية الاجتهاد وتقديم رأس الخيط له. وذلك لا يتوقف على استعراض جميع الأحكام والاستدلال عليها، بل أن ذلك التوسع يوجب التشويش على الطالب وعدم الوصول إلى المقصود.

« طريقة الاستدلال لم تقم على أساس رأي فقيه معين بل نلاحظ ما هو الأنسب لتدريب الطالب^(١).

ثم إن الشيخ الإيرواني واصل جهوده التحديثية في المناهج فشرع بتأليف كتاب فقهي أسماه (دروس في الفقه الاستدلالي) قسمه إلى كتب فقهية متعددة ليحل الكتاب الجديد محل كتاب (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري، فكتب من هذه الكتب على سبيل التجربة: كتاب (الطهارة)، وكتاب (الصلاة) وطرحهما للتقويم من أجل اكتشاف نقاط الضعف فيهما، حتى إذا تم له ما أراه لتجربته من نقد وتقييم، شرع بتتمة مشروعه الفقهي البديل، واضعاً نصب عينيه في خطته المرسومة لهذا البديل أن يكون حاوياً على بعض كتب قسم العبادات كالطهارة والصلاة والصوم، ثم على بعض كتب قسم المعاملات وهكذا، فهو لا يشتمل على جميع كتب أبواب الفقه، لأنه يوجب التطويل، والمفروض مرور الطالب في الكتاب السابق على دورة فقهية كاملة، كما أنه لا يختص بباب المعاملات - كما عليه كتاب مكاسب الشيخ الأعظم - لأن الطالب في مرحلة الخارج لا يحتاج فقط إلى باب المعاملات، بل ربما يواجه باب الطهارة أو باب الصلاة فيحتاج على هذا الأساس إلى مرور تفصيلي على أمهات كتب الأبواب الفقهية المختلفة^(٢)؛ ذلك أن طالب البحث الخارج لم يسبق له أن درس فقه العبادات بمستوى بحث المكاسب لفقه المعاملات.

وقد أوضح الشيخ الإيرواني في مقدمته لكتاب الطهارة من فقه العبادات أن بديل كتاب (المكاسب) المقترح يختلف عن بديله كتاب (اللمعة الدمشقية)

(١) المصدر السابق: ٩-١٠.

(٢) دروس في الفقه الاستدلالي من فقه العبادات، ١. كتاب الطهارة. الشيخ باقر الإيرواني: ٩-١٠.

السابق، حيث أن المتن وبيان المستند هو الملحوظ فيما سبق، بينما لوحظ في هذا الكتاب العرض الموحد^(١).

وقد خبرني سماحته قبل صدور كتابي هذا بأنه انتهى من تأليفه كاملاً، وسيرسله إلى المطبعة قريباً.

لقد توخى مؤلف الكتابين البديلين لكتاب (اللمعة الدمشقية) و(المكاسب) في كتابيه الجديدين سهولة العرض، فهذه مشكلة كنا نعاني منها في كتبنا القديمة أعني صعوبة العرض وصعوبة إيصال المطالب إلى الطالب (...)، وطرح الأساليب الجديدة في عملية الاستدلال، وعلى سبيل المثال فإن كتاب (المكاسب) وكتاب (الروضة البهية) لم يحتويوا على بعض الأساليب الجديدة للاستدلال حيث لم تكن مألوفة في مثل هذه الكتب، وحاولت يقول الشيخ الإيرواني أن أشير إلى هذه الأساليب، وأحدث ما توصل إليه علم الفقه في هذا المجال (...)، وكذلك مسألة ربط الفقه بالأصول، فقد حاولت من هذه الناحية إيصال مدى الترابط الوثيق بين الفقه والأصول عملياً، وبهذا يتضح مقدار الحاجة إلى علم الأصول.

وهناك قضية ثالثة: وهي أننا عند دراستنا للكتب القديمة لا نتقدم خطوة إلى الأمام على طريق الاستنباط والاجتهاد، فنحن نحتاج إلى كتاب مربّب يعلمنا كيف نجتهد؟ وكيف نستنبط...؟ (...) وهذا ما لم نلمسه في دراستنا للكتب القديمة^(٢).

(١) المصدر السابق: ١٠.

(٢) حوار مع ساحة الأستاذ الشيخ باقر الإيرواني. سابق: ١٨٧-١٨٩.

وقد لاحظ الشيخ الإيرواني ذلك وسجله، وهو ما قد يلاحظه كل طالب ملتفت حيث سيعاني كما عانى الشيخ من هذه المشكلة.

بيد أن ذلك لا يعني أن كتاب (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) استطاع أن يحقق كامل غرض مؤلفه منه، فالكتاب لا زال بحاجة إلى خوض أكثر عمقاً في ثنايا مطالبه المبحوثة، كما أن دارسه ربما يجد صعوبة غير قليلة في الإجابة عن أسئلة السائلين الفقهية؛ كون الكتاب لا يوفر لدارسه ملكة تطبيق الكبرى على الواقع، وهي الملكة التي كانت توافرها له بدرجة معقولة دراسة كتاب (اللمعة الدمشقية) كما تقدم.

إضافة إلى عدم تناول كتاب (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) المسائل الابتلائية المستجدة التي بدأت تشغل بال المعنيين بدراسة الفقه كثيراً، كعقد التأمين، والاستنساخ، وبعض مسائل الكمبيوتر والانترنت، والعديد من مسائل المصارف، والبنوك، ومسائل كثيرة في الطب وفروعه، من قبيل بعض المسائل المتعلقة بمرض الأيدز، والبحث في مسألة مشروعية الإنجاب بالوسائل الصناعية كحقن المرأة بالسائل المنوي، وزرع البويضة في الرحم، والبحث في مسألة موت الدماغ، وبيع الأعضاء البشرية، وضمان الطبيب، والعديد من المسائل المتعلقة بالتجميل، وتغيير هيئة الأعضاء، والبحث في مسألة بيع السلم وتطبيقاته المستجدة، وعقود التوريد، والمناقصات، والهندسة الوراثية، وأمثالها كثير من المسائل المستحدثة الأخرى التي شاع الابتلاء بها هذه الأيام.



المطلب الثاني:**تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية المقررة سابقاً في علم الأصول**

أورد الساعون لتأليف كتب جديدة لتحل محل الكتب القديمة في علم أصول الفقه مبررات عدة لدعوتهم تلك يمكن إجمالها فيما يأتي:

المبرر الأول: إن الأفكار الأصولية التي تناولتها الكتب الدراسية المعمول بها في هذه المرحلة الدراسية، تعيناً لا تعييناً، قد تخطاها علم أصول الفقه وتجاوزها بمراحل، فكتاب (المعالم) وهو أول كتاب يدرسه الطالب أصبح اليوم جزءاً من مرحلة قديمة تاريخياً من علم الأصول، و(القوانين) تمثل مرحلة تخطاها علم الأصول واجتازها إلى مرحلة أعلى على يد الشيخ الأنصاري وغيره من الأعلام، و(الرسائل) و(الكفاية) أنفسهما نتاج أصولي يعود لما قبل مائة سنة تقريباً - كما تقدم - وقد حصل علم الأصول بعد (الرسائل) و(الكفاية) على خبرة مائة سنة تقريباً من البحث والتحقيق على يد أجيال متعاقبة من العلماء المجددين، وخبرة ما يقارب مائة سنة من البحث العلمي الأصولي جديدة بأن تأتي بأفكار جديدة كثيرة، وتطور طريقة البحث في جملة من المسائل وتستحدث مصطلحات لم تكن تبعاً لها تكون من مسالك ومبانٍ، ومن الضروري أن تنال الكتب الدراسية حظاً مناسباً لها من هذه الأفكار والتطورات والمصطلحات، لئلا يفاجأ بها الطالب في بحث الخارج دون سابق إعداد. وهكذا يوجد الآن فاصل معنوي كبير بين محتويات الكتب الدراسية الأربعة وبين أبحاث الخارج، فبينما بحث الخارج يمثل حصيلة المائة عام الأخيرة من التفكير والتحقيق ويعبر بقدر ما يتاح للأستاذ من قدرة عن ذروة تلك الحصيلة، نجد أن كتب السطح

تمثل في أقربها عهداً الصورة العامة لعلم الأصول قبل قرابة مائة عام، ساكنة عن كل ما استجد خلال هذه الفترة من أفكار ومصطلحات^(١).

وقد كان أشار المرجع الأعلى في زمنه السيد الخوئي خلال تقريره لكتاب (أصول الفقه) للمظفر، إلى هذه الخصيصة بقوله: إن الكتب الأصولية التي نسخ كثير من مسائلها وأقوالها هي التي بقيت يدرسها الطالب المبتدئ والمتوسط حتى اليوم، ولذلك فإن الطالب حينما يصل إلى الدرس العالي يجد أنه لا علاقة بين ما تعلمه وما يتعلمه الآن^(٢).

المبرر الثاني: إن الكتب الأربعة السالفة الذكر على الرغم من أنها استعملت ككتب دراسية منذ أكثر من خمسين عاماً لم تؤلف من قبل أصحابها لهذا الهدف، وإنما ألّفت لكي تعبر عن آراء المؤلف وأفكاره في المسائل الأصولية المختلفة، وفرق كبير بين كتاب يضعه مؤلفه لكي يكون كتاباً دراسياً، وكتاب يؤلفه ليعبر فيه عن أعمق وأرسخ ما وصل إليه من أفكار وتحقيقات؛ لأن المؤلف في الحالة الأولى يضع نصب عينيه الطالب المبتدئ الذي يسير خطوة بخطوة في طريق التعرف على كنوز هذا العلم وأسراره، وأما في الحالة الثانية فيضع المؤلف في تصوره شخصاً نظيراً له مكتملاً من الناحية العلمية، ويحاول أن يشرح له وجهة نظره ويقنعه بها بقدر ما يتاح من وسائل الإقناع العلمي^(٣).

(١) دروس في علم الأصول. الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠ / ١ - ١٨ (باختصار)...

(٢) تنظر صورة تقرير السيد الخوئي لكتاب أصول الفقه للمظفر في الصفحة الرابعة من كتاب أصول الفقه للمظفر. طبعة مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين بقم. ١٤٢٥ هجرية.

(٣) دروس في علم الأصول. الشهيد السيد محمد باقر الصدر: ١٠ / ١ - ١٨ (باختصار)...

المبرر الثالث: إن المقدار الذي ينبغي أن يعطى من الفكر العلمي الأصولي في مرحلة السطح يجب أن يحدد وفقاً للغرض المفروض لهذه المرحلة، والذي أعرفه غرضاً لهذه المرحلة تكوين ثقافة عامة عن علم الأصول لمن يريد أن يقتصر على تلك المرحلة، والإعداد للانتقال إلى مرحلة الخارج لمن يريد مواصلة الدرس، وهذا هو أهم الغرضين، فلا بدّ إذن أن يكون المعطى بقدر يكفل ثقافة عامة تحقق هذا الإعداد، وتوجد في الطالب فهماً مسبقاً بدرجة معقولة لما سوف يتلقى درسه من مسائل، ومرتبة من العمق والدقة تتيح له أن يهضم ما يواجهه في أبحاث الخارج من أفكار دقيقة موسعة وبناءات فكرية شامخة، ومن الواضح أن هذا يكفي فيه أن تتوافر الكتب الدراسية على إعطاء علم الأصول بهيكلة العام، ولا يلزم أن يمتد البحث في تلك الكتب إلى التفرعات الثانوية ويتلقى وجهات نظر فيها، بل الأفضل أن تترك هذه التفرعات على العموم إلى أبحاث الخارج ما دامت المفاتيح التي سوف يتسلمها الطالب كافية لمساعدته على الدخول فيها بعد ذلك مع أستاذ بحث الخارج.

هذا فضلاً عن الاستطرادات التي وقعت فيها تلك الكتب، كاستطرادها في الحديث عن قاعدة لا ضرر ولا ضرار ونحو ذلك، أو التوسعات التي تزيد عن الحاجة لمرحلة السطح في استعراض الأقوال، ونقل الأدلة، واستيعاب النقض والإبرام، حتى بلغت الأقوال التي أحصاها الشيخ في (الرسائل) في (الاستصحاب) وبحث كل واحد منها بحثاً مفصلاً أربعة عشر قولاً^(١).

(١) المصدر السابق نفسه

المبرر الرابع: إن الطريقة المتبعة في تحرير المسائل وتحديد كل مسألة بعنوان من العناوين الموروثة تاريخياً في علم الأصول لم تعد تعبر عن الواقع تعبيراً صحيحاً، وذلك لأن البحث الأصولي من خلال اتساعه وتعميقه بالتدرج منذ أيام الوحيد البهبهاني إلى يومنا هذا طرح قضايا كثيرة جديدة ضمن معالجته للمسائل الأصولية الموروثة تاريخياً، وكثير من هذه القضايا تعتبر من الناحية الفنية ومن الناحية العملية معاً أهم من جملة من تلك المسائل الموروثة، بينما ظلت هذه القضايا تحت الشعاع ولا تبرز إلا بوصفها مقدمات أو استطرادات في مباحث تلك المسائل^(١).

وكمثل تطبيقي على عدم إلمام كتاب (الكفاية) بكل المسائل الأصولية اللازمة لمتطلبات عملية الاستنباط، إضافة لوجود ما لا علاقة له بعملية الاستنباط في (الكفاية)، مما يحمل الطالب أثقالاً إضافية ووقتاً وجهداً غير لازمين لتحقيق غايته العلمية.

فإننا لو رجعنا إلى كتب الفقه الاستدلالية كالرياض، المسالك، والمستند، والجواهر وأمثالها، وتبعنا وبدقة القواعد الأصولية المستخدمة فيها، ثم وبعد استخلاصها منها ووضعها في قائمة نقوم بمقارنة بينها وبين محتويات كتاب (الكفاية) رأينا أن جملة مما يذكر في (الكفاية) لا علاقة له بالاستنباط والاجتهاد، وأن جملة مما له علاقة بالاجتهاد والاستنباط غير موجود في (الكفاية)، ولا أقل هو غير موجود بعنوانه وباحتواء كل أطرافه كقاعدة الظهور،

(١) دروس في علم الأصول. الشهيد السيد محمد باقر الصدر. سابق. وينظر: علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. المرجع السيد محمد سعيد الحكيم. سابق: ١٠٩.

وقاعدة الجمع العرفي والدلالي^(١).

وكان قد قال قديماً المجتهد السيد محسن الأمين^(٢) في حديثه عن كتاب (الكفاية) للشيخ الخراساني إنه: كان يجب أن يكون كتابه أكثر تهذيباً وأوضح عبارة وأحسن ترتيباً مما هو عليه وإن خلّص الطلاب من التطويل لكنه أوقعهم في صعوبة الفهم وقلة التحصيل إلا بعد زمان طويل وعاد الأمر إلى الشرح والحواشي والقال والقليل.

وهو ما ذهب إليه الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الهادي الفضلي^(٣) أن في (كفاية الأصول) ما لا علاقة له بمادة العلم المقرر أي أصول الفقه، وضرب لذلك أمثلة، منها أن أول موضوع نلتقيه في هذا الكتاب الجليل هو (مبحث موضوع العلم) مطلقاً، وذلك لينطلق المؤلف بعد تحديد موضوع العلم إلى تطبيقه هنا وتحديد موضوع علم أصول الفقه على هدي ما انتهى إليه من نتيجة.

وهذا يعني تعليمياً وتربوياً ومنهجياً الخلط بين المادة المنطقية والمادة الأصولية، وذلك لأن البحث عن تحديد موضوع العلم من بحوث وموضوعات علم المنطق لأنه العلم الذي كان يقوم قديماً وقبل استقلال مادة مناهج البحث عنه بدراسة هذا الموضوع.

فالمفروض أن لا يثار بحثه في علم أصول الفقه، وكل ما ينبغي أن يقوم به

(١) مآخذ على مناهج مرحلتي المقدمات والسطوح. سابق.

(٢) أعيان الشيعة. ترجمة الشيخ جعفر كاشف الغطاء: ١٤٤.

(٣) تجربتي مع التعليم الحوزوي. الشيخ عبد الهادي الفضلي. مجلة الجامعة الإسلامية. الصادرة عن الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية. لندن. العدد الأول.

الباحث الأصولي هو الرجوع إلى علم المنطق وتبني الرأي الذي يختاره في المسألة ويتخذ منه المبدأ الذي يطبقه على موضوعه في علم أصول الفقه وهو تحديد موضوع علم أصول الفقه.

ومن المستغرب أن بعض نتائج البحث في مسألة تحديد موضوع العلم هي أنه لا يوجد لعلم أصول الفقه موضوع، وهذا يعني أن لا يسوغ لنا أن نطلق عليه عنوان علم.

ويضيف: ثم بعد هذا نلتقي في الكتاب المشار إليه موضوع (الوضع) الذي يراد به نشأة اللغة. وأيضاً هذا الموضوع هو الآخر لا علاقة له بعلم أصول الفقه وإنما هو من موضوعات تاريخ اللغة وعلم اللغة العام.

يضاف إليه أننا في علم أصول الفقه نضع القواعد لدراسة نصوص الكتاب والسنة وهي نصوص عربية لها خصائصها ومميزاتها في الأسلوب والأداء.

فالذي ينبغي أن يرسم خطة بحث هنا هو أن ندرس دلالة الألفاظ العربية في إطار المصطلحات اللغوية المعروفة، وهي النص والظاهر والأظهر والمؤول والمجمل وإلخ، وكيفية التعامل معها لفهم دلالاتها ومؤدياتها.

وفي وسط مباحث الألفاظ وفي عنفوان البحث اللغوي فيها نلتقي بمسألة من مسائل العقيدة التي تدرس في الفلسفة الإلهية وعلم الكلام وهي مسألة اتحاد الطلب والإرادة، وهي ومن غير ريب مسألة استطرادية حقها أن كان لها علاقة بمادة هذا العلم أن يشار إليها في الهامش إشارة مختصرة وإلا فلا مجال لذكرها إطلاقاً.

وينتهي إلى نتيجة مفادها باختصار، أننا لو رجعنا إلى كتب الفقه الاستدلالية كالرياض والمسالك والمستند والجواهر وأمثالها وتتبعنا بدقّة القواعد الأصولية المستخدمة فيها، ثم بعد استخلاصها منها ووضعها في قائمة، نقوم بمقارنة بينها وبين محتويات كتاب الكفاية رأينا أن قسماً مما يبحث فيها لا حاجة للمستنبط به وقسماً مما يحتاجه المستنبط غير موجود فيها بعنوانه وتفصيله كقاعدي الظهور والجمع العرفي والدلالي كما تقدم سابقاً.

وقد كان أشار المجتهد السيد محسن الأمين^(١) في معرض حديثه عن رأي الشيخ مرتضى الأنصاري في كتاب كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء بقوله: من أتقن القواعد الأصولية التي أودعها الشيخ جعفر في (كشفه) فهو عندي مجتهد.

قال السيد الأمين: فإذا كان الأمر كذلك فلماذا بدأ الشيخ مرتضى (برسائله)، وكتب في دليل الانسداد وحده - الذي يعترف بعدم الحاجة إليه - ما يزيد على ما كتبه الشيخ جعفر في مقدمة (كشفه) من مسائل الأصول.

ويضيف: نقول كان عليه أو على من بعده اختصاره وتهذيبه وحذف ما لا لزوم له منه وإيضاح عبارة الباقي، وإذا كان هو لم يتسع وقته لذلك فكان على من جاء بعده أن يقوموا بهذا الأمر، لا أن يضعوا لكتابه الحواشي المطولة، فأوجب ذلك ضياع عمر الطلاب وصرفهم عما يجب صرف أعمارهم فيه من غير علم الأصول.

بل زاد قسم من أساتذة الحوزة العلمية ومراجعها على ذلك بشدة نقدهم لما

(١) أعيان الشيعة/ ترجمة الشيخ جعفر كاشف الغطاء: ١٤٤.

وصل إليه علم الأصول من إفراط في التوسع، من ذلك ما نقل عن المرجع السيد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) قوله: بأن مثل علم الأصول هذا اليوم مثل كلب الزرع والبستان، فكما أن كلب الزرع والبستان يمنع السارق والمعتدي من الاقتراب من البستان والزرع، فكذا يمنع أصول الفقه المتنفخ في يومنا هذا من الدخول في جنة القرآن، وبستان أحاديث أهل البيت عليهم السلام، حيث ترى العالم في النجف يدرس سنين المسائل الأصولية ويناقشها على أساس الأبحاث العقلية والفلسفية البحتة، وليس له إلمام واسع -مع الأسف- بآيات الأحكام القرآنية والتفسير والأحاديث الشريفة الماثورة عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام، كما أنه لم يتذوق مرادهم، ولم يعيش أجواءهم النقية، ولم يفهم مشربهم، ولم يعرف شيئاً كثيراً عن رؤيتهم الفقهية والعقائدية والتفسيرية^(١).

ونظراً لملاحظات عدة على الكتب الأصولية السائدة أفنعت المتبعين بأهميتها فقد بذل المصلح المجدد ساحة الشيخ محمد رضا المظفر جهده في تأليف كتابه (أصول الفقه)، ليشكل حلقة وسطى بين كتابي (المعالم) و(الكفاية)، مقسماً فيه أبحاث علم الأصول إلى أقسام أربعة، متبعاً في ذلك منهجة شيخه ساحة الشيخ محمد حسين الأصفهاني الذي تبناه في دورة بحثه الأصولية الأخيرة وهي:

« **مباحث الألفاظ:** وهي تبحث عن مداليل الألفاظ وظواهرها من جهة

(١) مع علماء النجف الأشرف. سابق: ١٥ / ٢. يقول مؤلف الكتاب إنه سمع ذلك من السيد السبزواري شخصياً.

عامة نظير البحث عن صيغة (افعل) في الوجوب وظهور النهي في الحرمة ونحو ذلك.

« **المباحث العقلية:** وهي ما تبحث عن لوازم الأحكام في أنفسها ولو لم تكن تلك الأحكام مدلولة للفظ، كالبحث عن الملازمة العقلية بين حكم العقل وحكم الشرع.

« **مباحث الحجة:** وهي ما يبحث فيها عن الحجية والدليلية، كالبحث عن حجية خبر الواحد وحجية الظواهر وحجية ظواهر الكتاب وحجية السنة والإجماع والعقل، وما إلى ذلك.

« **مباحث الأصول العملية:** وهي تبحث عن مرجع المجتهد عند فقدان الدليل الاجتهادي، كالبحث عن أصل البراءة والاحتياط والاستصحاب ونحوها.

فمقاصد الكتاب إذاً أربعة، وله خاتمة تبحث عن عوارض الأدلة وتسمى: مباحث التعادل والتراجيح، فالكتاب يقع في خمسة أجزاء^(١).

ثم عاد الشيخ فاستدرك بعدئذ فوضع كتابه في أربعة أجزاء حيث ألحق (مباحث التعادل والتراجيح) بالجزء الثالث ضمن مباحث الحجج، كونه كما قال في مقدمة الباب التاسع: أليق شيء بها (...) لأن نتيجتها تحصيل الحجة على الحكم الشرعي عند التعارض بين الأدلة^(٢).

إن لكتاب (أصول الفقه) لشيخنا المظفر إيجابيات كثيرة يأتي في مقدمتها:

(١) أصول الفقه. الشيخ محمد رضا المظفر: ٧ / ١.

(٢) المصدر السابق: ١٨١ / ٣.

حرصه الموفق على تبسيط أصول هذا الفن لطلاب السطوح كي يعينهم على خوض غمار بحره المتلاطم، مع براعة لا يقدر عليها إلا من أوتي قوة في التعبير، وسلاسة في العرض، يستطيع من خلالها أن يوصل المعنى العلمي الدقيق بعبارة دالة واضحة وهو ما كان يفتقده المنهج الدراسي المتبع لعلم الأصول في هذه المرحلة؛ ذلك أن الكتب الدراسية لا تحتوي على الصعوبة والتعقيد في الجانب المعنوي والفكري منها فقط، بل إنها تشتمل على الصعوبة والتعقيد في الجانب اللفظي والتعبيري أيضاً - وهو ما أشير إليه سابقاً - ولهذا تجد عادة أن المدرس حتى بعد أن يشرح الفكرة للطلاب تظل العبارة مستعصية على الفهم، ويحس الطالب بالحاجة إلى عون الأستاذ في سبيل تطبيق تلك الفكرة على العبارة جملة جملة، وليس ذلك إلا لأن العبارة قد طعّمت بشيء من الألغاز، إما لإيجازها أو للالتواء في صياغتها أو لكلا الأمرين^(١) معاً حتى قال قائلهم في شكوى مريّة ضمنها مقالته الذي كتبه ونشره عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٣م) إن كتب كفاية الأصول: عبارته مغلقة للغاية. وقال طالب آخر باثناً معاناته من التعقيد اللفظي والمعنوي بما نصه: وصلت في دراستي الحوزوية على الطريقة القديمة في الدراسة إلى كتاب (كفاية الأصول) الذي صدمني بتعقيده ورموزه وسوء تعبيره، مما يولد في نفسي رد الفعل عن مواصلة دراسة هذا العلم^(٢).

إن قدرة الشيخ المظفر المشهود لها في أوساط الحوزات العلمية هي التي مكنته من الجمع في كتابه بين سهولة العبارة وسلاستها من ناحية، والاختصار المحسوب بدقة من ناحية ثانية، وجميل انتقائه لآخر ما وصلت إليه بحوث مدرسة النجف

(١) دروس في علم الأصول. سابق: ١ / ٢٥.

(٢) شعراء الغري. على الخاقاني: ٧ / ٣٥١.

الحديثة في علم الأصول من ناحية ثالثة، وجديد منهجته في تصنيفه للمباحث الأصولية من ناحية رابعة، تلك التي تجلت بإضافة باب جديد هو (مباحث الحجج) إلى مباحث هذا العلم وبحثه مستقلاً في باب مستقل، في حين كانت الموضوعات التي بحثها في هذا الباب تبحث عند سابقه ضمن موضوعات أخرى كالقطع والظن كما في كتاب (فرائد الأصول) للشيخ الأنصاري^(١).

إن هذه الأمور الأربعة وغيرها هي التي أعطت لكتاب الشيخ المظفر هذه الخصيصة، فنال بها ثناء علماء الحوزة وأساتذتها الكبار بل مراجعها.

فهذا المرجع السيد الخوئي يثني على (أصول الفقه) للمظفر بقوله كنت منذ زمن بعيد أرغب في أن يؤلف كتاب في هذا العلم تلائم أبحاثه الأبحاث العالية ويعمّ تدريسه على طلاب العلوم الدينية حتى قدّم لي الحجة الشيخ محمد رضا المظفر (دامت تأييداته) ما رتبه من المباحث الأصولية في القسم الأول من كتابه (مبادئ علم الأصول) ترتيباً جميلاً، فألفيته بحمد الله وافياً بالمقصود، وجاءنا بالموجز من القواعد والأصول التي تدور عليها رحي الأبحاث في عصرنا الحاضر. وجدير بطالب العلم أن يدرس هذا الكتاب ليتهيأ بذلك للانتفاع بالدراسات العالية، ونسأل الله تعالى أن يوفق المؤلف دام فضله لإنجاز القسم الثاني من كتابه^(٢).

كما أن ميزاته العديدة جعلته خلال فترة زمنية ليست بالطويلة يحتل دوره البارز من بين كتب الدراسة والتدريس المعتمدة لهذا العلم في أوساط الحوزة

(١) ينظر: منهج دراسة النص عند الأصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره. د. عبد الهادي الفضلي.

بحث. منشور ضمن بحوث كتاب: السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف: ١٠٨.

(٢) تنظر صورة تقرير السيد الخوئي لكتاب أصول الفقه للمظفر. سابق.

العلمية النجفية، بل وفي الحوزات العلمية في شرق الأرض وغربها كافة.

بيد أن ذلك لا يعني عدم وجود بعض الملاحظات التي وردت عليه، يأتي في مقدمتها: أنه وإن غيّر من المظهر العام لعلم أصول الفقه، إذ قسّمه إلى أربعة أقسام بدلاً من قسمين، وأدرج مباحث الاستلزامات والاقتضاءات في نطاق المباحث العقلية بدلاً عما درج عليه المؤلفون من ذكرها ضمن مباحث الألفاظ، ولكن هذا لم يتجاوز التصرف في كيفية تقسيم مجموعة المسائل الأصولية المطروحة في الكتب السابقة إلى مجاميع، فقد صنفت في أربعة مجاميع - كما أشرنا - بدلاً عن مجموعتين، ولم يمس هذا التصرف جوهر تلك المسائل، ولم يستطع أن يكتشف مثلاً في مقدمات مسألة الملازمة بين وجوب الشيء ووجوب مقدمته مسائل أصولية لها استحقاقها الفني لأن تعرض كمسائل أصولية في نطاق الأدلة العقلية. وهكذا اقتصر التغيير على المظهر ولم يتجاوزه إلى الجوهر^(١).

ويأتي منها عدم استيعابه للمطالب الأصولية حيث لم يتسن له كتابة الأصول العملية، عدا بعض مباحث الاستصحاب لا كلها، ولأنه خرج في كثير من أبحاثه عن أن يكون مقدمة لدراسة كتاب (الكفاية) - كما خطط له - فقد توسع في بعضها بما هو أعمق وأحدث من مطالب الكفاية، كما في مبحث: التمسك بالعام في الشبهة المصدقية، واعتبارات الماهية من بحث المطلق والمقيد، والتحسين والتقيح العقلين، وكذا أغلب مباحث الملازمات العقلية غير المستقلة، وبحثه في موضوع الاستصحاب وكثير من تنبيهاته إلى غير ذلك مما يلاحظه المطلع العارف.

(١) ينظر: دروس في علم الأصول مع المعالم الجديدة. الشهيد السيد محمد باقر الصدر: الحلقة الأولى: ٢٢٤ -

وهو وإن علل ذلك في بعض المباحث بأن المفروض في الطالب أنه قد وصل إلى مرتبة من العلم يسهل معها استيعابه لما يعرض عليه من مطالب، فإن الإحاطة بكثير من هذه المباحث بالصورة التي عرضها تجعل الطالب أسبق بمرحلة أو مراحل مما يمر عليه في (الكفاية)، فكيف يا ترى والحال هذه يكون الكتاب مقدمة لدراستها^(١).

إضافة إلى أن المنهج الدراسي المتبع في الحوزة العلمية يفرض على الطالب دراسة كتابي: (الرسائل) و (الكفاية) قبل انتقاله إلى مرحلة البحث الخارج وهنا يشعر الطالب بفجوة بين ما قرأه في كتاب المظفر وما يقرؤه في كتاب (الرسائل) أو (الكفاية) من حيث الأسلوب والمنهجية والألفاظ، وهذا ما يشكل عائقاً للطالب، فلو أن الشيخ المظفر كتب كتاباً قبل أصول المظفر وكتاباً بعده بحيث تصبح هذه الكتب حلقات متدرجة ينتقل فيها الطالب بشكل تدريجي فإنه لن يشعر بهذه الفجوة (...). مضافاً إلى وجود بعض نقاط الضعف في هذا الكتاب من قبيل وجود بعض الزوائد التي كان يمكن الاستغناء عنها^(٢).

كما أن الطالب الذي يبدأ بـ (المعالم) فيقرأ أبحاثاً أصولية ومناهج أصولية في البحث وفقاً لما كان عليه العلم قبل مئات السنين، ينتقل فجأة ليتلقى في (أصول الفقه) للمظفر أفكاراً أصولية حديثة مستقاة من مدرسة المحقق النائيني^(٣).

(١) تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية. سابق: ٢١٧. ودروس في علم الأصول مع المعالم الجديدة. سابق: ٢٢٥.

(٢) حوار مع سماحة الشيخ باقر الإيرواني. سابق: ص ١٨٠.

(٣) المرجع الشيخ محمد حسين النائيني. سابق ولاحق. أحد أعلام مدرسة النجف الأشرف الحديثة في علمي الفقه والأصول وأستاذ الشيخ المظفر.

على الأغلب، ومن تحقيقات المحقق الأصفهاني^(١) أحياناً، وبعد أن يفترض أن الطالب فهم هذه الأفكار نرجع به خطوة إلى الوراء ليلتقي في (الرسائل) و(الكفاية) بأفكار أقدم تاريخياً بعد أن ناقش جملة منها في الحلقة السابقة، واستبدلت جملة منها بأفكار أمتن، وهذا يشوش على الطالب مسيره العلمي في مرحلة السطح، ولا يجعله يتحرك في الاتجاه الصحيح^(٢).

وليس هذا الإشكال، ولا ما سبقه، موجّها لكتاب الشيخ نفسه كما يبدو، بل هو موجّه لقناعة الشيخ أو لظرفه، كونه لم يتم تأليفه النافع في أصول الفقه بما يسبقه ويلحقه، ولو كان حصل ذلك لاستغنى الطالب بما كتب الشيخ المظفر عن دراسة الكتب الأخرى في هذه المادة العميقة الغور، كما استغنى كثير من الطلاب بكتابه (المنطق) عن كتب المنطق السابقة عليه.

ولقد كان يمكن أن ينبري لهذه المهمة من هو مؤهل لحمل ثقلها من العلماء الأعلام المعاصرين أو اللاحقين له، ولا زال الوقت مناسباً لذلك على كل حال.

ثم كان أن تصدى لتأليف منهج دراسي في علم أصول الفقه سماحة المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، فألف كتابه المعنون بـ (دروس في علم الأصول) المعروف في أوساط الحوزويين بـ (الحلقات)، وهو كتاب ذو ثلاث حلقات متدرجة تناولت المهم من المطالب الأصولية، خصص الحلقة الأولى للمبتدئين في هذا العلم، وخصص الثانية للمتوسطين منهم ممن قضوا وطراً في دراسته الأولية،

(١) المرجع الشيخ محمد حسين الأصفهاني. سابق ولاحق. أحد أعلام مدرسة النجف الأشرف الحديثة في علمي الفقه والأصول وأستاذ الشيخ المظفر، وواضع المنهج الذي سار عليه الشيخ المظفر في تقسيمه لعلم الأصول.

(٢) ينظر: دروس في علم الأصول مع المعالم الجديدة. سابق: الحلقة الأولى: ٢٢٤.

وخصص الحلقة الثالثة لمن هم على أبواب دخول مرحلة البحث الخارج، محاولاً أن يتدرج في عرض المطالب الأصولية نفسها نحو الأوسع فالأوسع.

فالموضوع المبحوث في الحلقة الأولى مبسطاً يعاود بحثه ثانية في الحلقة الثانية بشكل أوسع، وهكذا في الحلقة الثالثة بشكل أكثر عمقاً وشمولاً، ساعياً من خلال محاولته الثلاثية هذه إلى وضع منهج أصولي يستغني به الطالب عن دراسة غيره، وينتقل بعد الانتهاء من حلقاته الثلاثة إلى البحث الخارج مباشرة، آخذاً بعين الاعتبار - كما نص هو نفسه على ذلك - النقاط التالية:

أولاً: إن الهدف الذي جعلنا على عهدة الحلقات الثلاث تحقيقه وصممناها وفقاً لذلك، هو ما أشرنا إليه سابقاً من إيصال الطالب إلى مرحلة الإعداد لبحث الخارج، وجعله على درجة من الاستيعاب للهيكل العام لعلم الأصول، ومن الدقة في فهم معالمه وقواعده تمكنه من هضم ما يعطى له في أبحاث الخارج هضمًا جيداً.

ثانياً: إن الحلقات الثلاث تحمل جميعاً منهجاً واحداً تستوعب كل واحدة منها علم الأصول بكامله، ولكنها تختلف في مستوى العرض كما وكيفاً، وتدرج في ذلك، فيعطى لطالب الحلقة الأولى أو الثانية قدر محدد من البحث في كل مسألة، ويؤجل قدر آخر إلى المسألة من الحلقة التالية. ولم يتمثل التدرج في العرض في كل حلقة بالنسبة إلى سابقتها، بل تمثل أيضاً في نفس الحلقة الواحدة وفقاً لنفس الأسباب من الناحية الفنية، فالحلقة الثانية تتصاعد بالتدرج، والحلقة الثالثة يعتبر الجزء الثاني منها أعلى درجة من الجزء الأول.

ثالثاً: إننا لم نجد من الضروري حتى على مستوى الحلقة الثالثة استيعاب كل

الأدلة التي يستدل بها على هذا القول أو ذاك... لأن هذه الإحاطة إنما تلزم في بحث الخارج، أو في تأليف يخاطب به العلماء من أجل تكوين رأي نهائي، فلا بد حينئذ من فحص كامل، وأما في الكتب الدراسية لمرحلة السطح فليس الغرض منها كما تقدم إلا الثقافة العامة والإعداد.

رابعاً: إنا تجاوزنا التحديد الموروث تاريخياً للمسائل الأصولية، وأبرزنا ما استجد من مسائل وأعطيناها عناوينها المناسبة، وهذا يمتاز على التصنيف الثنائي المشهور، ويمتاز على التصنيف الرباعي الذي اقترحه المحقق الأصفهاني، وسار عليه كتاب (أصول الفقه) - للشيخ المظفر - إذ في كلا التصنيفين تفصل حجية الظهور وحجية السند عن أبحاث الدلالة، بينما الجهات الثلاث متلاحمة مترابطة في عملية الاستنباط، فلكي يوحي التصنيف بصورة للقواعد الأصولية تتفق مع مواقعها في عملية الاستنباط لا بد من اتباع ما ذكرناه.

خامساً: إنا لاحظنا في استعراضنا لأحاد المسائل ضمن التصنيف المذكور الابتداء بالبسيط والانتهاء إلى المعقد والتدرج في عرضها بحسب درجات تعقيداتها وترابطاتها، وحرصنا على أن لا نعرض مسألة إلا بعد أن نكون قد استوفينا مسبقاً كل ما له دخل في تحديد التصورات العامة فيها، وإن لا نعطي في كل مسألة من الاستدلال والبحث إلا بالقدر الذي تكون أصوله الموضوعية مفهومة بلا حاجة إلى الرجوع إلى مسألة لاحقة.

سادساً: وجدنا أن تعدد الحلقات شيء ضروري لتحقيق المنهج الذي رسمناه، لأن إعطاء مجموع الكمية الموزعة للمسألة الواحدة في الحلقات الثلاث ضمن حلقة واحدة تحمّل فجائي للطلاب فوق ما يطيقه، ويكون جزء من تلك

الكمية عادة مبنياً على مسائل أخرى بعد لم يتضح للطالب حالها، بل إنّنا وجدنا أن تثليث الحلقات شيء ضروري أيضاً على الرغم من أن الحلقة الأولى يبدو أنها ضئيلة الأهمية، وقد يتصور الملاحظ في بادئ الأمر إمكان الاستغناء عنها نهائياً، ولكن الصحيح عدم إمكان ذلك لأننا بحاجة قبل أن نبدأ بحلقة استدلالية تشمل على نقض وإبرام إلى تزويد الطالب بتصورات عن المطالب والقواعد الأصولية حتى يكون بالإمكان في تلك الحلقة الاستدلالية أن نضمن استدلالنا ونقضنا وإبرامنا لهذه المسألة أو تلك هذا المطلب الأصولي أو ذاك.

سابعاً: إن كل حلقة وإن كانت تستعرض علم الأصول ومباحثه على العموم، ولكن مع هذا قد نذكر بعض المسائل الأصولية أو النكات في حلقة، ثم لا نعيد بحثها في الحلقة التالية اكتفاءً بما تقدم لاستيفاء حاجة المرحلة أي مرحلة السطح بذلك المقدار.

ثامناً: إننا لم ندخل على العبارة الأصولية تطويراً مهماً، ولم نتوخ أن تكون العبارة في الحلقات الثلاث وفقاً لأساليب التعبير الحديث، وإنما حاولنا ذلك إلى حد ما في الحلقة الأولى فقط، وأما في الحلقتين الثانية والثالثة، فقد حرصنا أن تكون العبارة سليمة ووافية بالمعنى، ولكن لم نحاول جعلها حديثة، ولهذا جاء التعبير في الحلقتين العاليتين مقارباً في روحه العامة للتعبير المألوف في الكتب العلمية الأصولية، وإن تميز عنه بالسلامة والوضوح ووفاء العبارة بالمعنى.

تاسعاً: أشرنا آنفاً إلى أننا حرصنا على سلامة العبارة، وأن تكون واضحة وافية بالمعنى، ولكن هذا لا يعني أن تفهم المطالب من العبارة رأساً، وإنما توخينا الوضوح والسلامة بالدرجة التي تضمن أن تفهم المطالب من العبارة في حالة

دراستها على الأستاذ المختص بالمادة، لأن الكتاب الدراسي لا يطلب منه التبسيط أكثر من ذلك كما هو واضح^(١).

ولعل الشهيد الصدر أثر منهجة سماحة السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م)^(٢)، فألف وفقها كتابه الأصولي (دروس في علم الأصول) بحلقات ثلاث، مفضلاً هذه المنهجية على سواها من مناهج تأليف الكتب الدراسية في العلوم المختلفة، ومنها علم أصول الفقه، فقد كان سبق أن اقترح السيد محسن الأمين أن يضع أفاضل العلماء في حوزة النجف الأشرف في كل علم ثلاثة كتب: مختصر ومتوسط ومطوّل (...) ويكون عليها مدار التدريس في مدرسة النجف الكبرى، وتتبعها سائر المدارس في أقطار البلاد^(٣) بعد أن رأى أن كتب الأصول المتداول قراءتها (كالمعالم، والقوانين، والرسائل، والكفاية) محتاجة إلى التهذيب^(٤).

(١) دروس في علم الأصول. سابق: ١/ ٢٩. ٢٢ (باختصار).

(٢) ولد في مدينة شقرا إحدى مدن الجنوب اللبناني سنة ١٢٨٢ هجرية وتلقى تعليمه الأولي بها ثم توجه إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته العلمية فدرس على أكابر علمائها ثم عاد إلى سورية فاستقر بدمشق الشام وتولى مهمة فتح مدارس جعفرية لأبناء وبنات دمشق كما تولى مهمة الوعظ والتدريس أيضاً حتى وافاه الأجل بدمشق وقد استطاع جمع الكثير مما تفرق من آثار الإمامية وسيرهم ونافح عن معتقداتهم بما مكنه الله من قوة الإقناع وشدة الحافظة والإحاطة الكبيرة وسعة الأفق، ولعل فيما كتبه وصنفه خير دليل على ما أقول. من أهم كتبه كتابه القيم (أعيان الشيعة) نشر منه ٣٥ مجلداً، ولم يتم، وطبع منه بعد وفاته إلى السادس والخمسين وله أيضاً الحصون المنيعية. والمجالس السنية والدر الثمين وديوان شعر والعديد غيرها من الكتب الأخرى. جاهد ضد الاحتلال الفرنسي لبلاد الشام وقد أصدر نجله المؤلف الكبير السيد حسن الأمين سنة ١٣٧٣ هجرية كتاباً أسماه (السيد محسن الأمين: حياته بقلمه وبأقلام آخرين) وفيه من سيرته وجهاده ما يستحث الباحث على مراجعته.

(٣) معادن الجواهر. السيد محسن الأمين: ١/ ٤٥-٤٦، نقلاً عن السيد محسن الأمين في سيرة حياته. ملاحق أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٢٢.

(٤) المصدر السابق نفسه.

بيد أن كتاب الحلقات للشهيد الصدر رغم غناه العلمي وخاصة في حلقاته الثالثة، لا يخلو كمنهج تدريسي من إشكالات عدة يأتي في مقدمتها:

أولاً: إن المصطلحات الأصولية الواردة في كتاب الحلقات بعيدة عن المصطلحات المتعارفة في كتب علم الأصول الأخرى والسائدة في كتابات الأصوليين الآخرين من أعمدة هذا العلم وأساتذته وباحثيه، مما ولّد هوة فاصلة بين دارس كتاب الحلقات والمتتبع لمصادر علم الأصول الأوسع، فيما لو رغب الطالب بمواصلة دراسته العليا لمرحلة ما بعد كتاب الحلقات.

ولطالما شعر دارس الحلقات بالغرابة العلمية، وهو يحوس خلال أبحاث العلماء الأصوليين السابقين أو المعاصرين له. وهي مشكلة تربوية ليست هينة على الطالب، ولا على المخطط التربوي. إن هذه المصطلحات الجديدة أعاقَت من سير هذا الكتاب ومن فتح الطريق له بسرعة^(١).

ورغم أن السيد الشهيد الصدر كان ملتفتاً إلى هذه المشكلة حين تأليفه لكتابه الحلقات، ومستوعباً لأهميتها لاعتبارين نص عليهما في مقدمته لكتابه هما: « الاعتبار الأول: إننا إذا كتبنا الحلقات الثلاث بأساليب التعبير الحديثة، ووضعنا بدلاً مناسباً عن المصطلحات القديمة، فسوف تنقطع صلة الطالب بمراجع هذا العلم وكتبه، ويتعسر عليه الرجوع إليها، وهذا يشكل عقبة كبيرة تواجه نموه العلمي.

وعلى هذا الأساس اكتفينا من التجديد في أساليب التعبير الأصولي بما أنجز في الحلقة الأولى، وانتقلنا بالطالب في الحلقتين العاليتين إلى أرضية

(١) حوار مع ساحة الشيخ باقر الإيرواني. سابق: ١٨١.

لغوية قريبة مما هو مألوف في كتب الأصول.

« والاعتبار الآخر: إن الكتب الدراسية الأصولية والفقهية المكتوبة باللغة العربية تتميز عن أي كتاب دراسي عربي في العلوم المدنية بأنها كتب لا تختص بأبناء لغة دون لغة، وكما يدرسها العربي كذلك يدرسها الفارسي والهندي والأفغاني وغيرهم من أبناء الشعوب المختلفة في العالم الإسلامي على الرغم من كونها كتباً عربية، وهؤلاء يتلقون ثقافتهم العربية من المصادر القديمة التي لا تهين لهم قدرة كافية لفهم اللغة العربية بأساليبها الحديثة، فما لم يحصل بصورة مسبقة تطوير وتعديل في أساليب تثقيف هؤلاء وتعليمهم اللغة العربية يصعب اتخاذ أساليب التعبير الحديث أساساً للتعبير في الكتب الدراسية الأصولية^(١).

إلا أنه مع ذلك لم يستطع، كما يبدو، تجاوز هذه المشكلة بحسب تشخيص مدرسي هذه المادة وأساتذتها المباشرين. فهذا مثلاً سماحة الشيخ باقر الإيرواني في معرض تقويمه لوجود هذه المصطلحات الجديدة في كتاب الحلقات يصفها بأنها مشكلة يعاني منها الطالب^(٢).

ثانياً: إن السيد الشهيد لم يقتصر تغييره على الألفاظ والبيان، بل غير أيضاً المنهجية، فقدّم وأخر في المطالب، وهذا التقديم والتأخير والاختلاف في الترتيب السائد لعلم الأصول يؤثر على الطالب (...) يضاف إلى ذلك أمر آخر: وهو أن الأسلوب المتبع في البحث الخارج قائم على ملاحظة الكتب القديمة، فالمدرسون

(١) دروس في علم الأصول. سابق: ٢٧ - ٢٨.

(٢) حوار مع سماحة الشيخ باقر الإيرواني. سابق: ١٨١.

في البحث الخارج يلاحظون كتاب (الكفاية) وكتاب (الرسائل)، فيبقى الطالب مرتبطاً بهذين الكتابين ولن يفك ارتباطه بهما. وعلى هذا الأساس يبقى الطالب ينظر بعين إلى ما ألفه السيد الشهيد وبعين أخرى إلى هذين الكتابين، ولذلك نرى أن الإخوة في الحوزة العلمية لا يستغنون عن هذه الكتب ودراستها وإن كانوا يحبون ذلك^(١).

ثالثاً: إن الحلقات بما في ذلك الحلقة الأعمق منها وهي الحلقة الثالثة ليست كافية كي تؤهل الطالب لينتقل منها إلى البحث الخارج مباشرة، رغم أن مادتها العلمية هي الأحدث في علم الأصول، فلو كان السيد الشهيد توسع أكثر في حلقاته بحيث تكون الجرعة الأصولية المستخلصة من (الحلقات) مساوية للجرعة الأصولية المستخلصة من (الرسائل) أو (الكفاية) لكان جمع في مباحث الأصول بين الأحدث والأصعب في آن.

وهناك غير هذه المشكلة وتلك، من قبيل أن الحلقة الأولى تبدو كما لو كانت كتاب مطالعة متأنية، وليست كتاب درس وتدریس ومباحثة، كما هو دأب الطالب الحوزوي مع الكتب الدراسية المعمول بها، ومن قبيل ما يترتب على ذلك من عدم استطاعة الحلقات ردم الهوة العلمية الفاصلة بين الحلقة الأولى والحلقتين الثانية والثالثة، فبينما قد يكتفي الطالب الأملعي - كما ينص السيد الشهيد في مقدمته لكتابه - بأن يمرّ على الحلقة الأولى مروراً سريعاً مع الأستاذ، أو يقرأها بصورة منفردة، ويراجع الأستاذ في بعض النقاط منها كما كنت أرى وأسمع من بعضهم وأشهد خلال تدريسي لبعض مباحث الحلقات في الجامعة،

(١) حوار مع ساحة الشيخ باقر الإيرواني. سابق: ١٨١.

يعسر على الألمي نفسه في مرحلة السطوح استيعاب بعض مباحث الحلقة الثالثة مع الأستاذ والدرس إلا بعد جهد وتعب.

ومن أجل تخطي بعض هذه الإشكالات المتقدمة، واستجابة من سماحة الشيخ الإيرواني لطلبات بعض المشرفين على شريحة من المدارس الحوزوية في حوزة قم المقدسة بأن يؤلف كتاباً في الأصول على غرار (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) فكتب كتابه (دروس في علم الأصول الحلقة الأولى والثانية في أسلوبها الثاني)، جامعاً فيه بين المحافظة على كتاب (الحلقات) للشهيد الصدر من حيث المضمون والمنهج مع إدخال بعض التعديلات عليه.

وقد أشار سماحته إليها باختصار في برنامج عمله اليومي - كما سيأتي - وفصلها أكثر في مقدمة كتابه، وهي:

« اختصار بعض الموضوعات، فألفاظ بعض الأبحاث أزيد من المعاني، وهذا كما نعرف شيء مرغوب عنه في الكتاب المدرسي، وربما عرض موضوعاً في سبع صفحات مثلاً فقمنا باختصاره في صفحة واحدة من قبيل ما ذكره في الحلقة الأولى تحت عنوان جواز عملية الاستنباط.

« حذف بعض الموضوعات، فقد لاحظنا أحياناً حصول تكرار لموضوع واحد في حلقتين بمستوى واحد، والحال لأن المناسب الإحالة على ما سبق، كما يلاحظ ذلك في تقسيم الدلالة إلى تصورية وتصديقية أولى وثانية، فإنه في الحلقة الثانية أحسن حالاً منه في الأولى، وربما لاحظنا في بعض الموارد حصول تكرار ممل لموضوع واحد فقمنا بحذف التكرار والاكتفاء بالإشارة كما صنعنا ذلك في الحلقة الثانية فحذفنا ما ذكره في أربع صفحات تقريباً

تحت عنوان تحديد المنهج في الأدلة والأصول وما بعده إلى عنوان الأدلة المحرزة واقتصرنا على ذكر المهم منه في نصف صفحة.

« التبرع في بعض الأبحاث بإضافة شيء، وعلى سبيل المثال ذكر في آخر الحلقة الأولى تحت عنوان التعارض بين النوعين بحثاً في صفحة أو أكثر يرتبط بتقديم الدليل المحرز على الأصل العملي، وفي ثانياً ذلك ذكر أن الدليل المحرز إذا كان قطعياً فلا مجال لجريان الأصل، ولا تتحقق المعارضة لارتفاع موضوع الأصل، ونحن أضفنا وهو ما يصطلح عليه بالورود لكون الرفع فيه حقيقياً.

« تغيير بعض التعابير فإنها - كما هو الطابع العام في تعابير السيد الشهيد من الممتنع، فحاولنا أن تكون من السهل الممتنع. وبعضها ربما يتلاءم مع كتابة المقال أكثر، فحاولنا العكس فتكون أقرب إلى الكتاب الدراسي.

« إعطاء مجال أكبر للأستاذ، فإن المطلب الدقيق إذا كان مضغوطاً في عبارة مختصرة حوزوية ليّنة - وطبيعي ليس فيها لفّ ودوران بالضمائر ونحوها - يعطي فرصة أكبر للأستاذ أمام تلاميذه في تبيان المطلب وفي التطبيق على العبارة^(١).

كما لاحظها أيضاً بعد قراءة الساحة العلمية العملية حتى في حوزات إيران وفي مقدمتها حوزة قم المقدسة، سماحة السيد محمود الهاشمي^(٢) بقوله: وقد رأينا من خلال التجربة العملية الميدانية أن هذا التغيير الذي حصل في الحلقات

(١) دروس في علم الأصول الحلقة الأولى والثانية في أسلوبها الثاني. الشيخ باقر الإيرواني: ١٥ - ١٦.

(٢) بحوث في الفقه الزراعي. حيدر حب الله. المقدمة بقلم السيد الهاشمي: ٨ - ٩.

أدى إلى نوع من عدم الانسجام بين منهج الحلقات المقررة للتعليم البدائي والمتوسط في الدراسات الأصولية المعبر عنها بدراسة السطوح مع منهج التعليم العالي المعبر عنه ببحوث الخارج في الحوزات العلمية، وكان هذا العامل باعتقادي هو السبب الأساس لبقاء الكتب الدراسية القديمة هي الرائجة والمتبعة في مناهج دروس السطوح في الدراسات الأصولية اليوم في أكثر الحوزات رغم ما فيها من ضعف فني وتعليمي.

ولذلك فقد فكر السيد الهاشمي في علاج هذه المشكلة من خلال صياغة جديدة وتغيير شكلي في تنظيم مباحث الحلقات وارجاعها إلى التنظيم السائد والمألوف في منهج التعليم العالي للأصول (...). مع الحفاظ على متن الحلقات بشكل كامل، وهذا ما تم بحمد الله في هذه الصياغة الجديدة مع إضافة بعض العناوين الجانبية المطابقة مع ما هو المؤلف والمأنوس في الدراسات العليا لأصول الفقه. واستدراك بعض المباحث التي حذفها السيد الشهيد في الحلقة الثالثة. وكذلك الإشارة إلى مصادر الآراء والنظريات الأصولية التي ينقلها السيد الشهيد عن أصحابها، أو ذكر عباراتهم في هامش الكتاب مما يسهل على الطالب مراجعتها وفهمها من الكتب الأصولية المتداولة وجملة من خصائص وامتيازات أخرى^(١).

ولعل من السابق لأوانه الحكم على هذه التجربة ميدانيا وسترينا السنوات القادمة ذلك، وإن كنت لا أتوقع نجاح هذا المسعى في حوزة النجف الأشرف على الأقل حتى الآن.

ثم كان أن أَلَفَ أخيراً سماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم

(١) المصدر السابق: ٩ - ١٠.

كتابه الأصولي المعنون (الكافي في أصول الفقه) في جزأين كبيرين، ليكون الكتاب التدريسي الممهد لحضور مرحلة البحث الخارج، والبديل لكتابي: (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري وهو الكتاب الذي يتكفل ببحث القسم الثاني من الأصول، في القطع ومباحث الحجج والأصول العملية والتعارض، بتفصيل واستيعاب و(كفاية الأصول) تأليف العَلَم الباني على تلك الأسس، المحقق الخراساني، وهو الكتاب الذي يستوعب بجزأيه دورة أصولية كاملة بعمق واختصار.

وقد عالج الكتابان (الرسائل) و(كفاية الأصول) كما يقول في مقدمة كتابه (الكافي) مشاكل علمية سابقة، وتضمننا مطالب جديدة، وأرسيا قواعد جليلة ينهض عليها علم الأصول الحديث، وأدّيا دوراً خطيراً مشكوراً في خدمة الحوزة دراسياً وعلمياً، وصارت مطالبهما مدار البحث والتحقيق في مدة تقرب من قرن ونصف القرن للكتاب الأول وقرن للكتاب الثاني^(١).

ويضيف المرجع السيد الحكيم قائلاً: غير أن تطور العلم في هذه المدة الطويلة بفضل أعلام التحقيق الذين برزوا على الساحة يفرض الحاجة لكتاب يخلفهما ليتناسب مع ذلك التطور المشرف، ويحاول التخلص من سلبات الكتابين، وأهمها عدم تناسبهما في العرض، وعدم وفاء الكتاب الأول بدورة أصولية كاملة، والاختصار المشفوع بالتعقيد وغموض البيان في الثاني (...). وقد زاد كتاب (الكافي في أصول الفقه) على كتاب (رسائل) الشيخ الأنصاري بما يقرب من الثلث، كما زاد عليه ببحث لم يتضمنه، وهو القسم الأول من الأصول في

(١) الكافي في أصول الفقه. السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم: ٨/١. وينظر: علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. سابق: ١١٠-١١٢.

مباحث الظهورات اللفظية والملازمات العقلية، وقد استوعب دورة أصولية كاملة متناسقة في التبويب والعرض والتعبير.

وقد حاولنا فيه - كما يقول مؤلفه - تهذيب الأصول من النظريات القديمة، والمباحث غير المجدية، أو التخفيف في بحثها بما يتناسب وأهميتها، والتركيز على المطالب المستجدة نتيجة التطور المثمر الذي حصل في هذه المدة الطويلة^(١).

وربما يرد على الكتاب المذكور توسعه في بعض المطالب، وصعوبة تعابيره، وإيجاز بيانه بنحو قد يحتاج استيعاب المقصود منه إلى تكلف، وهو ما لا يسع الكثيرين.

ومع كل ما تقدم من محاولات تشخيص نقاط الضعف في المناهج الدراسية السائدة في حوزة النجف الأشرف، ومع كل محاولات المصلحين لتخطيها، وما بذل من جهد وجهاد في ذلك، بقيت محاولات إعادة كتابة مناهج دراسية جديدة - وفق أسس علمية معتبرة تتلافى نقاط الضعف المشخصة في مناهج الحوزة - تسير ببطء واضح وتلكؤ مشهود حيث يغيب في غالب الأوقات القرار المركزي الذي يملك التغيير... ومن ثم لم تأخذ فكرة التبديل موقعها المناسب من الحديث في الحوزات، لتفرض نفسها على الواقع، بل بقي الوضع القائم بقوة الاستمرار وبهيمنة الإكبار والإجلال للكتب الحوزوية المعهودة ولؤلؤها العظام (قدس الله أسرارهم الزكية) وبقي الحديث عن التجديد محدوداً ضيقاً في مناسبات متفرقة^(٢).



(١) المصدر السابق.

(٢) علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. سابق: ١١٠.

المطلب الثالث:

الشروع بإضافة مناهج دراسية جديدة للمناهج المعتمدة
في هذه المرحلة وإعداد كتبها المقررة

يمكن الإشارة في هذا المطلب إلى نقطتين:

أولاهما: إضافة منهج جديد لمنهج علم أصول الفقه المتبع حالياً في مرحلة السطوح هو: (أصول الفقه المقارن).

ثانيتهما: إضافة منهج دراسي جديد مستقل للمناهج المقررة في هذه المرحلة هو: علم الرجال.

أما فيما يتعلق بالفقرة الأولى من هذا المبحث، فقد كان ألف ساحة السيد محمد تقي الحكيم كتابه (الأصول العامة للفقه المقارن) ليضاف إلى منهج علم أصول الفقه المتبع في الحوزة العلمية، حيث بات ضرورياً لطالب هذه المرحلة، وفي هذا العصر بالذات، وقبله أيضاً، أن يلم الطالب بما عند المذاهب الأخرى من علم في أصول الفقه ومناقشة المشارب بعضها لبعض، ووفق هذا المنهج سبق أن سار بعض كبار علمائنا سابقاً، بيد أن الحاجة إليه قد تكون باتت أكثر إلحاحاً في هذا الزمن الذي أصبح العالم فيه فضلاً عن بلاد المسلمين قرية واحدة من ناحية، ولتنوع ويسر وسائل الاتصال الفكري والميداني من ناحية ثانية، ولتشديد عرى التقارب بين علماء المسلمين في زمن بات فيه المستهدف الجميع من ناحية ثالثة، ثم للوصول إلى الأقرب من واقع الشريعة الإسلامي من خلال تلاقي الأفكار والمشارب من جهة رابعة ما دام رائد الجميع حسب الفرض هو نيل رضا الله ﷻ أولاً وآخرأ.

لذلك كله وربما غيره أيضاً ارتأى بعض أساتذة الحوزة العلمية أن تحل دراسة هذا الكتاب محل دراسة بعض الكتب الأصولية القديمة المتقدم ذكرها فيما سبق، ذلك أن مؤلفه بذل جهده كي يجدد في علم الأصول من زوايا عدة منها:

« انه بَوَّب -كما يقول الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي- الكتاب تبويباً منهجياً سليماً ترابطت فيه موضوعات هذا العلم ترابطاً عضوياً، وترتبت ترتيباً أخذ كل موضوع فيه موضعه الطبيعي من الكتاب، والمنهجية عند أستاذنا المؤلف ميزة تفرّد بها -في حدود اطلاعي- من بين أقرانه من علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ويرجع هذا -فيما أقدر- إلى عاملين هما:

« موهبة التنظيم التي منحها الله إياه.

« قراءاته الكثيرة والمتنوعة التي نمت عنده هذه الموهبة وصقلتها صقلاً مميزاً آتى ثماره فيما كتب من بحوث ورسائل وكتب.

« بدأ مؤلفه كتابه بالباب التمهيدي الذي عرّف فيه الفقه المقارن، وأصول الاحتجاج، وأصول الفقه المقارن، ثم بمباحث الحكم، وختم الباب بعرضه لمنهج البحث الذي سيسلكه في دراسته هذه^(١) قائلاً: إننا بعد استقراءنا لمختلف الكتب الفقهية والأصولية لدى أئمة ومجتهدي المذاهب فيما وقع منها بأيدينا رأينا (...) أن نخرج على الطريقة التقليدية، فنؤيه على أساس ما لبعض هذه الأبواب من تقدم رتبتي على بعضها الآخر، وخلص لنا من ذلك أن أبواب الكتاب ستكون خمسة:

(١) منهج دراسة النص عند الأصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره. د. عبد الهادي الفضلي.

- « ما يكون سمته سمة الكاشف عن الحكم الواقعي.
- « ما يكون سمته سمة المحرز للواقع تنزيلاً.
- « ما يكون مثبتاً للوظيفة الشرعية.
- « ما يكون مثبتاً للوظيفة العقلية.
- « ما يكون رافعاً للأمور المشككة بعد تعقدها وفقد الدليل عليها (...)، وأبعدنا عن طريقنا كل ما لا ينتج الحكم الكلي من الكبريات، وكلما يقع موقع الصغرى من قياس الاستنباط^(١).
- والكتاب بهذا التبويب جمع جميع الأصول، أو قل الأدلة الفقهية التي وضع هذا العلم لالتماس أدلتها التي تثبت مشروعيتها وتمنحها حجيتها.
- وبتعبير آخر اقتصر الكتاب على استعراض الكبريات (القواعد الأصولية) دون إدخال صغرياتها حريم البحث، ذلكم الإدخال الذي أوقع الدرس الأصولي في غير موضع منه، في مفارقة الخلط بين الكبريات والصغريات (...)، وهي التفاتة منهجية من أستاذنا المؤلف موفقة غاية التوفيق^(٢).
- ويذهب الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي أيضاً إلى أن السيد محمد تقي الحكيم استطاع أن ينهج في دراسة النص منهجاً تكاملياً مختلفاً، جمع فيه بين المنهج اللغوي الاجتماعي، والمنهج الكلامي. والمقصود بالمنهج اللغوي الاجتماعي هو رجوع العالم الأصولي في دراسة دلالة الألفاظ إلى اللغة الاجتماعية، وهي تلك الألفاظ المستعملة في حوار وتفاهم أبناء المجتمعات. والمقصود بالمنهج الكلامي

(١) الأصول العامة للفقه المقارن. سابق: ٨٧.

(٢) منهج دراسة النص عند الأصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره. سابق: ١١٧.

هو اعتماد العالم الأصولي على مبادئ وقواعد علم الكلام، فينطلق لوضع القاعدة من تطبيق معطيات علم الكلام على الظواهر التي يحاول استفادة القاعدة منها. وهذا المنهج الكلامي غطى جميع موضوعات مباحث الألفاظ في كتب الأصوليين منذ عهد (ذريعة) السيد المرتضى وعدة الطوسي حتى (كفاية) الخراساني، وهو أيضاً أقدم منهج أصولي اعتمدته المؤلفات الأصولية، وأغرقت في استخدامه إغراقاً كان ملحوظاً وملاحظاً عليها، أي حتى في المفردات والتركيب والأساليب أمثال الحقيقة والمجاز، والأوامر والنواهي، والعموم والخصوص، وهي المواد التي تحدد قواعد بالظهور اللفظي. والمفروض منهجياً لأننا في أصول الفقه ندرس النصوص الشرعية من آيات وروايات وهي نصوص عربية أن ندرسها من واقع الاستعمال العربي الاجتماعي، لا أن نخضعها لمبادئ كلامية، وذلك لأن اللغة من الاعتباريات، ومبادئ علم الكلام قواعد عقلية مسرحها التكوينات لا الاعتباريات^(١).

ولكل من هذين المنهجين إيجابيات وسلبيات، فكان لابد والحالة هذه من اكتشاف منهج جديد، يجمع بين المنهجين المتقدمين، وهو ما أسماه الشيخ الفضلي بـ(المنهج التكاملي)، وعنى به التفصيل في دراسة النص الشرعي بين القواعد وتفاصيل القواعد، ففي القواعد نرجع إلى الدليل العقلي في إثبات حجية القاعدة التي ترتبط بالنص الشرعي، وهي المتمثلة في حجية خبر الثقة، وحجية ظهور الألفاظ، وتشخيص مراد المتكلم. وفي تفاصيل القواعد نرجع إلى العلوم اللغوية العربية، وإلى تاريخ الحضارة العربية في عصر التشريع^(٢).

(١) ينظر: المصدر السابق: ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٨.

ومثل له الشيخ الفضلي بتفسير آية النبأ لإثبات حجية خبر الثقة عند كل من سماحة الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه (أصول الفقه)^(١) وسماحة السيد محمد تقي الحكيم في كتابه (الأصول العامة في الفقه المقارن)، حيث ربط السيد الحكيم النص بواقع حادثة نزول الآية الكريمة باعتباره قرينة موضحة لدلالة الآية، واتخذ من سياق الآية في إطار ترتيب ألفاظها، وترابط معانيها قرينة في إفادة المعنى المطلوب، ثم قام بتطبيق قاعدة الشرط الأصولية ليسلمه ذلك إلى النتيجة المقصودة. وهذا المنهج كما ترى منهج تكاملي جمع بين الفهم العرفي، والحس اللغوي، والطريقة الكلامية في الاستدلال^(٢).

وفي دلالة حديث الثقلين على عصمة أهل البيت، يستخدم المؤلف المنهج اللغوي لاستيحاء العصمة من حاق تعبير النص، ثم بالآخرة يستخدم المنهج الكلامي، تلميحاً إليه، وإشارة إلى معطياته في هذا المقام^(٣).

وفي مبحث الاستحسان يناقش المؤلف استدلال المثبتين له بالكتاب العزيز نقاشاً اعتمد فيه المنهجين اللغوي والكلامي متكاملين لينتهي إلى أن ما استدل به من الآية الكريمة لا يفيد المدعى^(٤).

وعلى هذا المنهج من الجمع بين مختلف عناصر المنهج من لغوية وتاريخية وكلامية ومقارنة أديان وسواها سار أستاذنا الكبير في دراسته لقضايا علم أصول الفقه وقواعده سالكاً كل عنصر فيما يناسبه بثقة ووعي.

(١) ينظر كتابه: أصول الفقه. سابق ٢/ ٦٧٠٦٤.

(٢) ينظر كتابه الأصول العامة للفقه المقارن. سابق: ٢٠٨٢٠٦.

(٣) ينظر المصدر السابق: ١٦٦-١٦٧.

(٤) ينظر المصدر نفسه: ٣٧٣.٣٧٤.

وبهذا (...) يكون لسيدنا الحكيم القدح المعلّى في هذه الريادة، وهذا التطوير باستكمالها كل متطلبات المنهج الجديد، وريادته التأليف في أصول الفقه المقارن الذي هو من ضروريات الدراسة الشرعية الإسلامية للوصول إلى الحق ومعرفة الحقيقة^(١).

ورغم ما تقدم من مزايا كتاب (الأصول العامة للفقه المقارن) وكونه طوراً من خلال أسلوب عرض مسائل علم الأصول التي لم يتجدد أسلوب عرضها، فضلاً عن أن يضاف إليها منذ وقت ليس بالقصير^(٢)، فإنه لم يسلم من النقد والملاحظة، شأنه شأن الكتب الأصولية السابقة عليه، حيث رأى بعض المعنيين بدراسة مناهج الكتب الأصولية أن (الأصول العامة) يتضمن نصف دورة أصولية^(٣) لا دورة كاملة، لعدم تطرقه لـ (مباحث الألفاظ)، وهي المباحث التي تستغرق مساحات ليست بالقليلة من كتب الأصول السابقة عليه، وما ذاك إلا لكونه لا يذهب إلى أن (مباحث الألفاظ) هي من مسائل علم الأصول، وقد صرح بذلك في كتابه حين تحدث عن منهجته فأشار بجلاء إلى أنه لا يبحث فيه إلا ما يصلح أن يسمى أصلاً للفقه هو خصوص الكبرى المنتجة لأنها هي التي تصلح للارتكاز عليها كقاعدة لبناء الاستنباط^(٤)، ومباحث الألفاظ هذه ليست منها فالأنسب اعتبارها من المبادئ وبحثها على هذا الأساس مع تقليص بحثها إلى ما تمس الحاجة إليه من حيث تشخيص دلالاتها اللغوية وإقصاء كل ما لا يمت

(١) منهج دراسة النص عند الأصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره. سابق: ١١٧-١٢٤ (باختصار).

(٢) آلية البحث عن الوظيفة العقلية في منظور السيد محمد تقي الحكيم. السيد محمد صادق السيد محمد رضا

الخرسان. بحث. ضمن بحوث كتاب مدرسة النجف الأشرف ودورها في إثراء المعارف الإسلامية: ٢٥.

(٣) تطور الدرس الأصولي في مدرسة النجف الأشرف. سابق: ١٣٩، ١٤٠.

(٤) الاصول العامة للفقه المقارن: ٣٨.

إلى واقعها اللغوي من البحوث الفلسفية وغيرها^(١) بصلة، خلافاً للسائد حتى اليوم في كتب الأصول الأخرى، وهو ما اعتبره البعض الآخر من الباحثين ميزة منهجية تحسب له لا عليه.

هذا ويرى بعض المعنيين من أساتذة حوزة النجف الأشرف بدراسة مناهج علم أصول الفقه، أهمية أن يعد كتاب (الأصول العامة للفقه المقارن) منهجاً دراسياً معتمداً في الحوزات العلمية، مضافاً لمنهج أصول الفقه المعتمد فيها حالياً، أو ليكون حلقة وسطى بين المعالم والكفاية، أو بدل الرسائل، أو مع الجزأين الأول والثاني من أصول الفقه للمظفر، بدل الرسائل والكفاية^(٢) معللاً ذلك بقوله: إني لما وجدت افتقار دارسي كتاب (أصول الفقه) للمرحوم آية الله الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م) لما يكمل لهم دورة أصولية تامة، حيث خلا من بقية مباحث الاستصحاب، وجلّ تنبيهاته، والأصول العملية الثلاث، فيدرج الطالب الحوزوي نحو كتاب (الرسائل) للشيخ الأعظم الأنصاري (ت ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م)، أو كتاب (الكفاية) للشيخ المحقق الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)، وهو لما يتأهل في هذه المباحث المهمة، بل يلاحظ عدم غناء البعض من دارسيهما، مما يشكل نقطة ضعف في الذهنية الأصولية لديه يلزم تلافيها، فضلاً عن التفكير في مساويها، فانعقد العزم على اختيار كتاب (الأصول العامة للفقه المقارن) ليكون عوضاً لما لم يصل إلينا من الشيخ المظفر بسبب إدراك الأجل، أو لكثرة المشاغل المهمات، ولذا كان يحيل على كتاب (الأصول العامة)^(٣).

(١) المصدر السابق: ٣٨.

(٢) تطور الدرس الأصولي في مدرسة النجف الأشرف. سابق: ١٤٠.

(٣) آلية البحث عن الوظيفة العقلية في منظور السيد محمد تقي الحكيم. سابق: ٢٩.

وأضاف لسببه سالف الذكر أسباباً أخرى قال إنها جعلتني أفضل استلال هذه المباحث الثلاث المشار إليها من كتاب (الأصول العامة للفقهاء المقارن) وتدريسها (...). وقد أعجب بفكرة التعويض هذه البعض، فعمل على تطبيقها، ويمكن تلخيص الأسباب والمميزات في:

١. إن كلاً من الآيتين الرضا والتقي متقاربان فكرياً، حيث تجمعهما قواسم مشتركة في طريقة التفكير وإيجاد الحلول والسير في سبيل تنفيذ الإصلاحات التي أرادها لطريقة الدرس الحوزوي.

٢. إن كتاب (أصول الفقه) أعد كمحاضرات لطلبة السنتين الأولى والثانية في كلية الفقه، كما أن كتاب (الأصول العامة) أعد كمحاضرات لطلبة السنتين الثالثة والرابعة، وقد أريد لهما أن يتوحدا ضمن المنهجية الأصولية في الكلية.

٣. سبك العبارة في كتاب (الأصول العامة) بما يؤهلها لتكون نصاً منهجياً يدرس في المعاهد العلمية عامة، فهي رصينة لفظاً، دقيقة معنى، وهذا عنصر مهم ينبغي الحرص على توافره فيما يختار لغرض التدريس المنهجي، إذ تفتقر بعض النصوص المعروضة للتدريس لهذا العنصر، وهو ما قد يسبب مللاً لدى بعض الطلبة أو صعوبة في الفهم لدى البعض الآخر. ولذا قد تطوى بعض المراحل من دون استيعاب، وهو ما ينعكس سلباً على البنية الأصولية العامة لدى الطالب الذي يفترض فيه الإتقان، والبحث عن الأصالة، وعدم التعجل.

٤. إن كتاب (الأصول العامة) يساعد على توافر طالب العلم الحوزوي على مفردات مقارنة لم يألّفها، فهو أداة يتوخى منها الخير للنهوض بالمستوى

العلمي، ليحرز التقدم الموسوعي أو لينشط الاتجاه المقارن، وكلاهما يفيدان ويطوران كثيراً، وإن أدنى ما يفيدانه هو بعث الاتصال الفكري من جديد بين فقهاء، بل مفكري المذاهب الإسلامية عامة^(١).

بيد أن الكتاب رغم تدريسه من قبل بعض أساتذة الحوزات العلمية في النجف الأشرف، وهو ما يعنيني في موضوع بحثي هذا، وقم المقدسة، وغيرهما، ووضعه ضمن الكتب التي يدرسها الطالب القادم من الخارج للدراسة في حوزة قم المقدسة كي يرتقي السلم الموصل للاجتهد وفق البرنامج المعد لذلك، ورغم اعتماده في العديد من الكليات المتخصصة بدراسة علوم الشريعة الإسلامية سواء ما كان منها في الدول العربية والإسلامية أم في الدول الأوربية أم غيرها كمنهج دراسي، إلا أنه ما زال في بداية الطريق ليكون منهجاً دراسياً معتمداً كثير الشيوع والانتشار في حوزة النجف الأشرف.

أما ما يتعلق بالفقرة الثانية منه الخاصة بإضافة مادة جديدة للمنهج الدراسي المقرر هي مادة علم الرجال فيحسن بي أن أشير هنا إلى أن علم الرجال يأتي في مقدمة اهتمامات أساتذة وطلاب الحوزة وخاصة المتقدمين منهم في دراستهم الحوزوية، فهم يعكفون على ما صنفه العلماء في هذا العلم -وهو كثير- قراءة وبحثاً وتمحيصاً وتأملأً واستقصاء؛ لأن الحوزوي الفاضل يعرف مدى مدخلية هذا العلم في استنباط الأحكام الشرعية، فيوليه تبعاً لذلك اهتمامه وعنايته وتركيزه، لا كمنهج دراسي متبعة دراسته في مرحلة المقدمات، ولا في مرحلة السطوح، وإنما كجهد فردي.

(١) المصدر السابق: ٣٠.

لقد صنف علماءنا الأعلام الكثير من التصنيفات في هذا العلم قديماً وحديثاً، من ذلك ما كتبه مؤخراً المرجع الأعلى السيد الخوئي، فقد صنف كتاباً أسماه (معجم رجال الحديث)، تضمنت مقدمته المهم من المطالب الرجالية، مما تصلح معه لتكون منهجاً دراسياً لهذا العلم، وقد فضّل بعض أساتذة حوزة النجف الأشرف الحالية تدريسها متناً لبحثه، والتعليق عليها.

كما تولى بعضهم تدريس علمي الدراية والرجال يومي التعطيل، وهما الخميس والجمعة من كل أسبوع، كما أخذ بعضهم بتدريس كتاب (وسائل الشيعة إلى أحكام الشريعة) للحر العاملي يوم الجمعة أيضاً، وهي فكرة تستحق الاهتمام.

بيد أن ما أنجزه الشيخ باقر الإيرواني -من تأليف كتاب منهجي مبسط في علم الرجال أطلق عليه اسم (دروس تمهيدية في القواعد الرجالية) معداً إياه ليكون منهجاً دراسياً حديثاً مطبوعاً بين يدي الطلاب في مرحلتي المقدمات والسطوح - تخطى من هذه الجهة العديد من المحاولات السابقة، أو هكذا يبدو على الأقل، فقد قسم الشيخ الإيرواني كتابه إلى قسمين: قسم أول لمرحلة المقدمات، وقد تطرق الحديث إليه فيما مضى، وقسم ثانٍ لمرحلة السطوح.

هذا وقد كنت استعرضت مبررات المؤلف لإضافة هذا العلم إلى العلوم التي يدرسها طلاب الحوزة حين تحدثت عنه في مرحلة المقدمات، معتقداً سماحته أن من درس من الطلاب هذين القسمين من كتابه (دروس تمهيدية في القواعد الرجالية) سوف لا يواجه الطفرة في مرحلة الخارج - كما واجهته هو وغيره من زملائه الطلبة - أو يواجهها بشكل جزئي^(١).

(١) دروس تمهيدية في القواعد الرجالية. سابق: ٩.

ونتيجة لاعتقاد مؤلفه الشيخ الإيرواني بأهمية اقتران التدريس بالتطبيق العملي، فقد عمد في القسم الثاني منه أسوة بالقسم الأول إلى وضع تطبيقات عملية بعد كل فصل من فصول الكتاب، يشتمل على الأسئلة المهمة حول المطلب المبحوث.

يقول الشيخ الإيرواني: إن قراءة هذا الكتاب إذا لم تكن مقرونة بالتطبيق العملي الذي قمنا بمحاولته في مواضع متعددة من الكتاب فلن تؤتي الشجرة أكلها.

إن انفكاك النظرية عن التطبيق له مخلفاته السيئة في النحو، فمن يقرأ القواعد العربية بدون تطبيق لا يستفيد شيئاً، وفي الفقه، فمن يقرأ الأصول بلا ممارسة عملية الاستنباط بنفسه لا يستفيد شيئاً. وفي مجال كتابنا هذا - يقصد دروس تمهيدية في القواعد الرجالية - فمن يقرأه بلا تطبيق لا يستفيد شيئاً^(١).

قسّم الشيخ الإيرواني القسم الثاني من كتابه إلى فصول أربعة ومدخل. خصص مدخل الكتاب لذكر الآراء في مسألة حجية الخبر، وتحقيق ما هو الصحيح منها، ثم عرّج على الحديث عن الحاجة إلى علم الرجال.

أما فصول الكتاب فقد خصص الفصل الأول منه للبحث في ثلاث نقاط رئيسة هي:

« طرق إثبات وثاقة الراوي.

« التوثيق العامة.

« مدرك حجية قول الرجالي، ولكل من هذه النقاط فروع متعددة.

وتناول الفصل الثاني البحث عن أقسام الحديث بفروع بحث متعددة.

وتناول في الفصل الثالث نظرات في بعض كتب الحديث متحدثاً عن كتاب (الكافي)، وكتاب (من لا يحضره الفقيه)، و(التهذيبين)، و(وسائل الشيعة) و(مستدرکه).

أما الفصل الرابع فقد خصصه لنظرات في كتبنا الرجالية: (رجال الكشي)، و(رجال الشيخ الطوسي)، و(فهرسته)، و(رجال النجاشي)، و(رجال البرقي) و(ابن الغضائري) إضافة لكتب رجالية أخرى.

وقد تخللت مطالب الكتاب وفصوله ثلاثة تطبيقات، وأحد عشر تمريناً، تقاسمت كل تمرين الكثير من الأسئلة الفرعية المختلفة.

لقد بذل الشيخ الإيرواني جهده كي يتحول بالطالب من ضرورة اعتياده على نفسه في تحصيل مواد وموضوعات علم الرجال والإحاطة بخصوصياته، إلى وضع كتاب دراسي منهجي بين يديه، يدرسه دراسة كباقي دروسه، كي تعينه وهو يتأهب لدخول مرحلة البحث الخارج، تلك المرحلة الدراسية العميقة التي تتطلب أول ما تتطلب من طالبها دراسة سند الحديث ومتمنه، وبقية خصوصياته التي يتطلب الإمام بها، كي يعتمد الخبر في بحوثه العلمية.

ويحسن بي أن أشير هنا أيضاً إلى أن دراسة علم الرجال كعلم مستقل يضاف إلى مواد هذه المرحلة الدراسية في حوزة النجف الأشرف لا زال في بداياته الأولى المبكرة.

وما دمت تحدثت عن محاولات قسم من الأعلام إضافة بعض المواد إلى دروس الطالب في مرحلته التخصصية العالية هذه (مرحلة السطوح العالية)، فإنه ليحسن بي أن أشير إلى ما أظنه نافعا، واقترح مناقشة إضافته لمواد هذه المرحلة

الدراسية، وأعني به علم (فلسفة الفقه) أو (علم كلام الفقه) أو (علم علم الفقه)، أو (ابستمولوجيا الفقه)، أو (سوسيولوجيا الفقه) ما شئت فعبر، وإن كان اسم (فلسفة الفقه) هو الأكثر شهرة لهذا العلم، ثم الانتهاء من ذلك بعد المناقشة والبحث إلى رأي فيه سلباً أو إيجاباً، وفي مدى الحاجة لإضافته من عدمها إن كانت إضافته إيجابية حقاً كما قد يدعى.

وليس المقصود من كلمة (فلسفة) المضافة إلى (الفقه) هو المعنى المعروف للفلسفة في تراث المعقول الإسلامي، وإنما المقصود بفلسفة الفقه مثل بقية الفلسفات المضافة التي تطلّ على موضوعها من الخارج، وتتولى تحليله وتفسيره واستكناه أبعاده وحدوده، والتعرف على ماهية ذلك العلم، بوصفه ظاهرة قابلة للبحث والتحليل، مضافاً إلى دراسة القبلية والفرضيات المستترة وراء المقولات والقواعد الكلية للعلم، ومعرفة كل ما من شأنه أن يساهم في صياغة مفاهيم العلم ويحدّد اتجاهه ويتحكم في مناهجه. إن النسبة بين الفقه وفلسفته كالنسبة بين القانون وفلسفة القانون، والأخلاق وفلسفة الأخلاق، والتاريخ وفلسفة التاريخ، واللغة وفلسفة اللغة... وهكذا، هي كالنسبة بين كل علم وفلسفته. فالفقه كما هو معروف يتناول الأحكام الشرعية لعمل المكلف، أي أنه علم استنباط الأحكام الشرعية، وتحديد الموقف العملي تجاه الشريعة بنحو مستدل، بالتوكؤ على أدوات وقواعد يجري تنقيحها في أصول الفقه. بينما لا يبحث فلسفة الفقه أسلوب الاستنباط، ولا علاقة له ببيان الموقف العملي تجاه الشريعة، وإنما يتجاوز ذلك إلى ميدان آخر يتناول فيه تشریح ماهية الفقه، واكتشاف طبيعة نسيجه الداخلي ومكوناته، وكيفية نشأته وتطوره، وتفاعله مع المؤثرات الزمانية والمكانية والبيئة الجغرافية، والتأثير المتبادل بينه وبين الاعراف والعادات والتقاليد،

والعصر الذي انتج في فضائه الثقافي ومحيطه الحضاري، مضافاً إلى دراسة اصطباغ الفقه بقبليات الفقيه ومنظوره الذاتي، ولون ثقافته، وميوله، ومزاجه، وبيئته الخاصة، والمحيط الذي نشأ وترعرع فيه^(١).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنه من المفيد بحث مواضيع من قبيل (الألسنية) و(الاتجاهات النصوصية الراهنة)، و(مقاصد الشريعة) مع مناقشة آراء القائلين بكل منها، والمانعين، والانتهاه من ذلك إلى رأي يصدها من حيث القبول أو الرفض بعد مناقشة مستفيضة.

ويحسن بي أن أشير هنا إلى أن بعض أساتذة حوزة النجف الأشرف سألني عن أسماء كتب رصينة لكتّاب محترمين في هذه الموضوعات وأمثالها، ليقراها وليطلع على مضامينها، مقدمة لمناقشتها، وحدثني بعضهم أنه قرأها، وكتب عنها مناقشاً، ويعد بعضهم الآخر الآن كتاباً للرد على دعائها، وحدثني بعضهم أيضاً أنه قد بدأ بالفعل بقراءة مستوعبة للموضوعات المتقدمة، ومناقشة بعض طروحاتها أثناء تدريسه لعلم الأصول في حلقات بحثه لطلبته، بيد أنها كلها محاولات لا زالت في بداياتها المبكرة، وقد تحتاج إلى توجه أكبر من عدد أكبر من فقهاء وأساتذة حوزة النجف الأشرف، وعناية أكثر، واهتمام أوسع فيها، أيأ كان الموقف العملي منها.

كما اقترح بعض فضلاء الحوزة - وأنا معه فيما اقترحه - إضافة موضوعات أخرى مهمة منها (المعاملات المالية الحديثة كالبنوك والشركات) وأمثالها على أن توضع ضمن موضوعات قسم المعاملات من علم الفقه. و(أصول البحث

(١) تجديد مناهج الاجتهاد من أصول الفقه إلى فلسفة الفقه. د. عبد الجبار الرفاعي.

العلمي)، و(الأديان والمذاهب المعاصرة)، و(الفقه المقارن)، و(القانون والنظم المعاصرة)، و(تاريخ التشريع الإسلامي). ومن المسلّم به أن انفتاح المسلمين على العالم، وانفتاح العالم عليهم يضحّم من مسؤولية المراكز العلمية الإسلامية، وذلك بأن تكون بمستوى رسالتها، وبمقدار ما يتطلبه الواجب الشرعي في هذا المجال^(١).

ويحسن بي أن أذكر هنا بأن بعض أساتذة حوزة النجف الأشرف وطلابها قد طلبوا مني إلقاء محاضرات متسلسلة عليهم عن أسس وآليات (كتابة البحوث العلمية) المعتمدة أكاديمياً فأجبتهم إلى طلبهم مسروراً وقد وثقت هذه المحاضرات تسجيلاً وتدويناً.

هذا وتحتاج موضوعات مهمة أخرى إلى بحوث تفصيلية من قبل فقهاء حوزة النجف الأشرف وأفاضلها ومشتغلها يأتي من هذه العناوين: (فقه الثقافة)، و(فقه الاقتصاد)، و(فقه الإدارة)، و(فقه السياسة)، و(فقه المجتمع)، و(فقه البيئة)، و(فقه حقوق الإنسان)، و(فقه الإعلام)، وأمثالها، بغية وضع الأسس والقواعد لها، وتقنينها، حالها حال موضوعات الفقه الأخرى التي عكف عليها الفقهاء فبحوثها بحوثاً مفصلة في حلقات البحث والتدريس والمناقشة، ثم دونتها كتبهم الفقهية الاستدلالية، ذلك أن أغلب هذه العناوين قد يكون لا زال بكرة يحتاج إلى بحث وتحليل.



(١) تجربتي مع التعليم الحوزوي. سابق.

المبحث الثالث

برنامج يوم عمل دراسي لمدرّسين من مدرّسيها

من أجل تقديم أنموذج ليوم دراسي لمدرّس من مدرّسي السطوح في حوزة النجف الأشرف فقد أثرت أن يكون الأنموذج الذي أقدمه ليوم دراسي لأحدهم يقرب إلى حد ما للقارئ برنامج يوم عمل دراسي وغيره -على تفاوت فيما بينهم- لمدرّس من مدرّسي السطوح.

ونظراً لأن مرحلة السطوح قد يقسمها بعض الكتاب إلى قسمين (دنيا): لدراسة أوليات علوم المرحلة، و(عليا) لدراسة آخر علوم المرحلة، فقد اخترت أنموذجين لمدرّسين من مدرّسيها لما تقدم سابقاً من حديث في تقسيم المراحل الدراسية، أولهما لمدرّس من مدرّسي السطوح الدنيا هو السيد علي القاضي، وثانيهما لمدرّس من مدرّسي السطوح العليا هو السيد محمد صادق الخرسان.

وسأعرضهما تباعاً، وكما يلي:

أولاً: برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسي السطوح

الدنيا (السيد علي القاضي أنموذجاً)^(١)

يقول السيد القاضي: لم أعتد أبداً أن أكتب شيئاً عن نفسي، بل لم تكن تربيتي العائلية والعلمية تسمح لي بأن أسطر إنجازاتي، لكن تلبية لطلب السيد المؤلف (دام تأييده) أكتب هذه السطور عن نشاطاتي العلمي اليومي مضيفاً إليها بعض

(١) كتب هذا البرنامج أيام كان السيد الفاضل يدرّس السطوح الدنيا قبل أكثر من ست سنوات، وهو اليوم أحد أساتذة السطوح العليا النفعين في أكثر من مجال الحوزة العلمية في حوزة النجف الأشرف العلمية.

النشاطات التبليغية. العامة، أسأل الله أن يجعل هذه السطور خالصة لوجهه الكريم وأن ينزع من قلبي العجب والرياء والشك والشبهة والسمعة إنه سميع مجيب.

البرنامج الدراسي الحوزوي اليومي

⌚ في الساعة (٧:١٥ صباحاً) تدريس الجزء الأول من أصول الفقه للشيخ المظفر.

⌚ في الساعة (٨:٠٠) تدريس الجزء الثالث من المنطق للشيخ المظفر.

⌚ في الساعة (٨:٣٠) حضور بحث خارج الأصول لدى سيدي العم السيد عبد الحسين القاضي.

⌚ في الساعة (٩:١٥) تدريس الجزء الثاني من كتاب الحاشية على تهذيب المنطق للملا عبد الله اليزدي.

⌚ في الساعة (١٠:١٥) حضور بحث خارج الفقه وذلك في القواعد العامة للمعاملات لدى سماحة السيد محمد جعفر الحكيم.

⌚ في الساعة (١١:٠٠) إلى قبيل أذان الظهر تدريس الجزء الأول من كتاب (الحاشية على تهذيب المنطق) للملا عبد الله اليزدي.

مع ملاحظة أن هذا البرنامج غير ثابت؛ لأن هناك دروساً تنتهي ويبدأ مكانها شيء آخر. وهذا يعكس ما أنا عليه الآن.

منهجي الدراسي

أما منهجي الدراسي فقد شرعت بالدراسة الحوزوية سنة (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) في قم المقدسة بالترتيب التالي:

- « بدأت من دروس النحو العربي بكتاب (الأجرومية) ثم بكتاب (قطر الندى) ثم بكتاب (ألفية) ابن الناظم إلى مبحث الاستثناء.
- « وثّيت بكتاب (المنطق) ثم كتاب (الحاشية) ثم أبواب كثيرة من كتاب (اللمعة) في الفقه يصعب عليّ سردها بالدقة. فكتاب (أصول الفقه) للشيخ المظفر، ثم (الكفاية) إلى مبحث اجتماع الأمر والنهي.
- « وبعد هذا عدت إلى النجف الأشرف سنة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) فدرست فيها بعض أبواب كتاب (اللمعة) ثم كتاب الصلاة من (الرياض) للسيد الطباطبائي ثم كتاب (المكاسب المحرمة) و(البيع) وجزءاً يسيراً من (الخيارات) للشيخ الأنصاري، وأكملت ما تبقى منها في بحث آية الله السيد محمد جعفر الحكيم..
- « كما أعمل على كتابة شرح كامل لشرح ابن الناظم على كتاب (ألفية ابن مالك)، وقد أنجزت نصف العمل تقريباً متوقعاً أن يتم بجزأين إن شاء الله تعالى..
- « استغل غالباً ما بعد المغرب إلى الساعة (١٢ ليلاً) أو ما بعدها لمراجعة وتحضير الدروس التي أدرسها وأدرّسها، كما استغل أوقات الفراغ متى حصل، وليالي العطل للمطالعات الجانبية كبعض كتابات المؤلفين الغربيين في علوم الاجتماع والإدارة وما لف لفهما.
- وكذلك مطالعة المجاميع الشعرية ككتاب (شعراء الحلة) لعلي الخاقاني في خمسة أجزاء، أو (شعراء الغري) لعلي الخاقاني في اثني عشر جزءاً، أو (أدب الطف) للشهيد الخطيب السيد جواد شبر في عشرة أجزاء، لما أجد فيها من التنوع وحسن الاختيار، ولعل ذلك لما لي من الرغبة في حفظ الشعر بلغتيه القريض

والدارج حيث أحفظ مجموعة جيدة من القصائد الحسينية وما يشبهها مع أني لم أحظ بشرف اعتلاء المنبر الحسيني.

النشاطات العامة

« صلاة الجماعة

منذ سنتين تقريباً وأنا إمام (مسجد الإمام الحجة عليه السلام) في منطقة خان المخضر القديم، أذهب بشكل يومي مرتب لأداء صلاتي المغرب والعشاء، وبشكل متقطع لأداء صلاة الظهرين لتعارض وصولي الذي يستغرق بعض الوقت إلى المسجد مع الدروس التي تنتهي وقت الأذان ما يستلزم أن أصلي صلاتي في أول دخول الوقت في مكان الدرس.

« ثم أني حين تصديت لإمامة الصلاة حاولت أن أجعل من المسجد الكريم محطة ثقافية بقدر ما تساعد عليه ظروف المكان والزمان. فصرنا نحيي مناسبات أفراح أهل البيت عليهم السلام وأحزانهم من خلال محاضرة تتناول محطة من حياة صاحب المناسبة يستمع إليها الحاضرون كموعظة وأسوة.

« مضافاً إلى عقد مجلس أسبوعي كل يوم جمعة ظهراً وكل ليلة خميس ويشرفنا فيه أحد الخطباء ليلقي محاضرة أخلاقية أو تاريخية تلقي الضوء على سيرة ومسيرة النبي الكريم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أسوة وموعظة وذكرى..

« وبطلب من بعض الإخوة الكرام أضفت محاضرة أسبوعية كل ليلة

ثلاثاء أتحدث فيها عن جانب من جوانب الثقافة الإسلامية، فتكون تارة أخلاقية، وأخرى فقهية، وثالثة سيرة وتاريخاً.

النشاطات التبليغية

« ذهبت مرتين إلى دولة أفغانستان. الأولى في سنة (١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م)، والثانية في سنة (١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م)، على رأس هيئة تمثل مكتب سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد الحكيم (مد ظله) لتفقد وضع الشيعة هناك، وقد تجولنا في عاصمة أفغانستان كابل، ومدينة مزار شريف، ومدينة هرات، واجتمعنا بالجاليات الشيعية على مختلف أطرافها وأصنافها وكانت سفرات ثمرة بفضل الله تعالى.

« ذهبت مرتين إلى دولة جورجيا، ومرة إلى دولة آذربايجان، لتفقد وضع الجالية الشيعية، ومتابعة نشاطات مكتب سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد الحكيم (مد ظله) هناك.

« ذهبت أربع سنوات مرشداً دينياً لحملات الحج العراقية (حملة الثقلين من كربلاء تحديداً) وذلك ضمن سياقات هيئة الحج العراقية.

« بدعوة كريمة من مسجد أهل البيت (عليه السلام) في لوس انجلس بأمريكا، ومركز الإمام الصادق (عليه السلام) في بوسطن بأمريكا أيضاً، ومركز الغدير في نيوجرسي بأمريكا كذلك، ذهبت في شهر رمضان المبارك (١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م) إلى الولايات المتحدة وقمت بزيارة المراكز المذكورة ضمن نشاط تبليغي يتناسب مع طبيعة الشهر الفضيل.

﴿ نظراً إلى ما يربطني بقناة (المنهاج) الفضائية التابعة لمؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية قمت بإعداد وتقديم برنامج (الفقه في ثوانٍ) وهو برنامج يسلط الضوء على مسألة فقهية ابتلائية بأسلوب سهل وفي ثوانٍ، والغاية منه إلفات نظر المشاهدين إلى بعض المسائل الفقهية الغائبة عن الأذهان. والحمد لله على فضله ومنه ونسأله مزيد التوفيق.

النشاطات الإلكترونية

عايشت الكمبيوتر باختصاصه المتعددة البرمجة والجرافيك خصوصاً منذ عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) تقريباً وذلك بتعليم مباشر ودعم وتشجيع من سماحة سيدي الوالد السيد محمد القاضي..

وهذه المسيرة الطويلة التي تمثل نمو عالم الكمبيوتر وتطوره السريع جعلتني أمتلك الخبرة في مجالاته المتعددة من أمثال (البرمجة)، و(الجرافيك)، و(الإخراج المكتبي) وغيرها وكان لزاماً عليّ أن أقوم بتسخير هذه الخبرة لخدمة الدين والمؤمنين من هنا كانت لي عدة محاولات أو مشاريع في هذا المضمار، أستر بعضها بشكل موجز..

﴿ برمجة (برنامج الطالب)

شرعنا في سنة (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) على وضع الخطوات الأولية لمشروع برمجة برنامج متكامل لقسم شؤون الطلبة في مكتب سماحة المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد الحكيم (مد ظله) اخترنا له اسم (برنامج الطالب)، ويحتوي على (بنك معلومات) كاملة للطلبة، ويعالج جميع احتياجات الطلبة.

فهناك قسم شؤون الطلبة فيه مجموعة أقسام من قبيل (الامتحانات) و(الرواتب) و(القروض) و(التأمين الصحي) و(المساعدات). وهذه الأقسام كلها رغم استقلاليتها لكنها مترابطة ببعضها بجانب من الجوانب، فدرجة الطالب الامتحانية مثلاً تؤثر على مقدار راتبه الشهري ومقدار الراتب يؤثر على مقدار القرض الذي يستلمه الطالب، ومقدار المساعدات التي يستحقها.

وإذا استلم قرضاً من قسم القروض سيقطع من راتبه للتسديد الشهري للقرض، وبعد تمام التسديد سيعود راتبه على حالته الطبيعية، وما إلى ذلك من تفاصيل أخرى، لا يمكن شرحها ضمن هذا المختصر، وذلك شعوراً بضرورة تسخير الكومبيوتر والنظم الحديثة لبنوك المعلومات لربط كل هذه المعلومات والاحتمالات المتشعبة، خدمة للطلبة الأعزاء، ولكي لا يحصل خطأ مع أي من الطلبة في مستحقته من جانب، ومن جانب آخر أخفف بذلك العمل على موظفي القسم.

وقد أنجز هذا المشروع الكبير الذي لم نسمع بمشابه له في المراكز والمؤسسات سنة (١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م) رغم الكثير من المصاعب والمتاعب، وقد صدرت بطاقة ذكية تحمل تقنيات حديثة لكل الطلبة المسجلة أسماؤهم في المكتب.

وقد سهلت هذه البطاقة الذكية المرتبطة بنظام متكامل، جميع العمليات في هذا القسم.

فعملية استلام الراتب مثلاً: كانت تستغرق في كل يوم حوالي أربع ساعات من العمل المتعب والمضني للعاملين والطلبة، بينما بتدشين هذا النظام صار تسليم الرواتب لا يستغرق هذا الزمان الطويل مع انسيابية تامة وسهولة، إضافة إلى

التقارير المنضبطة والدقيقة. وكذلك عملية تسليم القرض للطالب فقد كانت تستغرق أسبوعاً، بينما الآن لا تستغرق إلا دقيقة أو دقيقتين، وهكذا باقي الأمور، هذا كله بالإضافة إلى تقليص عدد العاملين إلى الثلث أو الربع.

﴿ تصميم وإخراج المناهج الدراسية للهيئة العلمية لمؤسسة شهيد المحراب ﴾

تم تصميم وإخراج مناهج دراسية للعطلة الصيفية لمراحل المتوسطة والإعدادية ضمن ثمانية كراسات بأسلوب حديث، وإخراج جميل بحسب شهادة بعض المتخصصين.

﴿ فريق مساحة حرة ﴾

أعمل الآن مع فريق من الشباب المختص والمخلص ضمن مشروع (مساحة حرة)، وهو مشروع واسع نقوم بالعمل عليه ضمن مراحل مرسومة على أساس خطة مدروسة نهدف به سد الفراغ الثقافي في مجال الإنترنت الذي لم تقم به باقي المواقع الثقافية الشيعية ضمن نشاطاتها.

﴿ المكتبة الإلكترونية ﴾

وكان باكورة المراحل إنشاء المكتبة الإلكترونية المتكاملة والتي تجاوز عدد كتبها اليوم (٣٤٠٠) كتاب.

تتميز المكتبة أنها تعرض الكتب بتنسيق افتراضي ينسجم مع أنظمة المكتبات الإلكترونية العالمية وتفتح في أجهزة المطالعة الإلكترونية، وكان الداعي لافتتاح هذه المكتبة أن العالم بدأ يسير باتجاه الكتاب الإلكتروني وبدأت المواقع الأجنبية تنشر كتبها الإلكترونية بأعداد هائلة فمن هنا كان قرار الفريق

على شد العزيمة على إنتاج مكتبة إسلامية هي الأولى من نوعها، تواكب هذه المسيرة العالمية. والحمد لله أنجزت ولازال العمل مستمراً على تطويرها، نسأل الله التوفيق لذلك.

« مشروع سحب

ثم بعد أن وصلت المكتبة إلى هذه المرحلة المقبولة في حساباتنا بدأنا بالمرحلة الثانية التي نسميها (مشروع سحب) وهي أن نبدأ بتوفير هذه الكتب للمواقع الإسلامية، بحيث يستطيع كل موقع من خلال الاشتراك المجاني وخطوات يسيرة يمتلك هذه المكتبة المتكاملة ويعرضها في موقعه، مع خدمات متميزة لا يسع المجال لشرحها.

« تطبيقات الأجهزة الذكية

بعد تطور الأجهزة الذكية ودخولها إلى السوق بديلة عن أجهزة الموبايل التقليدية بدأ الفريق يتجه باتجاه برمجة التطبيقات النافعة والتي تعمل على هذه الأجهزة.

« مشروع زوم للصور الاحترافية

في عرض عملنا على المكتبة ونحن نبحث في الإنترنت وجدنا أن هناك مواقع عالمية متخصصة بالصور الفوتوغرافية الاحترافية بشتى مواضيعها، وبالمقابل لم نجد موقعاً إسلامياً يتناول هذا الجانب.

ثم جربنا أن نضيف بعض الصور الإسلامية، صورة من الضريح الطاهر لأمير المؤمنين عليه السلام مثلاً في هذه المواقع العالمية فواجهتنا بالرفض أو الإهمال من

هنا نشأت الفكرة بأن نقوم بإنشاء موقع بالموصفات العالمية يستقبل الصور الاحترافية من المصورين المحترفين، يختص بموضوعي (العمارة الإسلامية)، و(الشعائر الإسلامية) فقط ثم يعرضها بأفضل أدوات العرض المتوافرة لتصل إلى جميع المستخدمين.

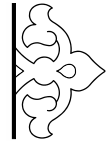
وإثراءً لهذا المشروع قمنا بدعوة أحد المصورين لتوثيق جوانب مهمة من الأبنية التاريخية في النجف الأشرف.

كما قمنا بدعوة مصورين محترفين لتوثيق زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الذكرى السنوية لمرور أربعين يوماً على استشهاده عليه السلام والمسماة (زيارة الأربعين) حيث يتوافد على زيارة ضريحه المقدس الملايين معظمهم مشياً على الأقدام وقد تم توثيقنا لها بدءاً من منطقة (سوق الشيوخ) بمحافظة ذي قار إلى محافظة كربلاء المقدسة ضمن مسلسل رائع من الصور الفتوغرافية.

نسأل الله أن يأخذ بأيدينا لما فيه الخير والصالح وأن يحسن نياتنا وأن يجعل عواقب أمورنا إلى خير إنه ولي المؤمنين.



ثانياً: برنامج يوم عمل دراسي لمدّرس من مدرسي السطوح العليا (السيد محمد صادق الخرسان أنموذجاً)^(١)



نشأ السيد محمد صادق الخرسان في بيت علم ومعرفة وتقى، في ظل جدّه

(١) كتب هذا البرنامج ليوم عمل دراسي لسماحته قبل سنوات حين كان يدرس السطوح العليا، وقد أصبح اليوم من مدرسي البحث الخارج الذين يشار إليهم بالبنان في حوزة النجف الأشرف العلمية ويتنظر لهم مستقبل واعد.

المقدس آية الله السيد حسن الخرسان، ورعاية والده آية الله السيد محمد رضا الخرسان (قدس الله سريهما)، الأمر الذي أثّر فيه حبّ العلم والمواظبة على التحصيل؛ فقد عاش منذ صباه أجواء علمية يسمع ما يدور في مجلس جده، من مسائل ومناقشات، كما رسخ ذلك لديه ما عايشه يومياً، فبعد صلاة المغرب في مقبرة الأسرة بالصحن العلوي الشريف يستمع لما يعرض من مسائل تخصصية هي حصيلة يومٍ درسيٍّ طويل، فاعتاد الجد في طلب العلم ولم يستغرب لأسلوب اختبار الطالب المبتدئ ومطالبته بالجواب، وما يستجره ذلك من تفرّعات في المسائل، لتكون حوارية متنوعة تشدّ سامعيها وقد تخرج متلقيها، لكنها مفيدة جداً في تشييد بناء متين للطالب، يشحذ الهمة ويعدّ للمتابعة والاتقان المرحلي؛ كونه لا يغادر مرحلة دراسية إلى مرحلة أعلى ما لم يكن جديراً بالانتقال إليها.

وقد كان من آثار تلك الأجواء العلمية ومصاحبته لذوي العلم والتقوى أن التزم التحصيل العلمي واهتم بتنظيم الوقت حتى في أيام العطلة، فبرنامج يومه الدراسي: يبدأ بعد أداء صلاة الصبح وما يسبقها ويلحقها من نوافل، بمراجعة موادّ دروسه، -فهو ملتزم بالتحضير للدرس ولو تعددت مرات تدريسه للمادة مرات ومرات-، ثم الإجابة على رسائل مسائل البريد الإلكتروني الشرعية التي ترد إليه من السائلين، والاطلاع على الأخبار العامة ليكون في أجواء ما يجري في العراق والمنطقة والعالم، ثم قراءة القرآن الكريم وبعض الأوراد والأذكار المرتبة مستمراً طريقه إلى الدرس بذلك، ليبدأ بعدها تدريسه لكتاب (المكاسب) للشيخ مرتضى الأنصاري ثم بحثه الفقهي الموسع، ثم تدريس كتاب (كفاية الأصول) للشيخ محمد كاظم الخراساني.

وأما برنامج يومه الدراسي خلال عطلته الأسبوعية المعمول بها في الحوزة

العلمية، وهي يوما الخميس والجمعة من كل أسبوع فقد أثر السيد محمد صادق الخرسان - حاله حال العديد من فضلاء حوزة النجف الأشرف - أن لا يتمتع بها لراحته، بل يحولها إلى دروس علمية في موضوعات ليست مقررة ضمن دروس الحوزة العلمية المعتادة ولكنها ذات صلة وثيقة بتخصص طالب الحوزة، فلديه درس أسبوعي في كتاب (وسائل الشيعة) للحر العاملي، وهو من أهم كتب الحديث عند الشيعة، وآخر في مبحث الإمامة من كتاب (دلائل الصدق) للمرجع الشيخ محمد حسن المظفر؛ وذلك كجزء من التصحيح العلمي لأوهام بعض الفضائيات والكتاب من جهة، ولإعداد نخبة من الطلاب تتوافر على مادة عقائدية مقارنة؛ لضرورة التزود بما يعين على صدّ الشبهات المثارة من جهة أخرى، مضافاً لخصوصية الكتاب المذكور؛ حيث يعرض لحوار ثلاثي يدور بمختلف أساليب البيان سعة و اختصاراً وغيرها بما يفيد الطالب مادة رصينة.

والسيد محمد صادق الخرسان يحرص في ذلك كله على اغتنام الوقت حتى ولو قلّت ساعات نومه في بعض الليالي، كونه لا يستجلب النوم لو عصاه، بل يعتبره مضیعة للعمر، ما لم تشتد أعراض شقيقة الرأس عليه فيراعيها، كما يحرص على المطالعة - المتنوعة - متى سنحت له الفرصة ولو في السيارة أو قبل النوم، مع التزامه بكتابة هوامش نقدية على كثير مما يقرأ، ومن اهتمامه باستثمار الوقت ما يحدث عن ذكرياته في السجن الانفرادي بعد الانتفاضة الشعبانية على النظام المقبور سنة (١٤١١هـ / ١٩٩١م) حيث بدأ بإعراب القرآن لكن لم يتمه، وله اهتمام خاص بالحديث الشريف، فقرأ بعض الدورات الحديثية على السيد والده، كما أنه معنيّ بالبحث المقارن؛ لما لذلك من أثر مهم.

كما يهتم بتنشئة بعض طلابه علمياً ورعايتهم معنوياً في مجالات التأليف

والتدريس والإلقاء ومتابعتهم وحثهم ومراجعة بحوثهم، ويحرص -دائماً- على أن يجمع في درسه بين العلم والتربية معاً، وقد أثر ذلك في كثير من طلابه أخلاقياً، وقد درّس كتاب (منية المريد) في علم الأخلاق للشيخ عبد الله المامقاني عدة مرات؛ إيماناً بضرورة التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل.

له عدة كتب مطبوعة هي:

❏ المهر في الشريعة الإسلامية، عام (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

❏ سلسلة الأربعين حديثاً (١ - ٥)، عام (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

❏ أخلاق الإمام علي عليه السلام الجزء الأول، عام (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)،

❏ الخمس، عام (١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).

❏ ثمر الفكر حلقة أولى، عام (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م)،

وله أيضاً مجموعة بحوث فقهية حول: الجعالة/ التأمين/ الوديعة/ البنوك/ المهر/ ولديه مجموعة بحوث علمية في مؤتمرات، بما تشكّل حلقات أخرى من كتابه (ثمر الفكر).

وهو مهتم بجمع مسند الإمامين (الحسينين) عليه السلام، ومسند الإمام (علي بن الحسين) عليه السلام عرض وتحليل، وله محاضرات في كل من حقوق الإنسان من منظور إسلامي وحقوق المرأة من منظور إسلامي والديمقراطية من منظور إسلامي وعلاقة الدين والدولة، وهو مهتم بنشرها كدراسة مقارنة في سلسلة كتب، هذا وقد دوّن بعض طلابه تقارير بحوثه في علمي (الدراية) و(الرجال).





الفصل السادس

مرحلة البحث الخارج

نظامها، وطريقة تدريسها، ومثل تطبيقي عليها،
وأنموذج لبرنامج يوم عمل دراسي لأستاذ
من أساتذتها من غير المراجع

يتضمن هذا الفصل مباحث ثلاثة هي:

المبحث الأول

مرحلة البحث الخارج؛ البداية والنظام الدراسي وطريقة التدريس

المبحث الثاني

مثل تطبيقي لطريقة التدريس المتبعة في مرحلة البحث الخارج

المبحث الثالث

برنامج يوم عمل دراسي لأستاذ من أساتذة مرحلة البحث الخارج من غير المراجع



وسأتناولها تباعاً مبتدئاً بالمبحث الأول منها

المبحث الأول

مرحلة البحث الخارج البداية، والنظام الدراسي، وطريقة التدريس

ويتضمن مطالب أربعة هي:

المطلب الأول:

التسمية، البداية، زمن التأسيس، المؤسس

وسأتناول هذا المطلب في نقطتين هما:

” بادئ ذي بدء يحسن بي أن أشير إلى سبب تسمية هذه المرحلة
الدراسية بمرحلة (البحث الخارج)

لقد سميت هذه المرحلة بمرحلة البحث الخارج، لأن الدراسة لا تتم فيها من خلال كتاب دراسي معدّ سلفاً كسابقاتها، حيث يعتمد الطالب بنفسه قبل أن يحضر محاضرة البحث الخارج إلى تتبع مادة المحاضرة العلمية المقررة لذلك اليوم من مصادرها، حريصاً أشد الحرص على مراجعة أقوال العلماء السابقين، ممن يرى أن كتابتهم في هذا المبحث غنية بما فيه الكفاية بحيث تصلح للدليّة على المدّعى، ثم يحدد طالب البحث الخارج الأسئلة والإشكالات التي انبثقت في نفسه وبقيت دون إجابة كي يوجهها إلى أستاذه فيساعده على حلها، بعدها يحاول الطالب جاهداً أن يستخلص لنفسه رأياً محدداً في موضوع المحاضرة ولكنه غالباً لا يصل إلى نتيجة في مسعاه.

وهذا بحد ذاته جزء من عملية التعلم التي تحث عليها أصول علم التربية المعاصر. حتى إذا فرغ الطالب من استقراء الآراء وهضمها، ودقق في المشكل منها، حضر إلى مجلس البحث الخارج منضماً إلى زملائه الطلبة للاستماع إلى ما سيلقيه الأستاذ عليه وعليهم.

ومن الجدير بالذكر أن تلامذة درس الخارج عادة هم والأستاذ سواء، بالنسبة للكتب الدراسية، والتي تراجع من حيث لزوم استحضار ما فيها، وإن كانوا ليسوا سواسية من حيث تفهمها واستحضار مضامينها، وربما يوجد في التلاميذ من يستحضر بعضها في ذاكرته أكثر من الأستاذ، ولكن من البعيد وجود من يماثل الأستاذ في تفهمها، وتحليلها، وإرجاعها إلى أصولها ومبانيها، ولو بنحو الموجبة الجزئية^(١).

” البداية التأسيسية الأولى لمرحلة البحث الخارج، وأستاذها المؤسس

يرى بعض الباحثين^(٢) أن طريقة تدريس البحث الخارج ليست بقديمة قدم المرحلتين السابقتين مرحلة المقدمات، ومرحلة السطوح، ويذهبون إلى أن سماحة الشيخ محمد بن شريف بن حسن علي المعروف بـ(شريف العلماء) المازندراني الآملي (ت ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م) هو أول عالم شيعي بدأ تدريس بحوث الخارج ارتجالاً، ولم يكن ذلك معروفاً قبله، والسبب في ذلك يعود إلى الشيخ الأنصاري صاحب كتاب (المكاسب)، وسعيد العلماء المازندراني، فقد كان هذان العالمان

(١) موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية: ٦/ ٢٠٧. نقلاً عن جامعة النجف. الشيخ محمد تقي الفقيه.

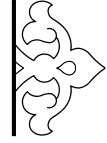
(٢) موسوعة النجف الأشرف. تطور الدرس الأصولي. السيد منذر الحكيم: ٧/ ١٨٩.

العلمان يشتركان في مباحثة واحدة فيما بينهما، ولما كانا من أبرز طلبة أستاذهما الكبير شريف العلماء فقد كانا يكثران من طرح الأسئلة، وكان يضطر في الإجابة على أسئلتهما وإشكالاتهما إلى ترك الكتاب، فما زال هذا الأمر يتكرر حتى ترك شريف العلماء كتاب (المعالم) الذي كان يدرّسه لتلاميذه، وأخذ يلقي دروسه دون كتاب. ومنذ ذلك الحين أخذ العلماء يلقون دروسهم في الخارج دون كتاب^(١).

ويذهب الباحثون في تاريخ نشوء مصطلح (البحث الخارج) أيضاً إلى أن إطلاقه على المرحلة الثالثة العالية من مراحل الدراسة الحوزوية قد بدأ في فترة العالم الكبير وأستاذ المراجع شريف العلماء^(٢) كذلك.



المطلب الثاني:
منهج البحث الخارج، سعة وضيق الدرس، دورات البحث الخارج،
الفرق بين التقارير والأمالي



وسأعرضه في ثلاث نقاط هي:

” دروس التخصص العالي

لقد بات من المألوف أن يدرس طالب الحوزة في هذه المرحلة التخصصية العالية، علوم الفقه وأصوله بشكل تفصيلي مركّز، وقد يضم إليهما دراسة آيات الأحكام من كتاب الله الكريم دراسة استدلالية معمقة، كما قد يدرس أيضاً علم القواعد الفقهية دراسة تفصيلية، وربما يتعمق في دراسة علم الكلام أو الفلسفة

(١) ينظر: مرجعية التقليد. سابق: ١٣٥ هامش رقم ١.

(٢) ينظر: المرجع السابق: ١٣٥.

أو غيرها من الدروس الأخرى التي يرتئي الطالب حاجته إليها كباحث متأنٍ في عملية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

وإنما قلت: و(قد) أو (ربما) يضيف الطالب دروساً موسعة أخرى إلى درسي الفقه والأصول لأن الطالب في هذه المرحلة بات يركز منذ بداية العقد الثالث من القرن الرابع عشر على هذين الدرسين دون غيرهما غالباً بعد أن كان سابقاً يدرس مجموعة من العلوم الأخرى الأوسع وفق ما صرح به المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(١) المعاصر لتلك الفترة العلمية خلال ترجمته للميرزا حسن التستري حيث قال: في حدود سنة (١٣٢٠هـ / ١٩٠٣م) اتجهت الطلاب لدراسة الفقه والأصول فحسب، وتركت باقي العلوم العقلية والنظرية تدريجاً حتى صارت لا تدرس، بل ولا يحصل لها مدرس.

ولعل سبب ذلك يرجع إلى أهمية التركيز على دروس الاختصاص أكثر من الدروس الأخرى المساعدة أو الممهدة.

أما لماذا يركز نظام الحوزة العلمية النجفية حالياً على دراسة علمي الفقه وأصوله بشكل معمق في هذه المرحلة التخصصية، فما ذاك إلا لأن المحور الأساسي لعملية الاجتهاد والاستنباط موضوعها في الدين الإسلامي هو علم الأصول والفقه، وهما علمان مستمدان من الكتاب والسنة، ومترابطان بترابط متبادل على طول التاريخ، حيث أن علم الأصول قد وضع لممارسة تكوين النظريات العامة، وتحديد القواعد المشتركة في الحدود المسموح بها شرعاً، وفقاً لشروطها العامة للتفكير الفقهي التطبيقي، وعلم الفقه قد وضع لممارسة طريقة

(١) معارف الرجال: ١/ ٢٩٦.

تطبيق تلك النظريات العامة والقواعد المشتركة على عناصرها الخاصة التي تختلف من مسألة إلى أخرى، ومن هنا يرتبط علم الفقه بعلم الأصول ارتباطاً وثيقاً منذ ولادته إلى أن ينمو ويتطور ويتسع تبعاً لتطور البحث واتساعه بوجود مشاكل جديدة في الحياة اليومية^(١).

” سعة وضيق درس البحث الخارج

وتخضع سعة حلقات الدرس في البحث الخارج وضيقها لشهرة الأستاذ العلمية وقوة حجته ومتانة دليله وعمق مطالبه ووضوح بيانه ومدى نجاحه في توصيل مادة البحث العلمية وأمثال ذلك، فقد كان مثلاً أستاذ البحث الخارج في الأصول المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩هـ / ١٩١١م) يحاضر في المسجد الهندي في النجف الأشرف فيحف بمنبره ثلاثة آلاف طالب فيهم المجتهد أو المرشح للاجتهد وكانت له الروعة والهيبة إذا استوى فوق منبره وإذا انتهت محاضراته وانتشر تلامذته تقف حركة المرور، فلا ترى غير تموج العمام البيض والسود^(٢) هذا أحياناً، وأحياناً أخرى يقل عدد طلاب الشيخ عن ذلك الرقم بحسب الظروف الزمانية والمكانية فقد نقل الشيخ أغا بزرك الطهراني متحدثاً عن تلاميذ الشيخ محمد كاظم الخراساني ما يلي: وقد أحصيت تلاميذه في بعض الليالي من الدورة الأخيرة التي أَلَّفَ فيها الكفاية فبلغت ألفاً ومائتين ونيفاً، ومنهم جمع كثير يكتبون تقرير دروسه ويعلقون الشروح والحواشي على كتابه الكفاية وقد هاجروا إلى بلادهم وخفي علينا أحوالهم^(٣)، كما نقل عن السيد هبة الدين

(١) دراسة المرجع الشيخ الفياض عن أستاذه السيد الخوئي. مجلة النور. العدد ١٧٦ لسنة ٢٠٠٦م: ٩٢.

(٢) الأحلام. سابق: ٢٦٣.

(٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة. الشيخ أغا بزرك الطهراني: ٣٣ / ١٤.

الشهرستاني وهو من خاصة تلاميذ الشيخ الخراساني قوله: عددنا حضار درس الشيخ فكان في إحدى الليالي (١٥٤٠) شخصاً^(١). ونقل كذلك عن المرجع الشيخ ضياء الدين العراقي (١٨٦١هـ / ١٩٤٥م) - من أكابر تلاميذ المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني - بأن عدد طلاب البحث الخارج للشيخ تعدى في وقت من الأوقات على الألف والسبعمئة نفر في الليلة^(٢)، وورد عن بعضهم أن عددهم تجاوز ثلاثمائة مجتهد وأكثر من ألفي طالب بين مراقق للاجتهد ومجتهد^(٣)، بل زادهم البعض إلى (٣٠٠٠) بين طالب مراقق للاجتهد ومجتهد.

وليس في ذلك تضارب في الأقوال كما ذهب إلى ذلك بعضهم^(٤) فقد جرت العادة أن يزداد أو يقل حضور طلبة البحث الخارج من بحث إلى بحث ومن يوم إلى يوم بحسب الظروف والأحوال، وهو ما بدا واضحاً في أقوال المحصين أو العاديين، فرواية الشيخ أغا بزرك الطهراني تتحدث عن طلاب (بعض الليالي في الدورة الأخيرة) للشيخ، وهي لا تعارض رواية الشيخ علي الشرقي التي قد تتحدث عن ليالٍ قد تكون في دورة أو دورات أخرى، وكذلك لا تعارض رواية الشيخ الشرقي أيضاً مع ما نقل عن المرجع الشيخ العراقي التي نصت إضافة لما تقدم على أن عددهم (تعدى) الرقم المذكور فيها، وهي لا تعارضها أيضاً رواية السيد الشهرستاني فهي إضافة لما تقدم نصت على عدد الطلاب في (إحدى الليالي) لا (عددهم الكلي في ليالي البحث عادة).

(١) من مقدمة كتاب كفاية الأصول للشيخ الخراساني. بقلم السيد جواد الشهرستاني: ٢١.

(٢) ينظر: كفاية الأصول للشيخ محمد كاظم الخراساني. تحقيق سامي الخفاجي: ١/ ٢٠.

(٣) ينظر: الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. سابق: ٢٠.

(٤) تنظر: مقدمة تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث لكتاب كفاية الأصول: ٢٠.

وأياً كان العدد الحقيقي لعدد طلاب بحثه -الذي قدرته أقل هذه الروايات بـ (١٥٤٠) طالباً، وزادته أكثرها إلى (٣٠٠٠)- فهو كثير جداً، وخاصة إذا عرفنا أنه كان فيهم أكثر من (١٠٠٠) مجتهد في علمي الفقه والأصول^(١).

وليس هذا العدد الكبير لطلاب البحث الخارج أو ما قاربه مما اختص به المرجع الشيخ الخراساني وحده، وإن كان في مقدمة من حظيت دروسهم بهذا العدد الغفير من الطلاب، وذلك لعمق مادته وحسن بيانه، وجدة طرحه لقسم من المطالب الأصولية افترق به عن معاصريه وسابقيه^(٢)، ولغير هذا وذاك، فقد اعتدنا أن نسمع أو نقرأ عن حضور مشابه للطلاب متى ما اشتهر اسم أستاذ لبحث من بحوث الخارج بارع في مادته وطريقة عرضه فقد حدثتنا كتب التاريخ مثلاً أن المرجع الشيخ موسى آل كاشف الغطاء (ت ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م) حضر مجلس درسه في أواخر أمره من طلبة العجم ألف رجل هاجروا من كربلاء بعد وفاة شريف العلماء^(٣)، هذا عدا سواهم من الطلاب العرب وغيرهم من حملة الجنسيات الأخرى.

كما حدثتنا كتب التاريخ أيضاً أن المرجع الشيخ علي ابن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م)^(٤) كان يحضر درسه ما يزيد على الألف

(١) أدوار الفقه الإسلامي الإمامي. الشيخ محمد إبراهيم الجنائي. بحث. مجلة الفكر الإسلامي. ١٢٦/٨ لسنة ١٤١٥ هجرية.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٣٢٣/٢.

(٣) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢٠٠/٣.

(٤) أحد أبناء الشيخ جعفر الكبير الأربعة المجتهدين تولى زمام المرجعية بعد وفاة أبيه الشيخ وأخيه الشيخ موسى وكان ورعاً تقياً مواظباً على الطاعات دائم العبادة والذكر، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وكان إضافة لذلك شاعراً مجيداً ومحدثاً بارعاً درس على أبيه الشيخ ثم أخيه =

من فضلاء العرب والعجم^(١)، وهناك غيرهما من الأساتذة ممن بلغ حضار درسه المئات.

وأشار المؤرخ النجفي السيد حسين البراقبي سنة الانتهاء من تأليف كتابه اليتيمة الغروية والتحفة النجفية وهو سنة (١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) إلى أن علماء النجف الموجودين الآن بحمد الله تعالى يزيدون على مائتي عالم من الأعظم، وأما الفضلاء فلا حصر لعددهم^(٢).

ومعلوم أن مصطلح (العلماء الأعظم) لا يطلق إلا على مراجع التقليد عادة أو من هم بدرجتهم العلمية، فإذا أضفنا إلى ذلك قوله بأن عدد الفضلاء لا حصر لهم، فضلاً عن الطلاب الذين هم أدنى منزلة علمية منهم، تبين لنا كثرة عدد منتسبي حوزة النجف الأشرف تلك الآونة.

بيد أن هذا العدد الضخم من طلاب الحوزة العلمية النجفية قد بدأ بالانحدار تدريجياً في أواخر الستينيات وما بعدها من القرن الماضي نتيجة الضغوط الأمنية على الحوزة العلمية وكثرة المضايقات الحياتية وعدم منح أو تجديد الإقامات للطلبة الوافدين من غير العراق للدراسة العلمية في حوزة النجف الأشرف واشتعال الحروب والتفسير الإجباري التعسفي والتجنيد الإجباري للعراقيين منهم وغيرها

= الشيخ موسى، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء الفطاحل يأتي في مقدمتهم الشيخ مرتضى الأنصاري والمير فتاح صاحب العناوين والسيد مهدي القزويني والشيخ مشكور الحولوي، له من الكتب والمصنفات الكثير: كتاب في الخيارات وله رسائل عديدة وله أيضاً تعليقة على رسالة والده.

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١٦٩/٣.

(٢) اليتيمة الغروية: ٥٨١.

ولا زلت أذكر خلال أواسط عقد الستينات الميلادية من القرن الماضي أي كنت أشاهد المسجد الذي اعتاد أن يلقي فيه المرجع الأعلى في عصره سماحة الإمام السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) وهو غاص بالطلاب المنصتين أثناء إلقاء سماحته لبحثه. وأذكر أيضاً مثل ذلك الحضور في درس المرجع الأعلى في عصره سماحة السيد الخوئي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م)، حيث قدر عدد حضار بحثه الخارج بما يتراوح ما بين (٤٠٠-٥٠٠) طالب، يكتب (٩٥٪) منهم البحث وهو مؤثر على كثرة الطلبة المشتغلين بينهم^(١).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد انخفضت أعداد الطلاب بشدة بعد الحرب الدموية المعلنة والمخفية التي شنها الحكام الظالمون على الحوزة العلمية في النجف الأشرف ومرجعيتها الدينية ككيان وعلى مراجعها وأساتذتها وطلابها كاشخاص متممين لذلك الكيان العلمي العريق، وخاصة خلال زمن حكم حزب البعث الظلامي منذ عام (١٤١٣هـ / ١٩٦٨م) وحتى سقوطه المدوي عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) خشية الملاحقة التي وصلت إلى حدّ السجن الطويل والتعذيب القاسي والتهجير القسري وغيرها ناهيك عن إعدام المئات.

ثم عادت الحوزة العلمية وتنفست الصعداء بعد زوال النظام الصدامي فبدأت أعداد طلابها وحضار دروسها على مختلف مراحلها بالازدياد تدريجياً، وبديهي أن يكون طلاب البحث الخارج أقلهم عدداً؛ لحداثة حرية الانتماء إلى الحوزة بعد سقوط صدام، ولأن الوصول إلى هذه المرحلة العليا لا بدّ وأن يسبقه

(١) نظرة في علم الأصول في حوزة النجف. حوار مع المرجع الشيخ محمد إسحاق الفياض. منشور في مجلة التحقيق والحوزة. عدد خاص بحوزة النجف الأشرف. من دون ذكر رقم العدد. السنة الرابعة: ١٠٤.

اجتياز الطالب لمرحلتى المقدمات والسطوح السابقتين عليها، وهو ما يحتاج إلى زمن ليس بالقليل.

وهكذا فإن قضية أعداد الحضار من طلاب البحث الخارج للدرس نسبية ومتفاوتة من ظرف إلى ظرف وهو الأهم ومن أستاذ إلى أستاذ ومن موضوع إلى موضوع.

هذا وقد قمت بإحصاء لعدد الطلبة الحاضرين لبحث الخارج لسماحة الشيخ باقر الإيرواني أحد اساتذة البحث الخارج في الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف صباح يوم الأحد (٦ ربيع الثاني من عام ١٤٣٧ هـ، الموافق ليوم ١٧ / ١ / ٢٠١٦ م)، فكانوا (٧٢٠) طالباً. وهو رقم ليس بالقليل.

وهكذا شيئاً فشيئاً تبدأ الحوزة العلمية في النجف الأشرف ودروس بحث الخارج فيها تستعيد عافيتها ونموها التدريجي إن شاء الله تعالى.

” دورات البحث الخارج

لقد جرت العادة أن تدرّس دروس الخارج على شكل دورات، تبدأ الدورة ببداية ذلك العلم، وتنتهي بنهايته وقد تستمر لسنوات، فإذا أتمّ الأستاذ المجتهد دورته الفقهية أو الأصولية مثلاً شرع بتدريس دورة أخرى جديدة لها بحضور طلاب جدد وهكذا بحسب تشخيصه للحاجة وتبعاً للظروف العامة -التي قد تجبر العالم على التوقف كما حدث ذلك أيام جور الأنظمة الظالمة-، وظروفه الشخصية الخاصة وفي مقدمتها الصحية منها، ومع ذلك فقد وجدنا من المراجع من درّس دورة كاملة أو دورات كما وجدنا من استمر عشرات السنين يدرس البحث الخارج دورة بعد دورة كما هو حال المرجع الأعلى في وقته سماحة السيد

الخوئي الذي استقلّ بالبحث الخارج العالي طيلة ستين عاماً متواصلة وقد وهبه الله عمراً مديداً ما فرّط بيوم واحد منه، حتى ما رآه أحد إلاّ مدرساً أو دارساً أو مطالعاً أو محرراً أو مفكراً^(١).



المطلب الثالث:

كتابة البحث، الفرق بين (التقارير) و(الأمالي)

وسأتناول هذا المطلب في نقطتين هما:

” كتابة البحث وعرضه على الأستاذ

دأب طلاب البحث الخارج بعد انتهاء الدرس وانتهاء مناقشته أن يعود كل منهم إلى بيته ليكتب مبحث أستاذه الذي استوعبه بالمحاضرة وحدها حيناً، أو بها وبرديفتها المناقشة حيناً آخر، أو بهما وبالمراجعة اللاحقة لأفكارها، أو بمعونة زميل نابه من زملاء بحثه لها أحياناً.

وقد جرت العادة أن يعرض الطالب المجدّد كتابته على أستاذ درسه كي يطمئن الطالب إلى سلامة بيانه لمطالب أستاذه من ناحية، ويتأكد الأستاذ من دقة تعبير تلميذه عن آرائه التي تلقّاها منه، وحسن بيانه لما تعرّض له من مبانٍ علمية من ناحية ثانية.

فإذا أتمّ الطالب تدوين آراء مدرّسه واستحسن الأستاذ كتابة تلميذه مادة وأسلوباً ودقة تعبير عن المقصود وإحاطة بالفكرة وسلامة بيان لدقائقها،

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف. سابق: ٢٦٦.

ثم أراد الطالب طباعة ما كتبه من آراء أستاذه قصد أستاذه راجياً منه أن يكتب لما قرره من مباني شيخه مقدمة يصدر بها كتابته لتقريراته مصرحاً فيها للقارئ بأن هذه الآراء تمثل آراء أستاذه تمثيلاً دقيقاً، بحيث يقرّ صاحب الرأي بصحة نسبة تلك الآراء إليه وإن كانت بقلم الطالب المشتغل وذلك بأن يوثق الأستاذ إقراره ذاك بأن ما حوته كتابة تلميذه لأرائه دقيقة بنص يكتبه وينشره تلميذه في مقدمة كتابه، وتسمى كتابة الطالب المشتغل لآراء ومباني ونظريات أستاذه بالتقريرات.

وحين تطبع يكتب على غلاف المطبوع حينئذ بما يشبه الجملة التالية:
(تقريرات بحث الأستاذ (فلان) بقلم تلميذه (فلان) كاتب تلك التقريرات)
وهكذا، وسأضرب مثلاً على ذلك التوثيق لاحقاً.

وقد جرت العادة المتبعة أن تكتب تقريرات الأساتذة المراجع من قبل تلامذتهم المحصلين غالباً، وهناك عشرات الأمثلة على هذه التقريرات مخطوطة أو مطبوعة ومتداولة من ذلك مثلاً كتابة العديد من تلامذة المرجع الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م) بحوثه من قبيل: السيد أبو القاسم كلانتر (ت ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م) وعنون تقريراته بعنوان (مطارح الأنظار)، والسيد حسين الكوهكمري (ت ١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م)، والشيخ حسين قلي بن رمضان الشوندي الدرجيني (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م) والسيد محمد تقي بن كاظم الحسيني الفوشتيكي السبزواري (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م)، والسيد محمد طاهر بن إسماعيل الموسوي الدزفولي (ت ١٣١٨هـ / ١٩٠١م).

كما كتب تقريرات بحث المرجع السيد محمد حسن الشيرازي (١٣١٢هـ / ١٨٩٥م) العديد من تلامذته من قبيل: السيد محمد بن هاشم الموسوي الشرموطي

(ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م)، والشيخ مهدي بن ناصر القرشي (ت ١٣١٢ هـ / ١٨٩٥ م)، والآقا رضا الهمداني (ت ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م)، والشيخ إبراهيم بن علي المحلاقي الشيرازي (ت ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م)، والسيد حسن الصدر الكاظمي (ت ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م)، وقد كتب تقارير استاذيه المرجعين الأنصاري والشيرازي وتلامذتهما الأعلام وعنونه ب(اللوامع).

وكتب تقارير الأستاذ الكبير الميرزا حبيب الله الرشتي (ت ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م) العديد من تلامذته من قبيل: الشيخ عبد الحسين الأملوتي (ت ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م)، والشيخ عباس الرشتي (ت بعد ١٣١٠ هـ / ١٨٩٢ م)، والشيخ إبراهيم الرشتي (ت حدود ١٣٢٠ هـ / ١٩٠٢ م)، والشيخ عبد الحسين بن جعفر المهرجردي (ت ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ م).

كما كتب تقارير المرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) العديد من تلامذته من قبيل: الشيخ علي الكون آبادي (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م)، والشيخ علي القوجاني (ت ١٣٣٣ هـ / ١٩١٤ م)، والسيد محمد صادق بن محمد باقر الحجة الطباطبائي الحائري (ت ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م)، والسيد رضا الكاهاني (ت ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م).

أما المرجع الميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) فقد كتب تقاريره العديد من تلامذته من أمثال: الشيخ محمد علي الكاظمي (ت ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٥ م) وقد طبع بعنوان: (فوائد الأصول)، والسيد علي مدد (ت ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، والشيخ علي بن الميرزا النائيني (ت ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م)، والسيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م) وقد طبعت تقاريره بعنوان: (أجود التقريرات).

كما كتب تقارير المرجع آغا ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م) العديد من تلامذته من أمثال: السيد محسن الطباطبائي الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م)، والشيخ محمد تقي البروجردي (ت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) وقد طبع بعنوان: (نهاية الأفكار)، والشيخ إبراهيم الكرباسي (ت ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) وقد طبع بعنوان: (منهاج الأصول)، والشيخ هاشم الآملي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) وقد طبع باسم: (بدائع الأفكار).

وكتب تقارير المرجع الأعلى السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) العديد من تلامذته من قبيل: السيد علي الشاهرودي (ت ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م) وقد طبع بعنوان: (دراسات في أصول الفقه)، والشهيد الشيخ محمد تقي الجواهري (اعتقل سنة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م وتبين استشهاده في سجون الطاغية بعد ذلك)، والشهيد الميرزا علي الغروي التبريزي (استشهد سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، والسيد علي الحسيني السيستاني، والشيخ محمد إسحاق الفياض وقد طبع باسم: (محاضرات في أصول الفقه)، والسيد محمد سرور الواعظ الحسيني البسهودي (المعتقل في أفغانستان سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، وتبين استشهاده بعد ذلك) وقد طبع كتابه بعنوان: (مصباح الأصول)، والسيد أبو القاسم الكوكبي الباغميشتي التبريزي (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م)، وقد طبع باسم: (مباني الاستنباط)، والشهيد السيد علاء الدين بحر العلوم (استشهد ١٤١١هـ / ١٩٩١م)، وقد عنونه باسم: (مصابيح الأصول)، والشيخ فخر الدين الزنجاني (١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م)، وقد طبع بعنوان: (جواهر الأصول)^(١).

(١) بحوث في أصول فقه الإمامية. د. الشيخ عبد الهادي الفضلي: ١ / ٣٤ - ٣٦.

كما أن بعض تلامذة أساتذة البحث الخارج من غير المراجع قد يطبع تقارير بحوث أستاذه، وهي حالة قليلة الحدوث.

وإذا كان لي أن استشهد بمثل على ذلك فإني سأستشهد بما صدر أخيراً من الطبعة الثانية من تقارير بحوث سماحة السيد محمد رضا السيستاني أستاذ البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف في بحوث في شرح مناسك الحج بقلم تلميذه كل من: الشيخ أمجد رياض، والشيخ نزار يوسف، تحت عنوان (بحوث في شرح مناسك الحج) في عشرة مجلدات، عن دار المؤرخ العربي بيروت. لبنان. سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م)، كما تمت كتابة ومراجعة سبعة أجزاء أخرى منها حتى باتت جاهزة للطبع، وبحسب حديث المقررين فإن الموسوعة سيصل عدد أجزائها إلى اثنين وعشرين جزءاً أو ثلاثة وعشرين جزءاً، وبذلك تعد أكبر موسوعة تصدر في بحوث الحج عن تقارير أستاذ من أساتذة البحث الخارج من غير المراجع في حوزة النجف الأشرف والحوزات العلمية كلها حتى الآن، بل أوسع ما صدر من تقارير في بحوث الحج لأستاذ من المراجع أو غيرهم حتى الآن، بل أوسع ما كتب في بحوث الحج عندنا حتى يوم الناس هذا بحسب تتبعي.

وكمثال على توثيق كتابة التلميذ لدقة آراء أستاذه المحاضر فإني أدرج أدناه أنموذجين منهما: أولهما لتوثيق تقارير يكتبها تلميذ مرجع لبحوث أستاذه فترة مرجعية الأستاذ، وثانيهما: تقارير تلميذ لبحوث أستاذه من غير المراجع

أما الأول فسأستشهد له بتوثيق المرجع الأعلى في وقته سماحة السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي للجزء الأول من تقارير تلميذه الشيخ محمد إسحاق الفياض في أصول الفقه سنة (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م). تلك التقارير التي نشرها مقررهما تحت عنوان (محاضرات في أصول الفقه) وطبعت في مطبعة الآداب في

النجف الأشرف. وفيما يلي نص التوثيق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعترته الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين وبعد،
فإني أحمد الله تعالى على ما أولاني به من تربية نضر من ذوي الكفاءة واللياقة حتى بلغ الواحد منهم تلو الآخر درجة راقية من العلم والفضل.

ومن وفقت لرعايته وحضر أبحاثي العالية في الفقه والأصول هو
قرة عيني العلامة المدقق الفاضل الشيخ محمد إسحاق الفياض دامت
تأييداته.

وقد عرض علي الجزء الأول من كتابه (محاضرات في أصول الفقه) الذي كتبه تقريراً لأبحاثي بأسلوب بليغ وإمام جدير بالإشادة والإعجاب، وإني أبارك له هذا الجهد الميمون، وأسأله تعالى أن يوفقه لإتمام مراميه إنه ولي التوفيق.

أبو القاسم الموسوي الخوئي

٦ جمادى الثانية سنة (١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)

وأما الثاني فسأستشهد له بآخر ما اطلعت عليه من توثيق أستاذ البحث الخارج من غير المراجع سماحة السيد محمد رضا السيستاني لتقريرات تلميذه:

كل من الشيخ أمجد رياض والشيخ نزار يوسف لبحوث أستاذهما في موضوع الحج بتاريخ (١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م) ونشرت تحت عنوان (بحوث في شرح مناسك الحج) عن دار المؤرخ العربي ببيروت. لبنان. سنة (١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م). وفيما يلي نص التوثيق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين الغر الميامين، وبعد:

فإن من عظيم منن الله تعالى وجليل آلائه على هذا العبد الفقير أن وفقه لمذاكرة فقه أهل البيت عليهم الصلاة والسلام مع جمع من طلاب هذا العلم الشريف في الحوزة العلمية المقدسة في النجف الأشرف.

ومن التزم بالحضور والمتابعة الفاضلان العزيزان الشيخ أمجد رياض والشيخ نزار يوسف حفظهما الله تعالى وزاد في توفيقهما، وقد بذلا جهداً مشكوراً في تقرير تلك الأبحاث والمذكرات وتحريرها ببيان وافٍ وأسلوب جميل، وقد رغبا في نشرها بعنوان (بحوث في شرح مناسك الحج) فلم أر ضيراً في ذلك، آملاً أن يجد فيها القارئ الكريم بعض النفع والفائدة يضاف إلى ما يجتنيه من إفادات علمائنا الأعلام ومشايخنا العظام أعلى الله كلمتهم ووفقنا لمزيد الاستضاءة من أنوار علومهم، إنه ولي التوفيق.

محمد رضا السيستاني

٣ ذي القعدة (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

” الفرق بين التقريرات والأمالي

أما ما هو الفرق بين (التقريرات) -التي هي عنوان عام لبعض الكتب المؤلفة منذ أواخر القرن الثالث عشر وبعده حتى اليوم- و(الأمالي) فهو أن (الأمالي) كانت تكتب في مجلس إماماء الشيخ أو روايته للحديث عن كتاب يحمله معه أو عن ظهر قلبه، وكان السامع يكتب الكتاب باسم الشيخ الذي أُملى الأحاديث، ويعد من تصانيف الشيخ، بخلاف (التقريرات) فإنها مباحث علمية يلقيها الأستاذ على تلاميذه عن ظهر قلب ويعيها التلاميذ في حفظهم، ثم ينقلونها إلى الكتابة في مجلس آخر، ويعد من تصانيفهم هم^(١) رغم أنها تحتوي على آراء الأستاذ ومبانيه، فصاحب الكتابة هو الطالب الذي استمع وفهم، ووعى واستوعب ما سمع، ثم دَوّن ما سمع ووعى واستوعب، وصاحب الرأي والمبنى هو الأستاذ المحاضر كما تقدم سابقاً.

والذي يحسن تبيانه هنا هو أن كتب (التقريرات) هذه أكثر من أن يستقصيها أحد، ولا سيما التقريرات الأصولية حيث عدّ منها سماحة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي الكثير.

مما تقدم فقد بات واضحاً بأن (الأمالي) أقدم زمنياً بكثير من (التقريرات).

ففي حوزة النجف الأشرف مثلاً أُملى الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م) (أماليه) على طلابه، في حين إن أقدم ما عثرت عليه من كتب التقريرات في حوزة النجف الأشرف هي تقريرات السيد جواد العاملي (ت ١٢٢٦هـ / ١٨١١م) حيث كتب تقريرات بحث أستاذه السيد محمد

(١) ينظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة. الشيخ آغا برك الطهراني: ٣٦٦/٤ وما بعدها.

مهدي بحر العلوم في علم الحديث^(١)، ف(تقاريرات) تلامذة الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م) فترة حضورهم لدروسه العالية من أمثال تقاريرات تلميذه أبو القاسم الطهراني لمحاضراته حيث أسمى كتابه بـ(التقاريرات).

خلافًا لما ذهب إليه المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه^(٢) من أن أول من كتبت تقاريرات درسه -بحسب قوله- هو الشيخ مرتضى الأنصاري مضيفاً: ولا أعرف وجود (التقاريرات) قبل هذا التاريخ، وكتب آخرون بعض الكتب الأخرى ككتاب (القضاء) و (اللباس المشكوك) أثناء حضورهم عليه ، ونبهوا على ذلك، وقد اتبع الفضلاء هذه السيرة حتى شاعت التقاريرات هذه الأيام شيوعاً ملفتاً.

إن كتابة (التقاريرات) التي تحتوي عادة على مباحث غاية في الدقة العلمية تحتاج إلى كاتب يحسن التعبير عنها ويبرزها للقارئ أو الباحث كما لو كان سميعها من الأستاذ نفسه بحيث يرى الأستاذ المجتهد أنها حاملة لمبانيه العلمية ومطالبه وموضحة لأفكاره وتحليلاته فيرتضيها معبرة عما انتهى إليه رأيه في المسائل محل البحث، لا يقوى عليها عادة إلا الطالب المشتغل المجد المتميز بين أقرانه المشار إليه بالبنان في محيطه وحوزته حتى ليأمل منه أستاذه وأقرانه الطلاب والحوزة العلمية بشكل عام أن يحتل موقعاً صاعداً في الحوزة العلمية مستقبلاً وهو ما تقدمت الإشارة إليه سابقاً.



(١) ينظر: أعيان الشيعة: ٣٠٨/٥.

(٢) حجر وطنين. سابق: ٤/ ١٨٨. هامش وقم ١.

المبحث الثاني

مثلان تطبيقيان تقريريان من أمثلة درس البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف

وسأتناوله من خلال مقدمة ومثلين، وكما يلي:

المقدمة

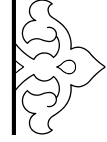
لئن كانت طريقة تدريس مرحلتي المقدمات والسطوح المتقدمة لا تحتاج إلى مثل تطبيقي عليها، فإن طريقة تدريس مرحلة البحث الخارج ربما تحتاجه.

ومن أجل تجلية طريقة تدريسها بات من الحسن أن أستشهد بمثلين تطبيقيين لدرسين من دروسها يقربان القارئ إلى حد مقبول من طريقة تدريس البحث الخارج.

أولهما للمرجع الشيخ محمد كاظم الخراساني الملقب بـ(الآخوند الخراساني) (ت فجر يوم الثلاثاء ٢٠ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٢٩ / ١٩١١م) صاحب كتاب (كفاية الأصول) في علم الأصول.

وثانيهما للمرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت فجر يوم الاثنين ١٨ من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م) صاحب كتاب (تحرير المجلة) في الفقه المقارن.

المثل الأول: تدريس الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ(الآخوند) للبحث الخارج



يقول بعض المؤرخين^(١) إن شهرة الآخوند الخراساني العلمية وعمق مباحثه في بحث الخارج قد اشتهرت في النجف الأشرف وانتشرت منه إلى غيره من البلدان الإسلامية المجاورة وخاصة إيران وسائر أرجاء الدولة العثمانية.

ومما يؤيد ذلك ما كتبه تلميذه السيد هبة الدين الشهرستاني عنه أنه: حضر لديه في تلك السنين حاكم النجف الأشرف، وكان من آل الآلوسي فعرض لحضرته أن بعض الأفاضل المؤلفين، كتب إليه من الأستانة كتاباً يقول فيه:

بلغنا أن عالماً خراسانياً ظهر في النجف وجدد معالم فن الأصول، وأنه في هذا العصر كالعضدي في زمانه، فأرسل لي ترجمته وأحواله بقدر ما تستطيع، فألقى عليه حضرة الأستاذ وجيزاً من أحواله، وسوانح عمره، وتاريخ حياته العلمية والأدبية.

ولما وصل خبر ذلك إلى جميع أرجاء الدولة العثمانية، اشتاق علماء تلك الديار للحضور في مجلس درس هذا العالم العيلم، حتى قام شيخ الإسلام بنفسه لرؤية الشيخ الآخوند والارتشاف من نمير علمه، بحجة أنه يروم السفر إلى قبر أبي حنيفة في بغداد، ومن ثم عرج من بغداد إلى النجف ليشاهد الحوزة التي مضى عليها حوالي الألف عام، وكان الشيخ الآخوند يدرّس في مسجد الطوسي.

(١) آية الله الخراساني. السيد هبة الدين الشهرستاني. مجلة العلم. العدد ٨ من السنة الثانية. شهر صفر من سنة

ودخل شيخ الإسلام بدون سابق إنذار، وبمجرد دخوله حدثت همهمة بين الطلاب، وفسحوا له المجال ليجلس في المكان المناسب له، بالقرب من المنبر.

وهنا برعت براعة الآخوند وفراسته، فإنه بمجرد أن رأى شيخ الإسلام وقد عرفه من ملابسه ومن هيئة المحيطين به فنقل البحث إلى قول أبي حنيفة بأن (النهي في الوجوب والحرمة دليل الصحة لا الفساد) وشرع في بيان هذا الدليل وما يؤيده على أحسن ما يرام، وبيان جذاب، فاندھش شيخ الإسلام من تسلط الآخوند على مباني أبي حنيفة وغيره من أئمة السنّة، وغرق في بحر التأمّلات، وكيف أن هذا العلم قد وصل في النجف إلى ما وصل؟

ثم انبرى (الآخوند) يذكر الإشكالات الواحد تلو الآخر على قول أبي حنيفة المذكور، فما كان من شيخ الإسلام إلّا التصديق والإذعان لما يقوله الآخوند.

واستمر الآخوند في ذكر أقوال العلماء، حتى وصل إلى الرأي الفصل، وهو رأي أستاذه الأكبر الشيخ الأنصاري بأن (النهي في الوجوب والحرمة دليل على فساد ذاك الحكم).

وعندما وصل في بحثه إلى هذا الحد قال: الظاهر أن القادم هو شيخ الإسلام العثماني، واحتراماً لمقدمه أنزل عن المنبر ليفيض علينا من بعض علومه.

ولكن شيخ الإسلام الذي بهرته معلومات الشيخ الآخوند، ولكثرة حضار مجلس الدرس الذين تجاوز عددهم الألف، أبى أن يصعد المنبر، وآثر الجلوس مع الشيخ برهة من الزمن.

ويقال إن جل حديثه في سفره عند رجوعه إلى بلده كان يدور حول شخصية الأخوند العلمية^(١).

ويمكن من خلال هذا العرض لحضور شيخ الإسلام درساً من دروس البحث الخارج في حوزة النجف العلمية معرفة اهتمام أستاذ البحث الخارج في عرض الآراء المختلفة في المبحث المطروح.

حتى أنه طرح رأي أبي حنيفة إمام المذهب الحنفي (ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م)، وغيره من علماء السنّة الآخرين، رغم البعد الزمني الكبير بين الشيخ الخراساني وأبي حنيفة الذي تجاوز الألف عام.

والأهم من ذلك ما بدا لنا من ملاحظة نزاهة وموضوعية أستاذ البحث الخارج في تناول الرأي الآخر، بحيث أنه حين عرض الرأي المخالف لرأيه، عرضه بما أقنع المستمعين بسلامته ودقته، كما لو كان هو رأيه المختار، بل وأثار تعجب العالم السني من سعة إحاطته بمذهب أبي حنيفة، وحسن عرضه له، واستدلّاه على صحته، ثم ناقشه بعد ذلك مناقشة العالم المتبحر، فأقنع مستمعيه ببطلان رأي أبي حنيفة بمن فيهم شيخ علماء السنّة العثماني المتبع لرأي أبي حنيفة النعمان، كما يمكن استيضاح مدى دقة أستاذ البحث الخارج في مناقشة الآراء العلمية، وصولاً إلى الرأي المختار.



(١) مقدمة كتاب كفاية الأصول للشيخ الخراساني: ١٩-٢٠ نقلاً عن مجلة العلم: العدد ٨. السنة الثانية.

أول شهر صفر سنة ١٣٣٠ هـ. ص ٣٤١، وكتاب تاريخ روابط إيران وعراق: ٢٦٥.

المثل الثاني: تدريس المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء للبحث الخارج

لقد تم درس الشيخ آل كاشف الغطاء حاله حال سابقه درس الشيخ الآخوند الخراساني بارتجال، من دون سابقة عهد، أو تهئية، أو إعداد.

ذلك أن وفداً علمياً مصرياً، يرأسه الباحث أحمد أمين صاحب كتب: (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام) زار مدينة النجف الأشرف ليلة ٢١ من شهر رمضان المبارك من عام (١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م) على رأس وفد مصري كبير مؤلف من زهاء ثلاثين بين مدرس وتلميذ، واجتمع بالمرجع الديني في وقته سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في داره العامرة، ومشاهدة ديوانه العلمي، ومكتبته القيمة، ومكث أحمد أمين ومكث الوفد كله معه هزيعاً في ليلة من ليالي شهر رمضان، حيث مجلس الشيخ غاص بمحفل علمي حاشد، فدارت بين رئيس الوفد المصري أحمد أمين والشيخ كاشف الغطاء أحاديث شتى، بدأها الشيخ فعاتبه عتاباً خفيفاً عما أورده في كتاباته غير الأمانة عن الشيعة، ثم استمر الحوار العلمي بينهما بما استطاع تدوينه ساعتها الشاعر الشيخ صالح الجعفري الذي كان حاضراً تلك الجلسة، لتشرها له بعد ذلك مجلة (العرفان) اللبنانية الواسعة الانتشار في الصفحة: (٣٠٨ وما بعدها من الجزء الثالث من المجلد (٢١) لسنة ١٩٣٠ م)^(١).

(١) نشرها أيضاً الباحث علي الخاقاني في الجزء السادس من موسوعته شعراء الغريفي الصفحات: ١٠٤ - ١١٢، ونشرها أيضاً تلميذ المرجع آل كاشف الغطاء السيد محمد علي القاضي الطباطبائي ضمن مقدمته لكتاب (جنة المأوى) للشيخ كاشف الغطاء في الصفحات ٢٨ - ٣٩ من طبعة تبريز بإيران سنة ١٣٨٠ هجرية، ثم أعاد نشرها الأستاذ علاء آل جعفر في مقدمته للطبعة الثانية المحققة من كتاب أصل الشيعة =

وسأتناول ما جرى في هذه الجلسة من وجهة نظر بعض طلاب الشيخ المحاضر أولاً، ثم أنقل وجهة نظر بعض أعضاء الوفد الزائر عن هذه الجلسة العلمية ثانياً.

٩٩ أولاً: الجلسة العلمية ودرس الشيخ، كما دونه تلميذه الشيخ صالح الجعفري

قال الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء لرئيس وفده الزائر أحمد أمين في إشارة منه إلى ما أثبتته هوفي كتابه فجر الإسلام عن الشيعة من تحريف للحقائق بعد زيارة خاطفة قام بها للنجف قال: من العسير أن يلم بأحوال النجف وأوضاعها -وهي تلك المدينة العلمية المهمة- شخص لا يلبث فيها أكثر من سواد ليلة واحدة، فأني قد دخلت مصركم قبل عشرين سنة، ومكثت فيها مدة ثلاثة أشهر متجولاً في بلدانها باحثاً ومنقّباً، ثم فارقتها وأنا لا أعرف من أوضاعها شيئاً، اللهم إلا قليلاً ضمته أبياتاً أتذكر منها:

تبزغ شمس العلى ولكن	من أفقها ذلك البزوغ
ومثلما تنبغ البرايا	كذا لبلدانها نبوغ
أكثر شيء يروج فيها	اللهو والزهو و(النزوغ)

فضحكوا من كلمة (النزوغ)، وقال الأستاذ أحمد أمين: مخاطباً الشيخ: قلم هذا قبل عشرين سنة؟

= وأصولها للشيخ آل كاشف الغطاء وذلك في الصفحات: ٧٩ وما بعدها، ثم أعاد نشرها الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير في كتابه أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: ١٨٢-١٩٣.

« نعم: وقبل أن (ينبغ) طه حسين، و(ينزغ) سلامة موسى، و(ينزغ) فجر الإسلام، وقد ضمنته -مخاطباً أحمد أمين- من التلفيقات عن مذهب الشيعة ما لا يحسن بالباحث المؤرخ اتباعه.

« أحمد أمين: ولكن ذلك ذنب الشيعة أنفسهم، إذ لم يتصدوا إلى نشر حقيقة مذهبهم في الكتب والصحف ليطلع العالم عليه.

« الشيخ: هذا كسابقه، فإن كتب الشيعة مطبوعة ومبدولة أكثر من كتب أي مذهب آخر، وبينها ما هو مطبوع في مصر، وما هو مطبوع في سوريا عدا ما هو مطبوع في الهند وفارس والعراق وغيرها، هذا فضلاً عما يلزم للمؤرخ من طلب الأشياء من مصادرها.

« أحمد أمين: حسناً سنجهد في أن نتدارك ما فات في الجزء الثاني.

هل يسمح لنا العلامة في بيان العلوم التي تقرأونها؟

« الشيخ: هي علوم النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والحكمة والكلام وأصول الفقه وغيرها.

« أحمد أمين: وما هي كيفية التدريس عندكم؟

« الشيخ: التدريس عندنا على قسمين: سطحي وهو أن يفتح التلميذ كتاباً من كتب العلوم المتقدمة بين يدي أستاذه، فيقرأ له هذا عبارة الكتاب ويفهمها التلميذ، وقد يعلق عليها ويورد ويعترض ويشكل ويحل، وغير ذلك مما يتعلق بها.

وخارج: وذلك أن يحضر عدة تلاميذ بين يدي الأستاذ فيلقي عليهم الأستاذ

محاضرة تخصص العلم الذي اجتمعوا ليدرسوه، ويكون غالباً في علوم الفقه والأصول والحكمة والكلام. مع ملاحظة أن التلميذ بكلا القسمين يكون حراً في إبداء آرائه واعتراضاته وغيرها.

« أحمد أمين: إن البعثة تود أن تسمع لبحثكم، فهل أنتم فاعلون؟

فيجيب الشيخ طلب البعثة بالقبول، فيرقى المنبر، ويجتمع حوله من حضر الجلسة من تلاميذه، ونظراً إلى أن الشيخ على غير سابقة عهد، وعلى غير تهئية وتمهيد لنوع العلم الذي سيبحث فيه، لهذا تركوا له الحرية في اختيار العلم، ومن أجل هذا يرى القارئ البحث الآتي ذا فصلين: فقه وأصول وعقائد، كما كانت أيضاً رغبتهم. وهنا ابتدأ سماحته مرتجلاً فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَقْرُؤْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)

تشتمل هذه الآية على عقدين: عقد سلب، وعقد إيجاب.

أما عقد السلب: (ولا تقرؤا مال اليتيم) فهو من الأساليب القرآنية التي اخترعها وارتجلها في الاستعمالات العربية، ولم تكن معروفة من ذي قبل، وقد تكررت هذه الجملة في القرآن الكريم.

وهي تارة تتعلق بالأفعال مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُؤُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿لَا تَقْرُؤُوا الصَّلَاةَ وَانْتُمْ سُكَرَى﴾^(٣)، ويكون المراد

(١) سورة الأنعام: ١٥٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٥١.

(٣) سورة النساء: ٤٣.

حينئذ على سبيل الاستعارة بالكناية المبالغة في التحذير عن ارتكاب ذلك الفعل كالزنا والصلاة مع السكر أو غير ذلك. وشبه اسم المعنى باسم العين فحذر من قربه، فكيف بملاصقته أو الدخول فيه.

وأخرى تتعلق بالأعيان مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾^(٢).

ومن هذا القبيل آية العنوان التي هي من براعة الصنعة وإبداع البيان بمكان، وحيث أن النهي لا يتعلق بالأعيان رأساً، بل لا بد من توسط فعل مقدّر في البين يناسب تلك العين، فإذا قيل: حرمت أمهاتكم عليكم، يعني العقد عليهن. وإذا قيل: حرّمت الخمر، يعني شرّها. وإذا قيل: حرم الميسر والقمار، يعني اللعب بهما، وهكذا يقدر في كل مناسب ما يناسبه، بل أظهر ما يتعلق به الأفعال التي تطلب من تلك العين ومما هي معدّة له، فلا يراد من قول: حرّمت الخمر، حرمة كل الأفعال التي يمكن أن تستعلق بها فيحرم لمسها أو النظر إليها أو التداوي بها وهكذا. كلاً، بل ليس المراد إلا حرمة شرّها. وعليه فيكون المراد والمعنى بالآية التي في العنوان: لا تتصرفوا في مال اليتيم التصرفات المطلوبة عند العقلاء من المال بالتجارة به في بيع أو شراء أو صلح أو رهن أو إدانة أو غير ذلك.

والغرض أيضاً بهذا النحو من البيان: شدة التحذير والنهي عن التصرف في مال اليتيم بحيث يكون المعنى والمقصود النهي عن المعاملة بمال اليتيم بوجه مطلق من رفع أو وضع أو فعل أو ترك إلا بالتي هي أحسن، أما حيث لا تريدون التصرف فلا شيء عليكم.

(١) سورة البقرة: ٣٥.

(٢) سورة التوبة: ٢٨.

وإن كان التصرف أحسن بخلافه على الوجه الثاني، فإن مفاده لزوم التصرف بالأحسن يؤيد الحكم الضروري من حرمة التصرف بمال الغير مطلقاً صغيراً أو كبيراً بغير إذنه، وليس المقصود أصالة البيان بالضرورة، وإنما المقصود عقد الإيجاب وهو إعطاء الرخصة بالتصرف في مال اليتيم إذا كان في التصرف مصلحة فيكون مخصصاً لما دل على عموم حرمة التصرف في مال الغير.

إنما الكلام في مقدار تلك الرخصة وحدودها حسبما يستفاد من الآية، فإن محور البحث والنظر يدور من هذه الجهة على تشخيص المراد من لفظ (الأحسن)، وهل هو من أفعال التفضيل نظير: الصلاة خير من النوم. وعلى الأول، فهل المراد من (الأحسن) بقول مطلق، أي ما لا أحسن منه. وعلى الثاني، فهل المراد منه ما اشتمل على مصلحة، أو يكفي خلوه من المفسدة بناء على أن كل ما ليس بحرام فهو حسن.

ثم لما انتهى إلى هذا المقام طلب بعض الحضور تغيير الموضوع، ونقل البحث إلى مسألة من المسائل الاعتقادية وأساسيات أصول الدين، فأوصل سماحته الكلام اقتضاباً من غير روية ولا تمهل، ونقل البحث إلى مسألة الحاجة إلى الأنبياء وضرورة البعثة فقال:

إن النظر في عامة أحوال البشر يعطي أن أعرف صفاته وألصقها فيه وأقدمها عهداً به هي الخلال الثلاث التي لا يجد عنه محيصاً ولا منها مناصباً مهما كان ألا وهي الجهل والعجز والحاجة، وهذه الصفات هي منبع شقائه وأصل بلائه، وكلما توغل الإنسان في العلم والمعرفة تطامن للاعتراف بما توصل إليه من العلم بعظيم جهله وإن نسبة معلوماته إلى مجهولاته نسبة القطرة إلى المحيط، وكان أكبر علمه

جهله البسيط وقد سئل إفلاطون حين أشرف على الرحلة الأبدية عن الدنيا فقال: ما أقول في دار جئتها مضطراً وها أنا أخرج منها مكرهاً وقد عشت فيها متحيراً ولم أستفد فيها من علمي سوى أنني لا أعلم. وقال سولون الحكيم: ليس من فضيلة العلم سوى علمي بأنني لا أعلم، ومن استقصى كلمات حكماء اليونان وغيرهم وجد لكل واحد منهم مثل هذه الكلمات والتشبع بهذه الروح السارية إلى متضلع في الفضيلة بروح الفضيلة من علماء الإسلام وحكمائهم حتى قال الشافعي:

وإذا ما ازددت علماً

زادني علماً بجهلي

والرازي يقول:

نهاية إدراك العقول عقال

وغاية سعي العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا

سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

في حين أن علماء الغرب وكبار المخترعين الذين حوروا الدنيا إلى هذا الشكل العجيب يعترفون بعدم وصولهم إلى حقائق الأشياء، فهم وإن اخترعوا الكهرباء لا يعرفون حقيقتها، هذا فضلاً عن الروح والنفس والحياة، وهذا مجال لا يأتي عليه الحصر، فالإنسان عريق بالجهل لصيق بالعجز والحاجة ولا شقاء ولا بلية إلا وهي منبعثة إليه من ذلك، وعقول البشر بالضرورة غير كافية لرأب هذا الصدع ونأي هذا الثلم وسد هذا العوز، فالعناية الأزلية التي أوجدت هذه الخليقة لو تركتها على هذه الصفة تكون قد أساءت إليها بإيجادها وما أحسنت

الصنيع بنعمة الوجود عليها، ولكان أخرى لو تركتها في طوامر العدم وأطمار الفناء، ويكون ذلك نقضاً للحكمة وإفساداً للنعمة.

إذاً فلا بدّ من إيجاد رجال كاملين في أنفسهم مكملين لغيرهم، يكونون كحلقة الاتصال بين الخالق والخلق، وهمزة الوصل بين العبد والرب، فإن السعادة منه وإليه، وأولئك هم السفراء والأنبياء الذين بهم تتم الحجة وتستبين المحجة، وحيثئذ تكون سعادة كل إنسان وشقاؤه باختياره، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾^(١)، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢)، وتكون حينئذ لله على الناس الحجة البالغة.

نعم وكل هذا موقوف على إثبات الصانع الحكيم المنزه عن العبث والظلم، فضلاً عن الجهل والعجز.

وهناك أدلى الشيخ بالحجة وأملى أصول البرهنة على وجود الإله الحق بعدة قواعد لا يساعدنا المجال لسردها وعدّها تفصيلاً، ولكن نكتفي بالإشارة إليها على وجه الإجمال:

- « قاعدة أن ما بالعرض لا بدّ أن ينتهي إلى ما بالذات.
- « إن معطي الشيء لا يكون فاقده.
- « إن الصدفة في النواميس الطبيعية الكلية والأشياء المتكررة مستحيلة.
- « إمكان الأشرف.
- « قاعدة اللطف.

(١) سورة البلد: ١٠.

(٢) سورة الإنسان: ٣.

وأمثال ذلك من أمهات قواعد الحكمة وأصول الفلسفة الحقّة، ثم ارتأى في هذا المقام أن يختم البحث لضيق الوقت وهكذا كان^(١).

وعندما نزل الشيخ آل كاشف الغطاء من المنبر دارت بينه وبين أحمد أمين أحاديث لا مجال لعرضها هنا.

” ثانياً: الجلسة العلمية بين الشيخ آل كاشف الغطاء والوفد المصري، من وجهة نظر أحد أعضاء الوفد الزائر

أما من وجهة نظر أعضاء الوفد الزائر فيصف عبد الوهاب عزام أحد أعضاء الوفد الزائر ذلك المجلس في أحد كتبه فيقول بعد أن يتحدث عن الشيخ ومجلسه بما يأتي:

ثم اقترح عليه (على الشيخ آل كاشف الغطاء) بعض الحاضرين أن يشهدنا بعض دروسه، وأحوا عليه، فأجاب الدعوة إكراماً لضيوفه جزاه الله خير الجزاء.

جلس الأستاذ العلامة على كرسي، وأحاط به طلابه وكلهم رجال تلوح عليهم سن الأربعين أو ما يقرب منها، وكلهم وقور في سمته وبزته تكلم في مسألة من علم الكلام، مسألة واجب الوجود، ثم ثنى بتفسير الآية: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ...﴾ والطلبة في أثناء ذلك يسألون ويجادلون، قد رفعوا الكلفة بينهم وبين شيخهم. وقد سمعنا المعجب من بيان الأستاذ وغزارة علمه على قصر الوقت^(٢).

(١) نقلاً عن مقدمة كتاب جنة المأوى للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء. بقلم: السيد محمد علي القاضي

الطباطبائي: ٢٨-٣٢.

(٢) رحلات عبد الوهاب عزام: ٦٢ وما بعدها.

ويمكن في هذا المثال ملاحظة عمق استحضار أستاذ البحث الخارج لمطالبه بحيث أنه وافق مباشرة على طلب تدريس درس من دروسه ارتجالاً من دون إعداد لمادة الدرس ومبحثه، وزاد على ذلك فنزل عند رغبة زائريه فوافق على تحويل مادة ومبحث الدرس من علم الفقه إلى علم الكلام ارتجالاً كذلك، فأحسن العرض والمناقشة في العلمين الدقيقين معاً.

كما يمكن استيضاح مدى إحاطة أستاذ بحث الخارج بعلوم اللغة والمنطق والفلسفة والبلاغة وتاريخ الفلسفة وهي من علوم المقدمات وتبيان حسن توظيفها في مجال علمي الفقه والكلام من خلال الاستعانة بهما في استنباط الأحكام الشرعية وفي الدلالة على وجود الله.

كما يمكن ملاحظة استعانتة بعلم الأصول في بيان مبحثه الفقهي مع حسن استحضاره وجمال حفظه لآيات القرآن الكريم وكثرة استشهاد به واستدلاله بنصوصها على المدعى، إضافة إلى أمور أخرى يمكن استفادتها من الدرسين كليهما مما لا يسع المجال للوقوف عندها.

وكان المؤرخ أحمد أمين ورفاقه من الجامعات المصرية قارنوا بين بحث من بحوث أحد علماء النجف الأشرف، حين زارها، وبحوث علماء الأزهر، فرأوا أن دروس علماء النجف الأشرف هي أعمق غوراً وأوسع أفقاً.

يقول الباحث جعفر الخليلي وهو شاهد يومذاك على الحادثة حضر أحمد أمين، وعدد من طلاب الجامعة المصرية حين زاروا النجف، حلقة من دروس الشيخ محمد رضا - (آل كاشف الغطاء) -، وقالوا إنها كحلقة الأزهر، إلا أن الدرس لدى الشيخ محمد رضا، أعمق، وأوسع أفقاً، من دروس الأزهر... وكنت أنا حاضراً

هذه الحلقة، وسامعاً بأذني ما قاله أحمد أمين^(١).

أما وقد انتهى بي الحديث إلى هذا الموضوع فإني أحب أن أقول: وأحب أن أضيف هنا أن دروس البحث الخارج غير المرتجلة كهذا الدرس أكثر تفصيلاً، وأعمق تحليلاً، وأشمل استعراضاً وأدق نقداً وتقويماً للمباني والمطالب في الغالب مما تحدث به المرجع الشيخ كاشف الغطاء في درسه الارتجالي الذي أحسن فيه وأجاد، وذلك لتناول بحوث الخارج عادة ذكر الآراء المختلفة في المسألة محل البحث بعد نسبتها إلى أصحابها القائلين بها، مع استعراض أدلتهم عليها ومؤيداتهم لها، ثم مناقشة تلك الأدلة ببيان نقاط القوة والضعف فيها وما إلى ذلك من خصوصياتها ودقائقها، وصولاً إلى الرأي المختار في المسألة، وهكذا في المسائل اللاحقة لها بالتتابع.



(١) هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي: ١/ ١٥٤.

المبحث الثالث

أنموذج لبرنامج يوم عمل دراسي لأستاذ من أساتذة مرحلة البحث الخارج من غير المراجع (الشيخ باقر الإيرواني أنموذجاً)^(١)

كثيراً ما يستغرق العمل العلمي جل وقت الأستاذ المجتهد في حوزة النجف الأشرف مستوعباً أطراف نهاره وآناء ليله، لما عرفت به حوزة النجف الأشرف من أصالة وعمق، وسعة بحث وتدقيق، وكثرة تحييص وتحقيق، وليس أدل على ذلك مما تناوله برنامج يوم عمل لأستاذ من أساتذتها الحاليين هو سماحة الشيخ باقر الإيرواني حيث أجابني مشكوراً عن سؤالي المتعلق ببرنامج يوم عمل دراسي من أيام اشتغاله العلمي

يقول سماحة الشيخ باقر الإيرواني جواباً عن سؤالي له عن برنامج يوم عمله الدراسي ما يأتي: عشقت الكتاب والعلم منذ فتحت عيني وأنا أعيش في أحضان حوزة النجف الأشرف فدرست ودرّست وتعلمت وعلمت حتى درّست الكتاب

(١) يحسن بي أن أشير هنا إلى أن برنامج سباحة آية الله الشيخ هذا، هو برنامج يومه العلمي لسنة (١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م)، وعلى الرغم من أن سباحة لا زال حتى يوم الناس هذا يدّرس البحث الخارج، ويؤلف، إلا أن الفرق واضح بين زمنيه الماضي والحالي من حيث نشاطه العلمي والعمل، وقد أصبح في أواخر سنة (١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م) من أعيان أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف الذين ينتظرهم مستقبل واعد إن شاء الله. وقد افتتح سباحته مكتباً له في أحد فروع شارع الرسول في النجف الأشرف قرب باب القبلة لحضرة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بطلب من بعض كبار أساتذة الحوزة، وقد تشرفت بزيارته فيه قبل أسابيع، وكان المجلس عامراً بأهل العلم والفضل، علماً بأن بعض المؤمنين كانوا عنده يسألونه عن مسائلهم الشرعية فيجيبهم عنها.

الأصولي المعروف (كفاية الأصول) عشرين دورة تقريباً وقد ضبط على الكاسيت والسيدات ثلاث دورات منها أو أكثر. أنا الآن في سنة (١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م) أدّرس في حوزة النجف الأشرف كل يوم أربعة دروس صباحاً، وبعد الظهر أشرف على اجتماع علمي يضم بعض الفضلاء بهدف التدريب العملي على الأبحاث العلمية.

وقد جرت عادتي على الاستيقاظ مبكراً فترة الصباح وبعد أداء مراسيم العبادة أمارس من جديد تحضير الدروس التي أريد إلقاءها حيث إنني أمر بمراحل ثلاث في عملية التحضير للدرس.

المرحلة الأولى: أقوم بها في فترة التعطيل الصيفي، حيث أحاول تحضير جميع المادة التي أريد إلقاءها خلال السنة الدراسية القادمة ثم أقوم بضبطها في دفتر خاص، ذلك أن الوقت في يوم إلقاء المحاضرة لا تسع لتحضير أربعة دروس ذات مستوى عالٍ، إذ أن تحضير محاضرة واحدة قد يستدعي أحياناً يوماً كاملاً، بل أياماً. فكيف إذا كانت المحاضرات في كل يوم أربعاً.

وقد أحتاج أحياناً في البحث عن حديث واحد من حيث سنده ودلالته إلى ساعات. إضافة إلى أن المسألة ليست مسألة تجميع من هنا وهناك بل مسألة تفكير وتأمل بالموضوع بالكامل لمناقشة الآراء الأخرى في المسألة والتوصل إلى رأي فيها.

والمرحلة الثانية: أقوم فيها بالتحضير ليلاً، أي قبل يوم المحاضرة، والتحضير في كل ليلة يتم بمقدار المحاضرة التي يراد إلقاؤها في اليوم التالي، وقد يتم التوصل إلى أشياء مستجدة لم يتم التوصل إليها في المرحلة السابقة. وفي

صباح اليوم الجديد بعد أداء مراسيم العبادة أبدأ بالمرحلة الثالثة حيث استحضار كامل للمحاضرة من جديد وترتيب لمنهجيتها وكيفية إلقائها وسد ثغراتها.

وبعد انتهاء التحضير المذكور وتناول وجبة إفطار سريعة أذهب إلى مجلس الدرس الأول الذي يبدأ في الساعة السابعة صباحاً، والدرس الأول هو (خارج الفقه) ويستغرق عادة فترة أربعين دقيقة، ثم في الساعة الثامنة أشرع بتدريس (خارج الأصول) والمدة المتخللة بين الدرسين أتركها للإخوة الطلبة لطرح أسئلتهم وإشكالاتهم ونقاط الغموض بزيادة المحاضرة التي استمعوا إليها والجواب عنها، ثم في الساعة التاسعة أشرع بدرس (المكاسب). وفي الساعة العاشرة أشرع بدرس (كفاية الأصول)، وفي الأوقات المتخللة بين كل درس ودرس يطرح الإخوة الحضور أسئلتهم، كما كان شأن الذين سبقوهم من طلاب البحث الخارج، ثم بعد الانتهاء من الدرس الأخير أبقى لابثاً في قاعة المحاضرة لفترة نصف ساعة، وربما تزيد أحياناً، لاستقبال الإخوة سواء أكانوا من حضار الدرس أم من الناس الآخرين للجواب عن أسئلتهم أو حل بعض مشاكلهم.

وبعد الرجوع للبيت قبل الظهر أشرع مباشرة بكتابة شرح كتاب (كفاية الأصول) باسم (كفاية الأصول في أسلوبها الثاني) على غرار كتابي السابق (الحلقة الثالثة في أسلوبها الثاني) والدور الذي أقوم به هو كتابة كامل المحاضرة مع المنهجية التامة والتوضيح الكامل، وقد تستغرق كتابة ذلك أحياناً ثلاث ساعات أو أربعاً متواصلة أقطعها عادة بعد أن يحل وقت الظهر لأداء مراسيم العبادة حتى إذا انتهيت منها اشتغلت من جديد وبسرعة في مواصلة كتابة شرح الكفاية.

وقد جرت العادة عند تناولي وجبة طعام الظهر أن أقوم بسماع نشرة الأخبار

من خلال التلفزيون للاطلاع على الأخبار العالمية، وخاصة ما يجري منها على الساحة العراقية، ثم بعد انتهائي من وجبة طعام الظهر أو اصل الاستمرار في كتابة شرح (الكفاية) حتى حلول الساعة الرابعة من بعد الظهر حيث أذهب للإشراف على المحاضرة التي تختص ببعض الفضلاء وقيل الغروب بنصف ساعة تقريباً أرجع إلى البيت بسرعة لأواصل تحضير دروس اليوم التالي وأبقى مستمراً في تحضيرها بعد أداء مراسيم صلاتي المغرب والعشاء حتى الساعة الحادية عشرة تقريباً وفي أثناء ذلك أحاول سماع نشرة الأخبار الليلية من خلال التلفاز. وليس من عادي تناول وجبة عشاء، بل أتناول شيئاً يسيراً أمثالاً للأدب الشرعي.

وفي يوم الأربعاء الذي هو آخر الأيام الدراسية في الأسبوع أقوم قبل انتهاء الدرس الأخير بإلقاء محاضرة أخلاقية على الإخوة الحضور بهدف حراسة الجانب المعنوي والمحافظة عليه.

وفي يومي الخميس والجمعة استقبل صباحاً إلى الظهر الإخوة الطلبة وغيرهم للجواب عن أسئلتهم أو كل مشاكلهم وقضاء ما يمكن قضاؤه من حوائجهم. وعصر الخميس أقصد الذهاب إلى كربلاء للتشرف بزيارة الإمام الحسين وأخيه العباس عليه السلام وفي ليلة الخميس من كل أسبوع أقصد مرقد سيدي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للتشرف بزيارته.

والمدة المتبقية من يومي الخميس والجمعة لا أتركها تذهب سدى فليس لي وقت زائد حتى يمكن أن يذهب سدى بل أقوم بالإجابة عن الأسئلة التي توجه إلي أو بمطالعة بعض الكتب أو النشرات التي تهدي إلي، وأحاول أيضاً مواصلة كتاباتي حول المنهج الجديد البديل لمرحلة السطوح العليا بديلاً لكتاب (المكاسب)

فإني وفقت بحمد الله سبحانه لكتابة بعض الكتب لطلبة الحوزة العلمية وهي مورد استفادتهم.

والكتب التي تم إنجازها لحد الآن هي كما يلي:

- ❏ (الحلقة الثالثة في أسلوبها الثاني)، وهو يقع في أربعة أجزاء وهو شرح لكتاب الحلقة الثالثة من حلقات السيد الشهيد محمد باقر الصدر في علم الأصول.
- ❏ (دروس تمهيدية في القواعد الفقهية)، وهو جزءان، ويشتمل على أهم القواعد الفقهية التي يحتاج إليها طالب العلم خلال دراسته.
- ❏ (دروس تمهيدية في القواعد الرجالية)، وهو يشتمل على أهم الأبحاث الرجالية التي يحتاج إليها الطالب العلم خلال دراسته.
- ❏ (دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام)، وهو جزءان يشتمل على توضيح الآيات الكريمة المرتبطة بالأحكام الشرعية.
- ❏ (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي)، وهو ذو أجزاء ثلاثة ويصلح أن يكون بديلاً عن كتاب (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) وقد أخذ هذا الكتاب الأخير يشق طريقه في حوزة النجف الأشرف وحوزتي الأحساء والقطيف.

وأنا الآن مشغول بإنجاز كتابين أسأله تبارك وتعالى أن يوفقني لذلك وهما:

- ❏ (كفاية الأصول في أسلوبها الثاني)، وقد تم بحمد الله إنجازها وطبعه في خمسة أجزاء في سنة (١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م).

❏ ما يصلح أن يكون بديلاً عن مرحلة المكاسب، وقد تم إنجازه بالكامل حيث سأسرله إلى الطبع قريباً جداً.

وقد طبع من أبحاثي خارج الفقه بعض الإخوة الحضور من الفضلاء كتابين هما:

- ❏ (البشارة في شرح كتاب الإجارة)، وهو بحثي الخارج في كتاب الإجارة.
- ❏ (فقه البنوك)، وهو بحثي الخارج عن بعض أحكام البنوك.

والمحاضرات التي ألقيتها في الخارج أو في السطوح قد تم تسجيل أكثرها ويتداولها الإخوة من طلبة الحوزات العلمية.

وقد تم تسجيل آخر دورة من درس (كفاية الأصول) في النجف الأشرف بعد سقوط النظام السابق بعدد من المحاضرات بلغت (٤٢٥) محاضرة مسجلة على (CD). وأما (المكاسب) فيقرب من (٩٠٠) محاضرة (والرسائل) فيقرب من (٦٠٠) محاضرة وقد سجلت دروسي في تفسير آيات الأحكام، والقواعد الفقهية، والقواعد الرجالية، وفي شرح التجريد، وبداية الحكمة وغير ذلك.

كما سجلت لي محاضرات في (الشرائع) و(المكاسب) من قبل الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية في لندن. كما سجلت لي محاضرات كثيرة أخلاقية يرتبط بعضها بخطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وبعضها بالقرآن الكريم وبعضها الآخر بموضوعات عامة كنت قد ألقيت الكثير منها في شهر رمضان المبارك بعد أداء صلاة الظهر جماعة ويث الكثير منها من بعض الإذاعات في هذه الدولة أو تلك.

كما صدر لي أخيراً كتاب الحلقة الأولى في أسلوبها الثاني والحلقة الثانية في أسلوبها الثاني، وقد كتبه بعد طلب بعض الإخوة المشرفين على قسم من المدارس الحوزوية في مدينة قم المقدسة بأن أؤلف كتاباً في علم الأصول على غرار (دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي) حيث أن ما كتبه السيد الشهيد الصدر باسم الحلقات يصعب على المدرسين الإيرانيين تدريسه فذكرت لهم أنني لا أكتب شيئاً يغير ما كتبه ولكنني أدخل بعض التعديلات على ما كتبه فكان ما قمت به ما يلي:

« حذفت بعض الألفاظ الزائدة.

« أبدلت بعض الألفاظ الصعبة بما هو أيسر.

« أضفت بعض التوضيحات الطفيفة في بعض المواضع.

وقد دمج الكتابان في مجلد واحد باسم (دروس في علم الأصول الحلقة الأولى والثانية في ثوبها الثاني).





الفصل السابع

**قسم من إيجابيات النظام الدراسي
المتبع في حوزة النجف الأشرف**



للنظام الدراسي المتبع في الحوزة العلمية النجفية إيجابيات كثيرة، أوجز بعضاً منها سماحة المرجع السيد محمد سعيد الحكيم خلال إجابته عن سؤال وجهته إليه، فكتب لي معدداً من إيجابياتها ما يأتي:

١ لا تتقيد الحوزة بنظام حدّي في تحديد مراحل الدراسة، بل كل شخص يعمل بقناعاته وقابلياته في إطار الحوزة العام، بحرية تامة وبحسب القدرات المتاحة له، من دون أن يتقيد بجدول زمني خاص ولا بأستاذ خاص ولا بغير ذلك، حيث يتيّسر له بذلك استغلال قابلياته وملكاته على أتم وجه، كما يقتضيه الواجب الشرعي في تحقيق الحق للخروج عن عهدة التكاليف الإلهية المقدسة، وبراءة الذمة منها.

٢ عدم خضوع الحوزة للسلطة القاهرة التي تتحكم في قبول الأشخاص في الحوزة، وفي تشخيص من يبلغ المراحل المتعاقبة فيها من المرحلة الأولى حتى المرجعية العظمى، بل لكل أحد الدخول في الحوزة، والمعيّار في أهليته لها ومرحلته فيها دينياً وعلمياً على القناعات الفردية للناس، نتيجة الاحتكاك بالشخص وتقويم الأشخاص الموثوقين له، في علمه ودينه، وقابليته الشخصية في الظهور على الساحة وفرض نفسه على الناس، والتحكم في قناعتهم المبنية في الإطار العام على الواقعية والإخلاص، من دون نظام محدد لذلك.

٣ تستقل الحوزة مادياً عن الدولة وعن غيرها من ذوي النفوذ، بل تعتمد بوجه عام على الحقوق الشرعية التي يدفعها المؤمنون بوجه طوعي قياماً بالتكليف الشرعي من دون قيد ولا شرط ولا نظام يتيّسر التحكم فيه.

وقد كان لهذه الأمور بعد تسديد الله تعالى ورعاية صاحب الأمر عليه السلام أعظم الأثر في محافظة الحوزات على بهائها وقدسيتها، وعلى تكامل العلم وتطوره وعمقه فيها.

وكان فيها علماء بالمستويات العليا في العلم والتحقيق والعمق، وفي الإفادة والإنتاج، ولهم أعظم الأثر في رفع المستوى العلمي في الحوزات، والصعود به في طريق النضوج والتكامل.

كما كانوا على جانب عظيم من الدين والورع والتقوى والمثالية والنفع، وبهذا ملكوا قلوب المؤمنين، وصاروا موضع فخرهم واعتزازهم.

وبذلك كله قام للحوزات كيائها المستقل، وكان لها تحركها المؤثر، وصوتها المدوي، الذي قد يُنقّح وقد ينطلق، تبعاً لاختلاف الظروف والملابسات.

وكان من الصعب بل المتعذر على القوى الفاعلة في الساحة النفوذ فيها والسيطرة عليها لحرفها عن مسارها، وصرفها عن أهدافها، وما يستتبع ذلك من اكتفائها في طلب العلم الديني وتحديد الرتب بالسطحية والشكليات الرسمية من أجل المراتب الوهمية على حساب الحقيقة، ولو بالالتفاف على الأنظمة وتطويعها بوجه غير مشروع، كما تبثلي بذلك المؤسسات الرسمية عامة، خصوصاً في الفئات المغلوبة على أمرها. وقد امتازت الحوزات الشيعية بذلك عن المؤسسات الدينية لباقي المذاهب والأديان. كما يظهر ذلك بأدنى مقارنة وملاحظة^(١).

ونظراً لأهمية إيجابيات هذه الدراسة ومخرجاتها فقد وجدت من الحسن أن أتوسع في ذكرها، مستشهداً بما أقول بالأدلة والوقائع.

(١) المرجعية الدينية/ ٢. في حوار صريح مع المرجع السيد محمد سعيد الحكيم. عبد الهادي الحكيم: ٤٤.

وفيمّا يأتي قسم من إيجابيات هذه الدراسة ومخرجاتها بحسب قناعاتي:

أولاً: لعل في مقدمة إيجابيات منظومة العقل الشيعي المستقى من سنّة أهل البيت (عليه السلام) ومن منهج الحوزات العلمية في التفكير والممارسة، هو فتح باب الاجتهاد، الملازم لأبدية الشريعة الإسلامية؛ ذلك أن هذه الأبدية للشريعة الإسلامية وانسجامها مع الحياة العامة في كل عصر تستدعي ضرورة حركة فكرية اجتهادية ذات طابع إسلامي على طول الخط لكي تفتح الآفاق الذهنية وتحمل مشعل الكتاب والسنة في كل عصر ودور، ولولا هذه الحركة الفكرية الاجتهادية في الإسلام في غياب دور المعصومين (عليه السلام) وتطورها وتعمقها عصرًا بعد عصر بتطور الحياة واتساعها وتعمقها بمختلف جوانبها الاجتماعية والفردية والمادية والمعنوية ما تبلورت أصالة المسلمين في التفكير والتشريع المتميز الملائم مع الحياة في كل عصر والمستمد من الكتاب والسنة على طول التاريخ في عصر الغيبة، فلو لم تكن هذه الحركة الفكرية الاجتهادية مستمرة طول التاريخ وفي كل عصر لأنظفًا مشعل الكتاب والسنة في نهاية المطاف وظلت المشاكل الحياتية في المجتمع الإسلامي من الجانب الاجتماعي والفردية في كل عصر بدون حل صارم، ولهذا يتطور علم الفقه ويتسع ويتعمق تدريجيًا تبعًا لتطور الحياة العامة واتساعها دقة وعمقًا في جميع المجالات الحياتية على طول الخط ويؤكد في المسلمين أصالتهم الفكرية المتميزة في تمام جوانب الحياة وشخصيتهم التشريعية المستقلة.

وعلى هذا الأساس فلا بد في كل عصر من قيام جماعة لبذل أقصى الجهود للوصول إلى مرتبة الاجتهاد الكاملة وتحمل مصاعبها ومشاقها^(١).

(١) من دراسة للمرجع الشيخ الفياض عن أستاذه السيد الخوئي. مجلة النور: العدد ١٧٦. أيلول ٢٠٠٦م.

وقد تجلّى ذلك في الحوزة العلمية في جامعة النجف الأشرف بصورة خاصة، فقد فتحت باب الاجتهاد على مصراعيه فيما تبحث وتناقش وتعلّم وتتعلم، وتميزت بشدة تبحرها في هذا المجال، فقد تركت المجال للعقول تتصارع في سبيل البلوغ إلى الحق من طريق الجدل العلمي لتأخذ من ثمرات ذلك الصراع تجارب تنبض بالحركة والحياة.

والصراع العقلي متى كانت بواعثه بلوغ الحقيقة كان من أهم أدوات التطور والنمو في أي ميدان دخل فيه من ميادين العلوم أو الآداب، وهذا التطور الذي دخل على الفقه وأصوله في هذه الجامعة سواء في المناهج أم الأساليب كان من أقوى الثمرات لذلك، ولو قدر لنا أن نتابع دراسة الفقه في مختلف عصوره لانتبهنا -فيما أخال- إلى سلسلة من التجارب متلاحقة في بساطتها وعمقها تسلمك كل واحدة منها إلى لاحقتها لتدرسها دراسة فاحصة وتضيف عليها ما جدّ لديها من آراء وتجارب^(١).

ولو أردت أن استشهد بمثل على تغيير المباني في مدرسة النجف الأشرف العلمية نتيجة تفاعل وتلاقح الآراء جرّاء فتح باب الاجتهاد لقلت إن المدرسة النجفية كانت قبلاً تتبنى فكرة أصالة الماهية، وبعد ذلك تبنت فكرة أصالة الوجود، وكانت لا تميز بين الأمارات والأصول فأصبحت تفرق بينهما بعد ذلك، وكانت نظرية انسداد باب العلم تجد مجالها في البحث كمسألة ذات وقع، ثم انحسرت بعد ذلك حيث أصبح الباحثون جميعاً يؤمنون بانفتاح باب العلم، وكذلك تعرض المسألة الواحدة لعدة نتائج مختلفة في فترة زمنية قصيرة.

(١) من مقدمة كتاب النص والاجتهاد. سابق: ٥٥.

وما أيسر أن يجد الباحث في أصول الفقه رأياً للشيخ الأنصاري، وتعقيباً عليه للمحقق العراقي أو النائيني، وملاحظة على التعليق لباحث من المعاصرين، ورأياً في الملاحظة لآخر منهم.

وهذا الاحتكاك الذهني الذي يشبه التضارب الفكري بين الباحثين يؤدي إلى تعميق المباحث الفقهية والأصولية وتطوير المفاهيم العلمية وتجديد النظر في صياغة إطار البحث^(١).

ثانياً: إن الدافع إلى التعلم في الحوزة وصولاً إلى الاجتهاد هو نيل رضا الله ﷻ والخروج من عهدة التكليف الإلهي، فلا المال، ولا الشهرة، ولا الدرجة العلمية، ولا المركز الاجتماعي، ولا المنصب، ولا الجاه، ولا غير ذلك من أمور الدنيا الفانية هو هدف المعلم والمتعلم الصادق مع نفسه في الحوزة العلمية الدينية، وهو ما بدا واضحاً في حياة وسيرة العديد من أساتذة وطلاب الحوزة العلمية حيث عانى كبار الأساتذة والمراجع فيها ما عانوا من آلام ومحن وصعوبة عيش وجشِب، ومع ذلك كله فقد تحملوا المعاناة الشديدة برضا حتى لهانت عليهم شدتها المحبة لديهم، لهوان الدنيا نفسها عليهم، ولا يتصور القارئ أن حالة الزهد والورع والفقر المحبة إلى نفوس هؤلاء حالة فردية تخص حياة هذا المراجع أو ذاك، إنما هي ديدن أولئك المتقين، ودأب هؤلاء المتعلمين، ومنهج سلوكهم العملي اليومي.

وشواهد على ذلك كثيرة لا يسع المجال لاستقصائها؛ لذا فسأقتصر على ذكر بعض منها، من غير الذي اشتهر بين الخاصة والعامة، مثل زهد المراجع الأعلى

(١) الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. الشيخ محمد مهدي الآصفي: ٢٦.

في زمانه الشيخ أحمد الأردبيلي المعروف بـ (المقدس الأردبيلي) (ت ٩٩٣ هـ / ١٥٨٥ م) ذاك الذي عرض عليه أحد الزوار الغرباء للعبة العلوية الشريفة ملابسه المتسخة ليغسلها مقابل مبلغ من المال على أن يأتيه بها غداً ظناً منه أنه عامل فقير، فوافق المرجع الأعلى على العرض وأخذها من المؤمن الزائر، وغسلها في داره بيديه الكريمتين، ثم عاد بها نظيفة وفق الموعد المحدد.

وإذ رفض المرجع الأعلى أن يتسلم أجره غسل الثياب صادف مرور أحد أبناء مدينة النجف الأشرف، ليخبر الزائر الكريم بأن الذي غسل ثيابه هو المرجع الأعلى المقدس الأردبيلي وليس عامل أجره، فوقع الزائر على رجلي المرجع الأعلى يقبلهما، معتذراً منه كونه لم يعرفه، متصوراً إياه بسبب زهده الظاهر، وتواضعه الجسم، وملابسه الرثة، عامل أجره بسيط فرد عليه المرجع الأعلى بقوله: لا بأس عليك إن حقوق إخواننا المؤمنين أعظم من هذا^(١).

ومثله ما ورد في ترجمة المقدس الفقيه الشيخ مهدي ابن الشيخ محمد حسين الملاً كتاب، مضرب المثل في العلم والزهد معاً. أما في العلم، فهو شارح كتاب (اللمعة الدمشقية) شرحاً موسعاً دقيقاً انتهى منه سنة (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م)، ويكفيه الشيخ ملاً كتاب أن الشيخ صاحب الجواهر كان يعرض عليه كتابة كتابه (جواهر الكلام). وأما في الزهد، فقد كان يبيت وعياله أكثر لياليه طاوياً لضيق حاله وقلة ما في يده، ومع ذلك فهو لا يقبل الهدايا من أحد تبرّماً وتورعاً^(٢).

ومثلهما ما ذكره المؤرخون^(٣) في ترجمة المجتهد الشيخ راضي نصار العبسي

(١) ينظر: روضات الجنات ٢٢.

(٢) ينظر ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٣ / ٢٣٠.

(٣) ينظر: معارف الرجال: ٣ / ٢٤٥.

(ت ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) يوم دخل عليه داره المرجع الأعلى في عصره السيد محمد مهدي بحر العلوم في ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك فوجده يفطر على خبز وكُرّاث، فخرج المرجع مسرعاً وجمع مقداراً من المال وجاء به إليه فتأذى الشيخ العبيسي من ذلك، وقال له: إني لم أكل ذلك من حاجة، ثم قلب حصيرة بقربه فأراه ما تحتها من المال الكثير، وقال: إنما فعلت ذلك زهداً، ولكي أرغم نفسي عن شهواتها^(١).

وشبيه بما تقدم ما دوّنه عبد العلي خان (أديب الملك) عن زيارته سنة (١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م) للمرجع الأعلى في وقته ورأس المدرسة الأصولية الحديثة الشيخ مرتضى الأنصاري^(٢) (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م) قائلاً: لما حلّت الليلة الموعودة تحركت ومعني أصدقائي المقربين، وهم طرفة خازن الأشعار، والسيد نصر الله، ولّمّا وصلنا وجدنا أن الدار تقع في زقاق ضيق ومظلم، فوضعنا المصباح الزيتي (الфанوس) في الغرفة، وعندما جلسنا شاهدنا أن الغرفة مفروشة بالحصير^(٣).

بل روى أحد معاصري المرجع الأعلى قائلاً^(٤): إني عاصرت الشيخ المرتضى

(١) ينظر: معارف الرجال: ١/ ٣١٥.

(٢) تنظر: لمحات من حياة الشيخ الأنصاري. الشيخ محمود سبط الشيخ. مجلة الفكر الإسلامي. العدد السابع السنة الثانية. عدد خاص بالشيخ الأنصاري. رمضان ١٤١٥ هجرية ص: ١٦-١٨. ونظر أيضاً: الخصائص العلمية والأخلاقية للشيخ الأعظم الأنصاري. السيد محمد علي الموسوي الجزائري. تعريب عباس الأسدي. المجلة نفسها والعدد نفسه. ص: ١٤٦-١٤٨ وغير هذين كثير.

(٣) دليل الزائرين. ضمن كتاب العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. ترجمة وتعليق. محمد الشيخ هادي الأسدي: ٥٨.

(٤) معارف الرجال. سابق: ٢/ ١١٢.

الأنصاري عشرين سنة في كربلاء، ولم يكن للشيخ الأنصاري مما يملك من الأثاث إلا عمامة يفرشها ليلاً فراشاً له في الصيف، ويعتم بها إذا خرج لحوائجه.

يقول المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(١): حدثنا الأستاذ الميرزا حسين الخليلي عن التركة المنقولة للمرجع الأعلى الشيخ الأنصاري بعد وفاته من أنها بيعت في الصحن بسبعين قراناً ناصرية، وفي بعض تعداد تركته المبيعة في وصيته قال: القدر وقف والرقعة لنا، وحدث الأستاذ الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي تلميذه أنها خمسة وسبعون (قراناً)، وآخر أنها خمسة وعشرون، والصواب الأول؛ لعثورنا على القائمة^(٢).

لقد توفي الشيخ الأنصاري فقيراً بحيث تكفل بنفقة عياله، ومصرف فاتحته ستة أيام رجل نجفي من أهل المجد والشرف والدين^(٣).

أقول سأتجاوز ذلك كله، وسأتجاوز أيضاً ما بعده من مثل زهد المرجع الشيخ محمد حسن المامقاني (ت ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م) ذاك الذي قال عنه ابنه الفقيه المؤرخ الشيخ عبد الله المامقاني: إنه كان في زمان فاقتة يلبس الخام الأزرق، لبس الفقراء، فلما أصبح مرجعاً وسالت الأموال بين يديه لم يتغير لباسه، ولا لباسنا، ولا مأكله، ولا مأكلتنا، حتى كان مأكلتنا، وملبستنا، وأثاث بيتنا، مما يضرب به

(١) المصدر السابق نفسه: ٤٠٢-٤٠٣ (بتصرف).

(٢) الروايات والأمثلة عن زهد الشيخ مرتضى الأنصاري معروفة مشهورة. لمزيد من الاطلاع ننظر: لمحات من حياة الشيخ الأنصاري. الشيخ محمود سبط الشيخ. مجلة الفكر الإسلامي. العدد ٧. السنة الثانية. ١٤١٥ هـ: ص ٥ وما بعدها.

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٢/ ٤٠٢.

المثل، لبساطته، وقدمه، وتواضعه، وأنه انتقل إلى جوار ربه وليس له بيت يسكنه، ولا عقار، بل كان يؤجر لسكنائه رغم تلقيه عروضاً من عديدين ملتزمين موافقته على شراء دار له فيرفض عرضهم بإصرار^(١).

ولا أذكر زهد المرجع المجاهد الشيخ محمد كاظم الآخوند الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م) ذاك الذي نقل عنه قوله: إن أدام طعمي مدة ثلاثين يوماً هو عبارة عن حرارة الخبز الذي أتناوله^(٢).

كما سأجنب وصف فقر وزهد وتقشف كبار العلماء المجتهدين والمراجع الذين لم يعد لهم مقلدون أحياء في زماننا من أمثال ما رواه أحد زملاء السيد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) زمن دراسته قبل أن يتقلد زمام المرجعية العليا في عصره من أنه في مرة من المرات لم يكن لديه إيجار البيت فألقى صاحب الدار به وبيعاليه وأثاثه خارجاً، فبات مع عائلته أياماً وأسابيع بلياليها في غرفة من غرف مسجد الكوفة حيث لم يكن يملك بيتاً فحسب، بل ولا يملك إيجار البيت.

ويضيف زميله في دراسته: وحدثني بعض الأصدقاء بأنه كان يتحدث مع بعض الطلاب وإذا به يغشى عليه في أثناء الكلام فلما أفاق قال: إنه لم يأكل من ثلاثة أيام^(٣).

(١) ينظر: مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني: ٦٣ - ٦٤.

(٢) النجف الأشرف مهد الفضيلة والعلم. سابق: ٧٣.

(٣) النجف الأشرف مهد الفضيلة والعلم. سابق: ٧٣. والزعيم الموهوب آية الله الأعظم والإمام الأكبر السيد أبو الحسن الأصفهاني. د. موسى الموسوي. نقلاً عن كتاب (السيد أبو الحسن الأصفهاني سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه). د. كامل سلمان الجبوري: ٣ / ٤٩٠.

ويورد حفيده د. موسى الموسوي^(١) في ترجمته لجده، وهو يتحدث عن زمن حصار الإنجليز للنجف الأشرف سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م) بعد غزوهم العراق وثورة النجف الأشرف ضدهم ما نصه: في هذه الأيام السود دخل عليه زميل من زملائه يشكو إليه جور الزمان عليه، ويقول له بأنه لم يحصل على الماء والخبز منذ يومين، وعائلته تجود بنفسها من الظمأ والجوع، فأخذت الدموع تسيل من عين السيد، وهو يوصي زميله بالصبر، ويقول له: هوّن عليك، فرسول الله ﷺ بات جائعاً عطشاً، ولنا في رسول الله أسوة حسنة.

ودخل السيد الدار، فلم يجد في البيت غير قطعتين من الحصر لا تساوي شيئاً، فإنه قد باع كل ما كان يوجد في الدار من أثاث له ثمن في الأيام العصيبة، ينفق قسماً منه على نفسه وعائلته، والنصف الباقي على زملائه الذين كانوا يشاركونه في نفس المحنة، غير أن نفسيته الكريمة تأبى عليه كل الإباء أن يخرج إلى صديقه صفر اليدين، فجعل يجول ببصره في جوانب الدار لعله يجد شيئاً يرجع به إلى زميله، فلفت نظره قرطان ذهبيان في أذني ابنته الصغيرة، فسرعان ما ذهب إليها وهو يقول لها: أقرضيني هذين القرطين، فأنا بحاجة إليهما، حتى إذا أمكنني الله عوضتهما بخير منهما.

وترددت الفتاة قليلاً، إلا أنها استجابت بعد ذلك لأمر أبيها.

ورجع السيد إلى زميله، وهو يقول له ضاحكاً: الحمد لله الذي هدانا إلى هذين القرطين، خذهما، وبعهما، واستعن بهما على حاجتك، فهما آخر شيء

(١) الزعيم الموهوب آية الله الأعظم والإمام الأكبر السيد أبو الحسن الأصفهاني. د. موسى الموسوي. نقلاً عن كتاب: السيد أبو الحسن الأصفهاني سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه. د. كامل سلمان الجبوري:

يوجد في دارنا له ثمن. وقبل أن يرحل الرجل همس السيد في أذنه:
لا تحزن، واستقم كما أمرت، واعلم أي وعائلتي منذ ثلاثة أيام نعيش مثلك،
لا خبز، ولا ماء.

وأن إمام الثورة الميرزا محمد تقي الشيرازي (١٣٣٨هـ / ١٩٢٠م) -المرجع الأعلى في وقته- حينما عرف حاجته وعوزة بعث له بمبلغ خمسمائة ليرة ذهبية ليشتري بها داراً له وذلك في أيام حاجته وضنكه، فلم يمد يده إلى المبلغ، بل أودعه لدى بعض الخبازين، وإذ انتهت إليه المرجعية بدأ يحوله خبزاً للطلاب والفقراء المعوزين^(١).

لقد توفي المرجع الأعلى في وقته السيد أبو الحسن الأصفهاني (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) الذي تجاوزت ميزانيته السنوية ملايين الدنانير -يوم كان الدينار قوياً- وفي ذمة السيد من الديون ما يقارب مائة ألف دينار^(٢).

أقول: سأجاوز ذكر ذلك كله، ما كان منه ماضياً بعيداً أو ماضياً متوسطاً، لأتناول نبذة من سير حياة بعض المراجع الذين لا زال مقلدوهم أحياء يرزقون، ثم أستعرض سيرة المرجع الأعلى الحالي، عسى أن يقرأ بعض مقلدي أولئك وهؤلاء كتابي هذا، فذلك أدعى للتأثير- كما أظن - وأبلغ، فقد نقل سماحة المجتهد السيد ميرزا حسن البجنوردي^(٣) عن المقدس السيد يوسف الحكيم النجل الأكبر للمرجع الأعلى في عصره سماحة الإمام السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) من أنه كان يقول: كنّا نطبخ الباقلاء، نأكلها ظهراً للغداء، ونتعشى بها في الليل.

(١) هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي: ١/ ١١٤ - ١١٥.

(٢) السيد أبو الحسن الأصفهاني. د. كامل سلمان الجبوري. الملاحق: ٣/ ٦٠٠.

(٣) النجف الأشرف مهد الفضيلة والعلم. سابق: ٧٣.

ولقد تحدث الإمام الحكيم عن فقره هذا لخاصته وذويه للموعظة، حيث كان يصف حاله وحال أهل بيته، بأنه في بداية حياته كان أكثر طعامهم الخبز واللبن، وهما أكثر الأشياء توافراً وأرخصها ثمناً حينذاك^(١).

ويضيف نجله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم قائلاً^(٢): لقد استمر على هذا الحال من الزهد والتقشف إلى آخر عمره، سواء في سلوكه الشخصي في المأكل، والمسكن، والمركب، أم في سلوكه العائلي، أم في سلوكه الاجتماعي، فقد كان الفراش يمتد به العمر لأكثر من ثلاثين إلى خمسين عاماً، ويكتفي به هو وزوجته أن يكون نظيفاً طاهراً، وقد كان في الملابس سواء في شكلها، أم محتواها، وأسلوب تقمصها، ملتزماً نفس المستوى والطريقة التي كان عليها في شبابه دون تغيير.

وفي ديوان الاستقبال كان يجلس للناس متواضعاً على البسط الخفيفة الأفغانية البسيطة تلك التي يجلس عليها فقراء الطلبة الأفغان في بلدهم وحيث ما حلوا وارتحلوا، مداوماً على الفراش الرخيص، وفي الغرفة الضيقة الجدران العادية ومن دون طلاء أو زينة والأبواب متواضعة جداً وفي طريقة استقبال الناس ولقائهم والحديث اليهم ومجالستهم (...) كل ذلك والأموال تجري بين يديه والظروف مواتية، والمقام رفيع، والإنفاق على الآخرين واسع، وفرص الانتفاع أو الاستمتاع متوافرة دون حرج، بل كان بعض حاشيته أو متعلقيه أو الطلبة الأفاضل أو مؤسساته العامة تحصل على مستوى أكثر بكثير من هذا المستوى في العيش.

أما بشأن حرص سماحته بعد وفاته على حسن التصرف بالأموال العامة التي بقيت بعهدته حين وفاته، فتبدو واضحة من وصيته حيث أوصى أن يتولى

(١) موسوعة الحوزة العلمية والمرجعية. الشهيد السيد محمد باقر الحكيم: ٥١/٣.

(٢) المصدر السابق: ٥٦.٥٥/٣.

صرفها ولده الأكبر المجتهد المقدس السيد يوسف الذي حاول جاهداً الاعتذار عن قبول وصية والده بتولي أمرها تخرجاً واحتياطاً.

وإذ رفض والده اعتذار ولده السيد يوسف عن قبول وصيته قرر الوصي بعد وفاة والده المرجع الأعلى أن يحتاط في صرفها ما أمكنه الاحتياط لذلك حتى نفدت.

يقول المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم واصفاً تفاصيل ما جرى بقوله^(١): لا زلت أتذكر تلك الليلة الليلية من ليالي مرض السيد الجد السيد محسن الحكيم الذي قضى عليه، فقد بلغنا عبر الهاتف في النجف الأشرف - في أوائل شهر صفر قبل وفاته بشهرين تقريباً - أن سماحته قد تردّت صحته في المستشفى، حيث عرضت له نوبة قلبية حادة، وكان بسببها معرضاً لقرب الرحيل المحتوم، وهرع إلى بغداد أكثر القريين، ولم يبق في النجف إلا المرحوم ولده الأكبر الخال السيد يوسف الحكيم وبعض شيوخ العائلة، وبقيت معهم، ورجعنا بعد صلاة المغرب للمجلس العام في دار السيد الجد ونحن في أشد الوجوم والقلق، لأننا نتوقع الخبر الصاعق في كل لحظة.

ويستمر السيد المرجع واصفاً ما جرى بعد ذلك بقوله: وبعد أن انتهى المجلس وخرج الناس خرجت مع المرحوم الخال مصاحباً له في طريقه إلى بيته، وفي الطريق جرى الحديث بيننا، وإذا به في مشكلة أهم مما يتوقعه من فقد السيد، حيث قال ما مضمونه: الموت أمر لا بد منه، إلا أن مشكلتي أن السيد قد أوصى إليّ بما يتركه من أموال عامة لأشرف على صرفها، ويصعب عليّ تحمل الأمانة لبعض الملاحظات.

(١) المرجعية الدينية وقضايا أخرى: الحلقة الأولى والثانية: سابق: ٧٣-٧٤.

وحاولت التخفيف عنه فلم أفلح، حتى إذا وصلنا إلى بيته طلب إليّ أن أدخل معه لإكمال الحديث فدخلت، وطال الحديث بيننا حتى قلت له: هذه الأموال لا بدّ أن تصرف، وأنا أتعهد بأنك ستحصل إجازة بتولي صرفها من كل من يُحتمل توقف صرفها شرعاً على إجازته من المراجع والمجتهدين الذين كانوا كثيرين في النجف، وأصرّ على الامتناع، وطلب إليّ بإلحاح أن أسافر في اليوم الثاني إلى بغداد لأبلغ السيد بامتناعه من قبول الوصية بهذا الوجه. وكان الطلب محرّجاً لي، حيث يصعب عليّ مواجهة السيد الجد بذلك، وهو في ذلك الوضع الصحي المتردي، مع محاذير أخرى كنت أخشى منها.

لكنني استسلمت على مضض مراعاة لوضعه المأساوي واستجابة لإصراره، غير أن الله تعالى كفاني ذلك، وفعلاً بُلِّغَ المرحوم السيد الجد بذلك، لكنه أصر على إلزامه به، لما يعرفه من أهليته وتورعه، فاستسلم له، وقام بذلك بعد أن احتاط بما أمكنه من وجوه الاحتياط.

هذا وقد قرر نجل المرجع الأعلى بعد التشاور مع المعنيين الاستمرار في صرفها على المستحقين حتى نفدت^(١).

وما لنا نذهب بعيداً فهذا المرجع الأعلى للطائفة اليوم ساحة السيد علي الحسيني السيستاني على ذبوع صيته في العراق والمنطقة والعالم كله، شرقة وغربه،

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف. سابق. هذا وقد تضمنت الطبعة الأولى من كتابي هذا نقلاً عن كتاب (أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف: ٣٠٧ وما بعدها) خبراً حدد ما وجد من الأموال العامة المودعة في خزانة الإمام السيد محسن الحكيم بعد وفاته، وقد حذفته من هذه الطبعة بعد أن تبين لي بحسب نقل الخبر الثقة المطلع عدم دقته، كما نقلت عنه النص التالي: قام السيد يوسف بدوره بتسليمها [الأموال] إلى الإمام الخوئي، فقبلها وجعلها تحت تصرفه (الفكر الإمامي: ٣٠٧)، وقد حذفته أيضاً لنفي الثقة بالخبر المطلع وقوعه.

لا زال كما عارفه من قبل هو هو في مأكله البسيط، ومسكنه المتهالك، وملبسه البسيط الواضح القصر، وأثاثه المتواضع، زاهداً في الدنيا وزخارفها، زهداً يستطيع ملاحظته بوضوح زائره المستطرق، فضلاً عن المطلع على دواخله الخاصة، فهو مثلاً حتى يوم الناس هذا لا يملك بيتاً لسكناء، حيث لا زال يسكن في الدار نفسها التي عاش فيها طالباً ومدرساً في الحوزة العلمية، بمساحة لا تتجاوز سبعين متراً مربعاً، وهي مستأجرة لا يملكها سماحته، وإنما يدفع أجرتها الشهرية حتى اليوم بمبلغ متواضع^(١).

بل ولا يملك ولداه أستاذاً بحثي الخارج سماحة السيد محمد رضا، وسماحة السيد محمد باقر بيتاً لسكنائهما أيضاً، وهو ما حدثني به سماحته ضمن أمور أخرى في معرض انتقاده لبعض المتقاتلين على الدنيا الدنية من طلاب السلطة الزائلة، والوجاهة الزائفة، وذلك خلال تشرفي بزيارته ولقائه قبل مدة، وكان قد تبرع أحد المؤمنين بقيمة شراء بيت لولده المجتهد السيد محمد رضا من المال الخاص لذلك المؤمن، فأبى ابن المرجع الزاهد إلا أن يقتدي بزهد أبيه، فرفض العرض رفضاً باتاً.

ودأب متى ما تشرف بزيارته يوماً من له أثارة من علم، أو ملحظ من دين، أو ورع وتقوى، وقد لاحظت ذلك بنفسني مراراً قربته إليه حتى ليزاحمه في مجلسه، ولا تشغله كثرة الشؤون عن الاستفسار عن صحة كل قادم، وقد اعتاد منذ أن نشأ أن لا يعبأ بملبس ولا بمأكل، ولا ينظر إلى دار أو عقار، ولا يتمتع بقضاء أوقات غير نافعة مع الأصدقاء والخلصاء، ولم تستهوه مجالس الترويح عن

(١) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف. سابق: ٣٥٠.

النفس بالأحاديث والنوادر، فقد اختص بأفراد قلائل من العلماء يستمع إليهم ويسمعون منه، لم يحضر مجلساً علمياً إلا للمذاكرة، ولم يعتد المجاملات التي تستوعب بعض الوقت، وكان كل كده وجهده وكدحه لعلم أهل البيت، مع وقار ظاهر واتزان معروف ونظرة صائبة.

عاش فقيراً، وما زال، والملايين بين يديه خصصها لسد احتياجات الفقراء، وإعلاء شأن الدين، ورعاية الحوزات العلمية، ومعالجة المرضى، وإحياء المشاريع النافعة، والإصلاح بين المتخاصمين، كما عاش منعزلاً، لا يعرفه إلا طلابه، وعلية القوم، فهو معهم وخارج عنهم في آن، لا يتصل إلا لهماً، ولا يتعاش مع الآخرين إلا لواداً، فالعلم فوق كل شيء، وهو أكبر من كل شيء، ويضحي من أجله بكل شيء، حتى عدّ من الزاهدين في الحياة، والمتفرغين للعلم والعمل الصالح، بعيداً عن كل المعوقات التي تشغله عن الاشتغال والتحصيل ومتابعة المعارف.

فيه بساطة الأتقياء، وعليه سيماء الصالحين، ولديه فكر المتيقظ الحذر، وعنده الخبرة الكافية بمعاصريه، كما هي في الرجال^(١) وغيرهم.

وقد حدّث السيد جلال الطالباني رئيس الجمهورية العراقية يومها بانبهار - وقد عاد لتوّه من زيارة سماحته في النجف الأشرف - كيف أنه سرد له تفاصيل طويلة عن آباء الرئيس وأجداده، وأهل مدينته، متحدثاً بإلمام عن مدى اهتمامهم بالعلم والفضيلة في كردستان العراق، ما يشير إلى سعة اطلاعه على أحوالهم، ومبالغ مستوياتهم العلمية، وإلمامه بخصوصيات طرائقهم وشؤونهم.

(١) المصدر السابق: ٣٤٨.

وهناك الكثير الكثير مما أعرفه عن زهد سيدنا المرجع الأعلى ولا أقوله، خشية أن لا يرضى من نشر ما أعرفه عنه على الملأ، وهي طريقة درج على اتباعها الصابرون الزاهدون المتقون في كتمان أمورهم إلا عن خالقهم^(١) فناءً في حبه، وتعلقاً به دون غيره من مخلوقاته، فهو جلّ وعلا يعلم السر وأخفى، تقبل الله أعمالهم جميعاً، ووقفنا للاقتداء بهم، والاستنان بسنتهم، إنه أرحم الراحمين.

ثالثاً: قناعة طلاب الحوزة بما قسم الله، لما كان وضع مراجع التقليد في الزهد والورع كما عرضته في الفقرة السابقة، فإن وضع طلاب الحوزة الورعين المجدين الحريصين على نيل رضا الله جلّ وعلا ليس بأحسن من وضع مراجعهم وأساتذتهم وكبار الفضلاء سابقاً ولاحقاً، فمن ذلك مثلاً الوضع المعاشي ما نقل عن فترة دراسة الشيخ محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م) -صاحب العديد من المؤلفات والكتب والرسائل، وفي مقدمتها كتابه المعروف في علم الأخلاق (جامع السعادات) بأجزائه الثلاثة- من أنه كان في أيام التحصيل كما يصفه المجتهد الشيخ محمد رضا المظفر^(٢) في غاية الفقر -والفقر دائماً شيمة العلماء، بل هو من أول شروط النبوغ في العلم، وهو الذي يصقل النفس فيظهر جوهرها الحقيقي- فكان صاحبنا قد تشدد به الفاقة فيعجز عن تدبير ثمن السراج الذي لا يتجاوز في عصره أن يكون من زيت أو شمع، فيدعوه حرصه

(١) حدّث المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم أنه كان بعض العاملين في مرجعية سيدنا الجد السيد محسن الحكيم يحدّث بتثبيت بعض الخدمات والتنويه عنها من أجل بيان أهمية المرجعية وفعاليتها، ولم نفتتح في حينه بذلك، تحفظاً على خلوص العمل، وصفاء النية، والتنزه عن الشوائب. تنظر: المرجعية الدينية. الحلقة الثانية. حوار صريح مع ساحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم. إعداد وتقديم: عبد الهادي الحكيم. ط ٣. مؤسسة المرشد. بيروت. لبنان. ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) مقدمة كتاب جامع السعادات للشيخ محمد مهدي النراقي: ١٣/١ وما بعدها.

على العلم إلى الدخول في بيوت مراحيض المدرسة، ليطالع على سراجها، ولكنه تأبى عزته أن يدع غيره يشعر بما هو فيه، فيوهم الداخلين -بالتنحج- إنه جالس للحاجة الخاصة، وتتجلى في هذه الحادثة الصغيرة عزة نفسه وقوة إرادته وصبره على العلم بدرجة غير اعتيادية.

ويبدو أن الاستضاءة بأسرجة وشموع المرافق العامة من قبل طلبة الحوزة العلمية المستغلين نتيجة للفقر المدقع لم تكن حالة فردية لطالب مجدّ من طلاب الحوزة هنا أو هناك، بل ربما كانت حالة غير قليلة الحدوث فمن ذلك ما ورد في ترجمة الشيخ مهدي بن أبي ذر النراقي (ت ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م) من أنه كان في أيام التحصيل في غاية الفقر والفاقة حتى إنه كان في بعض الأوقات لا قدرة له على الضياء فيستضيء للمطالعة بسراج بيت الخلاء^(١)، ومن ذلك أيضاً ما وثّقه المرجع الشيخ عباس آل كاشف الغطاء^(٢) عن الوضع المعاشي الصعب لجده الكبير المرجع الأعلى لاحقاً الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م)، عندما كان طالباً، فقد وصل به الفقر في بدء أمره إلى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، حتى أنه كان يتربص الفرص في المال الذي أعرض صاحبه عنه من الطعام وغيره فيجتري بأقل قليل منه في معاشه، وهو مكبٌّ على التحصيل إلى أن وصل أمره إلى جلوسه ليلاً بين مواضع النجو (المراحيض) المعدة لساكن الصحن الشريف كي يستضيء بسراجها الموقوف لها في المطالعة من حيث عجزه عن الضياء، وهو مع هذه الحاجة شكا إليه بعض إخوانه العزوبة لعدم تمكنه من التزويج فأجر نفسه نيابة عن ميت مقداراً من السنين صوماً وصلاة، ودفع مال الإجارة إلى أخيه المؤمن فتزوج بها.

(١) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ١٢/١٥.

(٢) نبذة الغري. الشيخ عباس آل كاشف الغطاء: ٤٤-٤٥.

ومنه كذلك ما كان عليه حال كل من: الشيخ عبد الحسين الطهراني (ت ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م) والشيخ علي الكني (ت ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨ م) والشيخ ملاً علي الخليلي (ت ١٢٩٧ هـ / ١٨٧٩ م) الذين كانوا يطلبون العلم في النجف ثلاثتهم في مكان واحد، وكانوا من الفقر والحاجة في ضرّ عظيم، فاشتبهوا يوماً أن يصنعوا طبخاً، فاشتروا أرزاً وطبخوه حتى إذا نضج ببعض أسقاط البيت عجزوا عن شراء الدهن للأدام فذهب أحدهم واقترض من شحم ودك السراج فأكل بعضهم وامتنع الآخر، وصاحبتم الحاجة سنين قانعين بها ثم تفرّقوا، وآخر أمرهم وصبرهم على طلب العلم صار كل منهم مرجعاً لقطره^(١).

وينقل المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه أن بعض اللبنانيين قال له متحدثاً عن فقره أثناء إقامته في النجف: إنه من شدة جوعه وشطف عيشه تقاسم مع أخيه قشر برتقالة وجداها على قارعة الطريق^(٢).

لقد كتب سماحة الشيخ محمد مهدي شمس الدين (ت ١٤١٢ / ١٩٩١ م) عن بداية حياته الدراسية في النجف الأشرف قائلاً: كنت إذ ذاك في بداية الشباب، وفي ذروة الحياة الدراسية في النجف الأشرف وحلقاتها العلميّة، حيث الفقر حينذاك والحاجة إلى حدّ الجوع، وطّي الليالي والأيام بلا طعام.

وحين يتيسّر الطعام فهو غالباً طعام بسيط، فقد كان الشبع من الطعام الجيّد ترفاً نادراً، وحيث البحث في ليالي الجوع الظلماء عن نفايات الخبز في شرفات غرفة الطلبة في المدرسة، وهي نفايات قليلة فأغلبهم أيضاً فقراء، وإن لم يبلغوا في فقرهم حدّ الجوع، وقلّما كانت تُتاح الفرصة للحصول عليها، لغلبة الحياء،

(١) معارف الرجال. سابق: ١١٢ / ٢

(٢) حجر وطن. سابق: ٢٤٧ / ٤

وخوف انكشاف الحال، فتغسل مما علق بها من تراب وتنقع في الماء ليلتين، وحيث النوم بلا وطاء أو بلا غطاء، وحيث الثياب الممزقة المرقعة، ولبس ثياب الصيف في الصيف والشتاء في بعض السنين، ولبس ثياب الشتاء في الشتاء والصيف في سنين أخرى، وحيث الحفاء في شكل الاحتذاء، أو الاحتذاء الشبيه بالاحتذاء، والحمد لله على نعمته لقد كانت أياماً مباركة، رزقنا الله فيها الصبر، وكانت قسوتها تربية وترويضاً وإعداداً لما أراده الله اللطيف بعباده لقد كانت حياة قاسية، وكان الملاذ من كل ذلك إلى الدرس والقراءة وزيارة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومسجده.

ومن الجدير بالذكر أن بعض المراجع كالإمام الحكيم كان يرى رجحان تمرين الطلاب المتدينين المخلصين الصادقين في توجيههم لله سبحانه وتدريبهم على الحشونة في العيش من المأكّل والملبس، ليتعلموا على الصبر عند القيام بواجباتهم الدينية في القرى والأرياف التي لا تتوافر فيها أسباب الراحة^(١)

رابعاً: إن النظام الحوزوي نظام تطوعي، فالمرجع الديني حين يتحمل مسؤوليات الإفتاء إضافة إلى أعباء الحوزة ومسؤوليات الأمة، والمدرس حين يجهد نفسه في التعليم وتوصيل المعلومات بشغف وتعب محب منذ الصباح الباكر وحتى المساء تطوعاً، والطالب حين يبذل قصارى جهده في التعلم والبحث والمتابعة واستفراغ الوسع في المعرفة شاداً الرحال غالباً من مسقط رأسه إلى حيث النجف الأشرف، متحملاً أعباء الغربة ومشاق الضنك الاقتصادي، والمبلغ حين يعاني ما يعاني من أجل إيصال رسالته إلى الناس متنقلاً بين الدول والمدن والأقضية

(١) المصدر السابق: ٢٢٣/٤.

والنواحي والقصبات دائراً بعلمه وهمّ إيصاله إلى الناس متحملاً عن طيبة قلب كل ما يعترضه من جهود وآلام.

ولقد كنت أرى شدة حراجه الأستاذ الواقعي في رفض أي طلب يأتيه من أي طالب علم يريد أن يدرس عنده ولو كان المستوى العلمي للبحث الذي يتبعه الطالب دون مستوى ما اعتاد الأستاذ على تدريسه بمراحل، مادام الأستاذ يملك فضلة وقت يمكن أن يفرغ نفسه فيها لتلبية رغبة الطالب.

وإذا كان لي أن أستشهد بمثل على ذلك فسأستشهد بما ورد في ترجمة الشيخ محمود سماكة (ت ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م) الذي وصف بأنه: فقيه وفقاهته مبتنية على ضبط مقدماتها، وكذا أصوله^(١)، كان لا يتخرج أن يدرس كلّما طلب منه تدريسه من (مقدمات) وغيرها^(٢). ومعروف أن (المقدمات) هي الدروس الأولى التي يشرع المبتدئ بدراستها أول أمره بالدراسة الحوزوية.

ولا أقصد بشدة حرج الأستاذ المتقي وقلق ضميره وتقلبه لساعاته وأوقاته غير الحرج الشرعي والأخلاقي، فهو يخشى إن تقاعس أو تكاسل في إجابة الطلب بالإيجاب مع سماح ظروفه بذلك أن يساءل غداً ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٣) عن سبب رفضه أو يسأله ضميره عن علة رفضه ما دام قد وطن نفسه بنفسه على سلوك هذا الدرب وتحمل تبعاته وأتعابه.

خامساً: إن الطالب الواقعي في الحوزة العلمية النجفية لا يتوخى من

(١) معارف الرجال. سابق: ٢ / ٣٩٣.

(٢) المصدر السابق نفسه: ٢ / ٣٩٤.

(٣) سورة الشعراء. الآية ٨٨.

وراء دراسته الحوزوية وظيفه مادية أو منصباً تنفيذياً أو رتبة اجتماعية أو وسيلة اقتصادية أو غاية سياسية أو غيرها، بل لا يسعى أيضاً إلى الحصول على شهادة بالتخرج تتيح لحاملها ما تتيحه الشهادات ووثائق التخرج من فرص عمل وأشباهاها، ولذلك فإنك لا تجد الطالب الحريص على مستواه العلمي في الحوزة يهرول كي يقطع الطريق إلى نهايته، سواء استوعب ما درسه أم لم يستوعبه، ولا يسعى لأن يحفظ من دون فهم دقيق لما يحفظ كي يجتاز الامتحان، ثم ينسى بعد أيام ما حفظه، لأن همّ أمثال هؤلاء، جُلُّ همّهم أن ينجحوا ليس إلّا، كما بتنا نراه عند كثير من طلاب الجامعات غير الرصينة، بل كثيراً ما كنت أرى من طلاب الحوزة المجدين المحصلين من أتم دراسة كتاب ما، ثم حين فرغ منه فحص نفسه فوجدها لا زالت غير هاضمة ما درسته هضماً يطمئن قلبه له، فقرر عندها العودة إلى كتابه ثانية لدراسته واستيعابه.

وأقول طالب الحوزة المخلص المجد الحريص على مستواه العلمي إخراجاً لمن تزيى بزي رجال الحوزة العلمية لغرض في نفس يعقوب.

سادساً: إن لغة التدريس في جميع مراحل الدراسة في الحوزة العلمية النجفية منذ تأسيسها قبل ألف عام وليوم الناس هذا هي اللغة العربية الفصحى غالباً. وإن أدنى ملاحظة للمنهج التدريسي المتبع فيها ولغة تدريسه وأساليب طرحه وغيرها وغالبيتها مكتوبة بلغة عربية فصيحة، تثبت بوضوح هذه الحقيقة وقد تقدم البحث في ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب.

بيد أن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال عدم وجود من يدرّس بغير هذه اللغة في هذا المسجد أو ذاك أو في هذه الحلقة الدراسية أو تلك لوجود أعداد غير

قليلة من غير العرب في الحوزة مما قد يضطر معه الأستاذ إلى الاستعانة بلغته الأم أو بلغة الطالب الأم لإيصال المعنى المقصود بدقة متناهية إلى تلميذه وخاصة إذا كانت مادة البحث عميقة وهي غالباً ما تكون كذلك.

سابعاً: إن الطالب المشتغل في الحوزة العلمية النجفية وفي الحوزات الدينية كلها هو طالب لمن هو أعلى منه طبقة علمية لا عمرية، وهو في الوقت نفسه أستاذ لمن هو دونه طبقة علمية في آن واحد، وهكذا تتسلسل المراتب العلمية وتتنوع مهام رجالات الحوزة بين أستاذ أنا وطالب أنا آخر، أستاذ لمن هو أدنى منه مرتبة، وطالب عند من هو أعلى منه مرتبة.

وقد استطاعت هذه الطريقة التربوية تحقيق نجاحات عملية متميزة فهي تتكفل بتوفير الأساتذة للطلاب بمختلف مراحلهم الدراسية كما تتعهد بتدريهم وإعادة تدريهم باستمرار، كما أنها تعيد تنشيط ذاكرة الأستاذ بما سبق أن درسه وتجاوزته من مواد دراسية معقدة وكثيرة التفرعات مما يبقى تفاصيل المعلومات السابقة حاضرة في الذهن باستمرار إضافة إلى بعدها الأخلاقي المهم فالأستاذ مهما تقدم في مستواه الدراسي يبقى طالباً للعلم والحقيقة ولنتيجة البحث.

ثامناً: إن الأستاذ أو الطالب الواقعي في الحوزة العلمية النجفية، بل المرجع نفسه غير مستنكف من أن يقول (لا أعلم)، وغير آبه من أن يقول سلوا فلاناً مثلاً، أو حتى سلوا ابني عما سألتموني عنه، فإنه أذكر مني، بل وهو المرجع غير متحرج ولا مستنكف من أن يعترف بخطئه فيما قاله متى ما انكشف له أنه مخطئ فيما قاله، وقد حدث ذلك معي أكثر من مرة، ويتجلى هذا الأمر بشكل

أوضح فيما أورده الباحث جعفر الخليلي^(١) متحدثاً عن المرجع سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء حين قال: ولم أجد شخصاً يعدل عن رأيه بالسرعة التي يعدل الشيخ محمد الحسين عن رأيه حين تتضح له الحقيقة، ويتجلى له الحق، وكثيراً بل وأكثر من الكثير الذي رأيت فيه الإمام يدلي برأي خاص كان يؤمن به منذ زمن، ثم لم يكتف بتغيير رأيه، وإنما راح يدل الآخرين على المواطن التي لم يصب فيها من قبل، وإذا تبجح الكثير بما قد أصابوا في كثير من الآراء فإنه ليسرد لك في المناسبة كثيراً من المواقف التي التبس فيها عليه الأمر، وهي صفة لزبدة العلماء المحققين.

ولقد بات من المتعارف عند الحوزيين، بل من الواجب الشرعي عليهم -بحيث إن لم يفعلوا أثموا- أن يتحرّوا عن سائلهم ليقولوا لهم معذرين: إننا أخطأنا في جواب مسألتكم، وإن الصحيح في جواب مسألتكم هو كذا وكذا، وليس ما سبق أن قلناه لكم.

ولقد تعود المؤمنون أن يسمعوا بإلفة محبة قول أستاذ مشهور من أساتذة الحوزة لهم جواباً عن أسئلتهم كلمة: (لا أعلم).

من ذلك ما نقله المؤرخون عن الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١هـ/ ١٨٦٥م) -المرجع الأعلى ورأس المدرسة الأصولية الحديثة في النجف الأشرف- عن صراحته في قول (لا أعلم) إذا كان لا يعلم، مرددين حكايته المعروفة عن قوله (لا أعلم)، جواباً عن ثلاثة أسئلة وجهت إليه تباعاً في أحد دروسه. فما كان من أحدهم إلا أن قال مازحاً: لم إذا ارتقيت المنبر إن كنت لا تعرف شيئاً؟ فأجابه

(١) هكذا عرفتهم. سابق: ٢٤٨/١.

المرجع الشيخ: إنني ارتقيته بحسب معلوماتي (ثلاث درجات)، ولو شئت أن أصعده بحسب مجهولاتي لوجب عليّ أن أجلس في السماء^(١).

ويحدّث الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي^(٢) أحد كبار الأساتذة في حوزة قم المقدسة وتلميذ السيد محمد حسين الطباطبائي المعروف بـ(العلامة الطباطبائي) خريج حوزة النجف الأشرف (ت ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م) عن أستاذه العلامة الطباطبائي أنه طالما سمع طوال فترة تتلمذه على يديه مدة ثلاثين سنة: عبارة (لا أعلم) عند جوابه على الأسئلة المتوجهة إليه.

بل لقد تعود الناس أن يسمعوا من مرجعهم المقلّد نفسه أحياناً كلمة: (لا أعلم) أو (لا أتذكر)، كما نقل الثقة عن المرجع الأعلى في عصره السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

ولماذا نذهب بعيداً فقد حدث لي شخصياً أكثر من مرة أن رأيت سائلاً يسأل مرجعه عن مسألة شرعية لم يكن المرجع مستحضراً لجوابها ساعة سؤاله، فكان يجيب دون تحرج بأن عليه أن يراجع ويبحث في المسألة لكي يجيب سائله ومستفتيه.

تاسعاً: إن الأستاذ الواقعي في الحوزة القاصد من دراسته نيل رضا ربه ﷻ لا يجد غضاضة في أن يقول إن الأستاذ الفلاني (أعلم مني)، أو أن درس

(١) الخصائص العلمية والأخلاقية للشيخ الأعظم الأنصاري. السيد محمد علي الموسوي الجزائري. ترجمة عباس الأسدي. مجلة الفكر الإسلامي. العدد ٧. السنة الثانية. ١٤١٥ هـ ص: ١٤٦.

(٢) مكانة العلامة الطباطبائي في تحديد الفلسفة الإسلامية. عبد الجبار الرفاعي. نقلاً عن كتاب يادنامه مفسر كبير علامة طباطبائي: ٣٧ (فارسي). مجلة الفكر الإسلامي. العدد ١٧ لسنة ١٤١٨ هجرية: ٢٢٧.

فلان أنفع من درسي وما شابه، لأن رضا الله ﷻ هو الهدف، وطلب الحقيقة وقولها هو المقصد.

من ذلك مثلاً أن المرجع الأعلى في عصره سماحة الشيخ الوحيد البهبهاني مجدد القرن الثالث عشر (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م) اعتزل المرجعية في أواخر عمره وأناط مسألة التقليد بأبرز تلامذته بسبب ما يعرض لكبار السن من عوارض الشيخوخة التي قد لا تعينه على استبطاء الحكم الشرعي وفق الضوابط الشرعية، بل نقل لي أحد كبار المراجع في النجف الأشرف أن الوحيد قلّد تلميذه الشيخ جعفر الكبير في الأحكام الشرعية بعد إحساسه بضعفه في استنباط تلك الأحكام، وأخذ يدرّس كتاب (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي على سبيل الاستحباب^(١)، وهو كتاب يدرسه الطلبة المبتدئون وهم في مرحلة السطوح الدنيا.

ومنها أن الزاهد العالم الشيخ مهدي الملاً كتاب، شارح كتاب (اللمعة الدمشقية) شرحاً موسعاً انتهى منه سنة (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢ م)، الشيخ المعروف بغزارة العلم، والمجاز بإجازتين من أستاذه السيد صاحب (مفتاح الكرامة) إحداها مطولة، والأخرى مختصرة، قيل له في أيامه الأخيرة -وقد ضعف بصره وعجز عن المطالعة- كيف تحضر على الشيخ محمد رضا نجف وأنت أعلم منه، قال أردت بحضوري أن أتذكر ما فات^(٢).

ومنها ما نقل عن -المرجع لاحقاً- السيد حسين كوهكمري -وهو من أساتذة الحوزة العلمية النجفية المعاصرين للشيخ مرتضى الأنصاري أيام كان

(١) مرجعية التقليد. سابق: ١٣٢.

(٢) ماضي النجف وحاضرها. سابق: ٢٣١ / ٣.

الشيخ الأنصاري لا يزال بعد غير معروف - من أنه حضر في أحد الأيام قبل طلبته إلى محل درسه، فرأى في أحد أركان المسجد شيخاً غير معتنٍ بهندامه جالساً مع عدد من الطلبة مشغولاً بالتدريس، فأصغى السيد كوهكمري لكلامه فأحس أن هذا الشيخ يدرّس بصورة تحقيقية ويبحث بصورة عميقة. فرغب في اليوم اللاحق أن يحضر إلى المكان في وقت أبكر ويستمع إلى الشيخ، فحضر فازداد اعتقاده بالشيخ وازداد يقيناً بأن هذا الشيخ أفضل منه وأعلم، ولو أن تلاميذه حضروا درس هذا الشيخ بدل الحضور في درسه لكانت استفادتهم أكثر، ولهذا عندما حضر تلامذته في اليوم اللاحق قال لهم: إخواني إن هذا الشيخ الجالس مع بعض الطلبة في ناحية المجلس أفضل مني تدريساً وأصلح، وأنا أيضاً أستفيد منه، فلنذهب جميعاً إلى درسه.

منذ ذلك اليوم حضر السيد حسين كوهكمري وطلبته درس الشيخ الأنصاري^(١) فكان من خاصة تلامذته الكبار.

ومنه أيضاً أن المرجع الشيخ عبد الكريم الحائري (ت ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) كان يلقي دروسه المعتادة في الوقت نفسه الذي يلقي فيه المجتهد الشيخ محمد القمي (ت ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م) درسه المعتاد أيضاً، وفي يوم من الأيام قال الشيخ القمي لطلابه: تحدثنا في الدروس الماضية عن موضوع (الأهم والمهم) بشكل مفصل وهو موضوع يبحثه أساتذة الحوزة العلمية ضمن منهجهم الدراسي المعتاد واليوم أريد أن أقول لكم بأن حضوركم في دروس الشيخ الحائري أهم من حضوركم دروسي، فاذهبوا يا أعزائي واحضروا دروسه.

(١) مرجعية التقليد. سابق: ١٤ - ١٥

فنهض جميع الطلاب إلا اثنين منهم، وهما (الشيخ محمد تقي القمي والشيخ محمد باقر القمي) ابناه، فقد كانا راغبين بحضور دروس أبيهما، فكرر عليهما الشيخ قوله مخاطباً إياهما بلهجة الأب والأستاذ معاً: اذهبا إلى دروس آية الله الحائري.

عاشراً: انعدام فوارق السن بين الطلاب في حلقة الدرس الحوزوي، فقد يحدث أن تجد في حلقة الدرس الحوزوي من طلابها من هو بمنزلة الابن إلى جنب من هو بمنزلة أبيه سناً، وسمتاً ومقاماً ووقاراً، وكلاهما غير مستنكر لهذا التفاوت في العمر، ولا مكترث به، ما دامت تجمع الشيخ والشاب المرحلة الدراسية الواحدة عينها. ولطالما شاهدت بأم عيني ذلك في حلقات الدرس المنتشرة في الجوامع وأماكن الدراسة، بل بات من المألوف أن تشاهد طالباً أكبر سناً من أستاذه وهو جالس بحضرته متأدباً تأدب المتعلم أمام العالم يستمع إلى محاضراته وتوجيهاته العلمية والتربوية.

وقد تجد الأستاذ والطالب معاً يدرسان في حلقة دراسية واحدة موضوعاً من الموضوعات أو يتلقيان علماً من العلوم رغب كل منهما أو احتاج لأن يتعلمه أو يستزيد منه، وربما صادف أن شجع أحدهما الآخر عليه، فترى الأستاذ والتلميذ معاً قادمين إلى درسهما المشترك متصاحبين أو ذاهبين عنه مترافقين ربما إلى حلقة درسٍ آخر أحدهما الأستاذ فيه والآخر التلميذ وهكذا.

وقد دوّن الدكتور محمود المظفر في ذكرياته عن مرحلة دراسته الحوزوية الأولية أنه سجّل في دورتين دراسيتين، أولاهما لتعلم العلوم الرياضية، وثانيتها لتعلم اللغة الإنكليزية فتحتهما جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف في

الخمسينات من القرن الماضي للمبتدئين في تحصيل هذه العلوم العصرية وقد توجه للانضمام إليها كذلك بعض من أساتذة كلية متدى النشر أمثال الأستاذ الراحل محمد صادق القاموسي الذي بادر إلى التسجيل في كل من دورة الرياضيات العامة واللغة الإنكليزية والذي ظل مواظباً على الحضور فيها، والأستاذ الحجة الحكيم (السيد محمد تقي الحكيم) الذي انتمى ولو لمدى محدود إلى دورة اللغة الإنكليزية، وأكشف الآن هذه الحقيقة للتدليل على ما كان يتمتع به الأستاذ الحكيم والأستاذ القاموسي ونظراؤهما من تفتح ذهني عالٍ وواقعية وتواضع جمٍّ، دون أن يجدا حرجاً في الجلوس إلى جانب طلابهما من أجل التزوّد ببعض متطلبات العصر الحديثة^(١).

ثم زاد الدكتور المظفر الطالب آنذاك عند أستاذه المتقدم ذكرهما السيد محمد تقي الحكيم والحاج محمد صادق القاموسي فأضاف: ثم لا أكاد أنسى وقد واثت الفرصة لذكره أن السيد الحكيم كان في تلك الفترة يشارك أيضاً بعض طلابه وأنا من بينهم في مشروع شراء ما بدأ يرد آنذاك إلى النجف من القاهرة ويبروت بعد فترة انقطاع من كتب وصحف ومجلات دورية تشجيعاً لطلابه في التزوّد من منابع الثقافة الحديثة^(٢).

أما على صعيد مرحلة البحث الخارج فقد كنت أرى كلاً من عمي المجتهد المغفور له السيد محمد حسين الحكيم وأبي (قدس الله سرهما)، ومن هم في طبقتهم العلمية، يحضرون (حضوراً تيمنياً) كما يصطلح عليه الحوزويون في دورة جديدة

(١) رحلتي الدراسية مع السيد تقي الحكيم. الدكتور محمود المظفر. منشور ضمن: كتاب السيد محمد تقي

الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف: ٣٤٩.

(٢) المصدر السابق. الصفحة نفسها.

لدرس من دروس البحث الخارج فقهاً أو أصولاً - كانوا انتهوا من حضورها سابقاً - جنباً إلى جنب مع تلاميذهم أو من هم في طبقة تلاميذهم في درس يلقيه أستاذهم سماحة المجتهد المحقق الشيخ حسين الحلبي عصر كل يوم من أيام التحصيل العلمي في إحدى غرف الصحن الحيدري الشريف، ذلك أن هذا الحضور مع عدم الحاجة العلمية إليه يكاد يكون عرفاً حوزوياً قائماً.

حادي عشر: نظراً لأن الهدف من الدراسة الحوزوية عند المخلصين حقاً هو تحقيق الرضا الإلهي بعيداً عن هوى النفس وحب الذات والشخصنة، فإننا بتنا نجد بعض هؤلاء العلماء الحقيقيين يوصون طلابهم بكتابة دروسهم التي يلقيها عليهم أستاذهم من أجل استيعابها بعد مراجعتها وتأملها من ناحية، ولأنه قد يعود إليها مستقبلاً بعد تقدمه في الدراسة فيعيد فحصها وتدقيقها والوقوف عندها مجدداً، ما قد يغير قناعته فيها من الصواب إلى عدمه، ومن القبول بها إلى التوقف عندها، ومن القناعة السابقة إلى التشكيك أو الرفض، وهو ما قد كان خافياً عليه أثناء تلمذته على يد أستاذه، وقبل تقدمه في البحث العلمي العالي.

وبمعنى آخر فإن الأستاذ يحث طلابه على إعادة التأمل في قناعاتهم السابقة بآرائه هو علّهم بعد تقدمهم في البحث وتمكنهم من ناصيته ومسكهم بزمامه يتبين لهم خطأ ما قد انتهى إليه أستاذهم، فيشكلون على آرائه التي دونوها أثناء تلمذتهم عليه ويناقشون ما ظنوا حينها أنها تامة الدلالة، داحضين لحجتها بعد حين، أو مثبتين خطأها، أو مشككين فيها بعد يقينهم السابق بها، وما ذاك إلا لأن الغرض عند أستاذهم هو وصول طلابه إلى الحقيقة العلمية أياً كانت وإن خالفت رأيه ودحضت حجته وكشفت ضعف دليله ووهن مبناه.

ومن الشواهد على ذلك ما كان يكرره المرجع الأعلى في وقته الإمام السيد محسن الحكيم على طلابه في مجلس درسه فقد نقل تلميذه المرجع لاحقاً الشيخ محمد تقي الفقيه قوله لطلابيه من على منبر درسه: ينبغي لكم تدوين ما تسمعون، فإنه تربية لكم، وربما انتفعتم به بعد حين عندما تصبحون أساتذة وعندما تستقلون بالنظر، ولتكن كتابتكم قربة إلى الله سبحانه ولرسوله ﷺ ولأوليائه، أنا لا أقول لكم: كل ما أقوله لكم حق، ولكنني أقول لكم إنكم لا تستطيعون اليوم أن تميزوه فادخروه عندكم إلى حين، وعندئذ تعرفونه حق أو باطل^(١).

ثم ما كان أبداه لطلابيه من انزعاج وتذمر، لأنه ذكر مسألة علمية وأوضحها، ثم أعادها مرة أخرى وبينها، فلم يعترض عليه أحد، وربما أعادها ثلاثة فلم يعترض عليه طالب ما اضطره إلى سؤالهم مستفهما عن صحة المسألة أو فسادها، فأجابوه بصحتها وجريانها على الموازين العلمية، فتأثر وتأفف ثم قال: من المؤسف أن الناس تنظر إلى من قال لا إلى ما قيل^(٢).

ولم يكتف بذلك النهج الذي سار عليه في أنكار الذات وأدب طلابه به في تجاوز الأنا، بل تحطاه إلى ما هو أبعد يوم تمنى لنظرياته العلمية العالية المبتكرة أن ينتحلها المتحلون، ويثوها بين أهل العلم ليتفعلوا بها^(٣).

ثاني عشر: إن الهدف من الحوار العلمي بين المتباحثين -وأخص المحصلين المشتغلين منهم لا الجميع- أستاذاً وطلاباً، أو باحثاً ومناقشيه، عادة، هو من أجل الوصول إلى الرأي المختار، لا من أجل كسب الجولة، وهو ما قد

(١) حجر وطن. سابق: ١٩٤/٤.

(٢) المصدر السابق: ١٩٥/٤.

(٣) المصدر السابق نفسه: ٢١١/٤.

يخفى على غير المعتادين عليه حتى ليظن الناظر إلى المتباحثين المشتغلين أو المنصت لهما أنها لا يتباحثان وصولاً إلى الحقيقة وهو الهدف الأسمى للنقاش وارتفاع وتائر الصوت بل يتنازعان، أو يتماحكان في قضية شخصية يريد كل منهما كسبها لصالحه كي يستفيد أو يكسب أو ما شاكل، حتى إذا انتهى البحث في المسألة العلمية عادت لغة المحبة والود وعاد معها الهدوء والصفاء للمتناقشين. وخيم الكلام الرقيق على مجلس البحث بعد أن أقر أحد المتناقشين بخطئه أو أذعن لقوة حجة الطرف الآخر.

إن إلفة النجف الأشرف لهذا النوع من الجدل والصراع ضمن حياتها العلمية الطويلة أكسبها في بحوثها العلمية صفة الموضوعية والتواضع وأبعدها عن مستلزمات الجدل العقيم الذي يورث غالباً الصفات الذميمة كالتحاقد والتباغض والتمسك والاعتداد بالرأي، وإن وضح لدى صاحبه جانب الخطأ فيه، وهذه الصفات البغيضة إنما تتوافر غالباً في أصحابها إذا كان مبعث الجدل هو الحصول على منفعة ذاتية أو كان منبعثاً عن عقدة نفسية متأصلة في صاحبه، أما إذا كان بلوغ الحق هو رائد الجميع، وكانت الفكرة هي مجال الأخذ والرد منفكة عن أصحابها، كانت الموضوعية وسرعة التنازل للحق هي المألقة لزام الجدل في أغلب المتجادلين^(١).

على أن إلفة النجف الأشرف لهذا النوع من النزاع الصاحب لا ينفي وجود غيره، فقد حدث أحد تلامذة العلامة الطباطبائي المتقدم ذكره قائلاً: اشتركت حدود ثلاثين سنة في درسه مضافاً إلى حضوري ليالي الخميس والجمعة أيضاً

(١) من مقدمة كتاب النص والاجتهاد. سابق: ٥٦، وينظر: الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. الشيخ محمد مهدي الآصفي: ١٦.

في درسه الخاص، لا أتذكر طوال هذه المدة أنه صار عصيباً^(١) متوتراً مرتفع الصوت.

ثالث عشر: إن الدراسة في الحوزة العلمية النجفية تبدأ منذ الصباح الباكر من قبل طلوع الشمس أحياناً، وتستمر حتى وقت ما من الليل تتخللها فترة راحة الظهيرة التي يفرضها عليهم الجو الطبيعي الحار الملتهب في النجف الأشرف أشهر الصيف، والمترب غالباً أسابيع الربيع. فحين تزور جامع الهندي في النجف الأشرف مثلاً تجد على مدار الساعات المشار إليها حلقات دراسية كثيرة تفتش أرض الجامع الكبير تختلف عدداً وكماً من آن لآخر بحسب الأستاذ ومادته العلمية.

أما في الصباح الباكر فقد ذكر لي سيدي الوالد في معرض حديثه عن دراسته أنه اتفق في مرحلة ما من مراحل دراسته مع أستاذه المجتهد الورع السيد يوسف الحكيم، أن يذهب إلى دار أستاذه مبكراً، نتيجة ازدحام جدولها الدراسي اليومي، فيوقظ أستاذه لصلاة الفجر، ثم يبدأ درسه بعد الصلاة مباشرة، وليس هذا هو حال سيدي الوالد وحده إنه حال العديد من طلاب الحوزة العلمية النجفية أمس واليوم أيضاً. يقول الشاعر محمد جواد الغبان طالب الحوزة العلمية في النجف الأشرف سابقاً أثناء دراسته لكتاب (شرح التجريد) للشيخ الطوسي لقد رجوت من أستاذي الشيخ محمد رضا المظفر أن يدرسنا هذا الكتاب وكنا ثلاثة طلاب فقط، فاعتذر الأستاذ لعدم وجود الوقت لديه لمثل هذا العمل.

وبعد الحاحنا عليه، ورغبنا في طلب العلم، وافق الأستاذ على أن يدرسنا

(١) مكانة العلامة الطباطبائي في تجديد الفلسفة الإسلامية. سابق. نقلاً عن كتاب يادنامه مفسر كبير علامة

الكتاب بين الطلوعين (الفجر والشمس) فهو الوقت الوحيد الفاضل لدية لإلقاء الدروس.

وهكذا كنا نخترق أزقة النجف المظلمة قبل الفجر كل يوم أنا والسيد علي الصافي ومحمود المظفر لحضور الدرس، حتى أكملنا دراسة الكتاب^(١).

وأما استمرار الدراسة والمباحثة إلى الليل فقد أحصيت في الجامع الهندي أواخر فترة كتابتي لهذا الكتاب -ناهيك عن مقبرتي الإمام الحكيم ومقبرة علماء أسرة آل الحكيم الملحقين به- وجود ثلاث عشرة حلقة دراسية كبيرة وصغيرة تتلقى دروسها على يد أساتذتها معطرة جو الجامع بعبق البحث والحوار والمناقشة.

ومثل انشغال المساجد والحسينيات بحلقات الدرس والمناقشة انشغال المجالس العلمية التي تنعقد يومياً في بيوت الفضلاء بالمناقشات الجادة بين الحوزيين، بل حتى المجالس العامة للسواد إذا حضرها أهل العلم لا تسمع إلا المذكرات العلمية بينهم، ناهيك عن دوي السجلات العلمية في الصحن الغروي المقدس حتى كان يسمع أصوات أهل العلم في المذكرات عصاراً من خارج سور النجف^(٢) كما تقدم في (الكتاب الأول: نجف حوزة النجف الأشرف).

رابع عشر: لم يتخرج العالم الحوزوي الحقيقي ولا يتوقف أن يكون أستاذاً لتلميذه في علم من العلوم، وفي الوقت نفسه تلميذاً عند تلميذه في علم آخر متى ما ثبت له أن تلميذه أعلم منه في علم آخر يحتاجه في دراسته من ذلك

(١) الشاعر محمد جواد الغبان يروي سيرته بعد أن غبن النظام السابق حقوقه. حوار: علي دنيف حسن.

جريدة الصباح العراقية في: ٢٧/١٠/٢٠٠٦م.

(٢) معارف الرجال. الشيخ محمد حرز الدين: ١/٢٩-٣٠.

ما جاء في تراجمة علماء القرن الثاني عشر في حوزة النجف الأشرف من أن الفقيه المنطقي الملا عبد الله بن شهاب الدين حسين اليزدي النجفي مؤلف كتاب (الحاشية) في المنطق (ت ٩٨١هـ / ١٥٧٤م) قرأ على العالمين الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني مؤلف كتاب (المعالم) في الأصول (ت ١٠١١هـ / ١٦٠٢م) والسيد محمد ابن السيد أبي الحسن العاملي (ت ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م) صاحب كتاب (مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام) علوم الفقه والحديث والأصول في النجف الأشرف وحضر عليه العلوم العقلية^(١) كما تقدم في الكتاب الثاني من هذا الكتاب.

ومثله ما ورد من أن السيد علي التستري أو الشوشتري على اختلاف بين مترجميه (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م)^(٢) أستاذ الأخلاق في حوزة النجف الأشرف كان يحضر دروس الشيخ مرتضى الأنصاري في الفقه والأصول، فيما كان الشيخ الأنصاري يحضر دروس السيد التستري أو الشوشتري في الأخلاق كل أسبوع، بل كان يدعو طلابه لحضور هذا الدرس والتزود من ثماره المعنوية، وإزالة الصدأ عن القلوب، حيث تجتمع التلمذة والأستاذية لأحد تجاه آخر، فالشيخ مرتضى الأنصاري كان أستاذ السيد علي التستري في الفقه والأصول، وتلميذ السيد علي

(١) معارف الرجال. سابق: ٦/٢.

(٢) فقيه وأخلاقي كبير تولى بعد وفاة الشيخ مرتضى الأنصاري مواصلة بحث الشيخ الأنصاري من على كرسي الشيخ نفسه متمماً بحث شيخه الفقهي من حيث انتهى، بيد أنه لم يعمر طويلاً فقد توفي بعد وفاة الشيخ الأنصاري بستة أشهر، ولعل من أشهر تلامذة السيد التستري الحكيم العارف المولى حسين قلي الهمداني، وقد نقل العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان قصة يستفاد منها أن الألفاظ الغيبية تدخلت في نقل السيد التستري نحو العرفان والسير والسلوك (ينظر خصائص المدرسة السلوكية. سابق: ١٩٤ نقلاً عن رسالة لب اللباب: ١٥٦).

التستري في الأخلاق^(١).

وشبيه بهما روي من أن الشيخ مهدي ملاً كتاب الكردي النجفي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٧م) - الذي قيل في حقه العلمي: إن المرجع الأعلى في وقته الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام) كان يقول إذا دخل عليّ الشيخ مهدي أجد نفسي سلطاناً بتصنيفي، وإذا خرج من عندي أجد نفسي كالعصفور مع ما فيه من العلم والاجتهاد، وأن الشيخ النجفي كان يعرض عليه كتاباته في (الجواهر)، فيثبت الشيخ مهدي ملاً كتاب الكردي منها ما يريد، ويمحو منها ما يريد^(٢).

إن هذا العالم المحقق لما ضعف بصره جعل يحضر درس الشيخ محمد رضا نجف (ت ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م) وهو أعلم منه بمراتب، فقليل له في ذلك، فقال إني لا أقدر على المطالعة، فأحببت الحضور لأتذكر بدرسه^(٣)، غير مستنكف من ذلك، ولا آبه ولا متوقف، بل راغب ومريد وحريص.

ومن ذلك أن الفقيه المطلق المجتهد المحقق الشيخ محمد تقي الكلبايكاني (ت ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م) حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري المتقدم ذكره رغم أنه ممن يشار إليه بالبنان علماً وفضلاً وجلالة، فقال له الشيخ الأنصاري: الأحسن لك، بل الأولى التدريس من حضور الدروس، نتيجة لمعرفته بمستواه العلمي العالي ودقته في البحث فلم يقبل عرض الشيخ الأنصاري.

(١) تنظر: مجلة حوزة الإيرانية، العدد الأول: ٥٣ (بتصرف)، نقلاً عن من خصائص المدرسة السلوكية للفقيه

الهمداني. بحث. عرفان محمود. مجلة الفكر الإسلامي العدد الثامن. السنة الثانية ١٤١٥ هجرية: ١٩٤.

(٢) معارف الرجال: ٣/ ٩٤ هامش رقم ٢.

(٣) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ١٥/ ١٤.

علماً بأن الشيخ مرتضى الأنصاري كان أجاب عندما سئل عن فضل الشيخ محمد تقي الكلبايكاني بقوله: سلوه عني^(١).

خامس عشر: الورع العلمي في البحث والفتوى: تمتاز المدرسة الحوزوية بشدة الورع في إبداء الرأي والتخرج من طرحه مادام الحوزوي غير مقنع قناعة تامة بأنه حجة فيما بينه وبين الله ﷻ، واضعاً المرجع نصب عينيه فيما يفتي به أنه محاسب عنه يوم القيامة، ولعل المستعرض لكتبهم العلمية الناقلة لفتاواهم الشرعية المسماة بالرسائل العملية في العبادات والمعاملات يلحظ بوضوح كثرة احتياطاتهم في الفتاوى.

والأمثلة على ورعهم وشدة احتياطاتهم في البحث لا تحصى، بيد أن ذلك لا يعفيني من ذكر مثل واحد عليها. فقد نقل المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه^(٢) (ت ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) عن المرجع الأعلى في وقته السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) أنه كان يقول: إذا عرضت لي شبهة فيما دونته وأنا متوسد في فراشي أخاف أن يدركني الأجل وفي كتبي ما لا أعتقد صحته فأقوم من فراشي فأصلحه ثم أعود.

وقال لبعض تلامذته: إنني عندما كنت مشغولاً بشرح (العروة) لا أخرج من المسألة حتى أكاد أحلف أن ما اخترته هو تكليفي الذي يدينني الله سبحانه به.

إن الخوف من الله ﷻ والخشية من الوقوف بين يديه للمساءلة يوم الحساب

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢١١-٢١٢ (بتصرف).

(٢) حجر وطن. سابق: ٤ / ١٩٤. وتنظر أضواء على الجانب العلمي للحوزة العلمية والسيد الحكيم. السيد

هو ما يحول بين المرجع الديني في الحوزة العلمية والتلاعب بالأحكام الشرعية رغم الضغوط الشديدة التي يتعرض لها، سواء أكانت تلك الضغوط ضغوطاً داخلية أم ضغوطاً خارجية، فهو يتعرض:

أولاً: للضغط النفسي عند اختيار الحكم واستنباطه من الأدلة، فإن أدلة الأحكام غير منضبطة، والنفس بطبعها تميل للفتوى بما يطابق الظنون والقناعات والعواطف، فقد يجنح الباحث للحكم، وتلبس عليه نفسه، فيستوضح الأدلة عليه بسبب ذلك، وقد يؤتى خطأً من القدرة على الاستدلال واللحن بالحجة، فيبرز ما ليس دليلاً بصورة الدليل.

ولا حاجز له عن التلاعب أو التسامح أو التغافل في ذلك إلا الخوف من الله تعالى، وشدة الحذر من نكاله، حين يلتفت إلى أن الخصم الذي سيحاسبه هو الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يخدع بالحجج الواهية، فإنه حينئذ يتجلى له أن ما يقيمه من الأدلة هل يصلح لأن يكون حجة له مع الله تعالى، وعذراً بين يديه أو لا..؟ فيحمله ذلك طبعاً على استفراغ الوسع، واستكمال الجهد لمعرفة الأدلة الحقيقية والوقوف عندها واستنباط الحكم على أساسها.

وثانياً: للضغوط الأخرى الخارجة عن مقام الاستدلال، إذ كثيراً ما يكون الحكم الذي تقضي به الأدلة الشرعية غير ملائم لرغبات السلطان، أو العامة، أو غير مناسب للظرف القائم، أو العواطف المتأججة.

كما قد يتعرض لضغط الأنانية، بلحاظ حب الظهور في الابتكار والتميز عن الآخرين، أو في التجديد والعصرنة، أو في التسهيل من أجل استقطاب أكبر عدد ممكن من الناس، إلى غير ذلك مما يدعو إلى محاولة التخلص من قيود الأدلة

الشرعية الحقيقية، والالتفاف عليها، والتشبث بالشبه والمبررات للخروج عنها. ونحن نرى اليوم أن كثيراً من ذوي العلوم العملية التي تكون نتائج الخطأ فيها ظاهرة - كالتب والهندسة - قد يخون أمانته تسامحاً أو تعمداً لبعض الدواعي المادية ويتحمل تبعات عمله وأقلها ظهور الخطأ عليه وفشله في مهمته عاجلاً أو آجلاً، فكيف بمثل علم الفقه الذي لا يظهر الخطأ والتفريط فيه لعامة الناس؟ وكيف يؤمن ذلك فيه لولا شدة التقوى والورع وقوة ملكة العدالة؟

وثالثاً: إن مرجع التقليد بحكم مركزه معرض لكثير من المخاطر الدينية بسبب ابتلائه بالأموال، وامتلاكه للجاء واحتكاكه بالناس، وذلك يجعله معرضاً للدواعي الغضبية والشهوية والنزغات الشيطانية، فإذا لم يتحصن بقوة الورع والتقوى كان معرضاً للسقوط والهلكة، ولتشويه صورة المرجعية والدين^(١).

لقد استشهدت بهذا النص - رغم طوله - لأهمية كونه صادراً من مرجع ديني يباشر عملية استنباط الأحكام الشرعية بنفسه من جهة، ولأنه الأعراف من غيره والأدري بالضغوط التي يتعرض لها المرجع خلال عمله العلمي من جهة أخرى.

سادس عشر: إن الأستاذ والطالب في حوزة النجف الأشرف هما دوماً في امتحان علمي مستمر، في أدق المسائل تارة وفي أيسرها أخرى، لاختبار معلوماته تارة أو للحاجة إلى جواب منه أخرى، تحقيقاً للقربة وتحصيلاً للثواب مرة، أو إثباتاً للقدرة وتديلاً على الموهبة أو إثباتاً للوجود أو دفعاً للانتقاص أو لغير ذلك فإن على الحوزوي دائماً أن يكون متسلحاً بالمعلومة ومستعداً للإجابة عن

(١) المرجعية الدينية وقضايا أخرى. الحلقة الأولى والثانية. سابق: ٢٨ - ٣٠.

كل ما يسأل عنه فيما درس ودرّس في كل آن، سواء أكان ذلك في مجلس علمي اجتماعي عام أم في غيره، وسواء أكان خلال الدرس أم خارجه، من أستاذه كان أو من زملاء مباحثته، في البيت وجه إليه السؤال أم خارجه، في جلسته مع أسرته أم في سواها، في الصباح بادره السائل أم في المساء وهكذا. وهو ما يحثه باستمرار على التزود بالمعلومة واستمرار البحث والتحصيل والمذاكرة والاستحضار والمراجعة والحفظ.

سابع عشر: إن الأستاذ في الحوزة العلمية ومثله الطالب المشتغل الحريص على نيل رضا الله ﷻ، الساعي للتزود بالعلم والمعرفة استجابة لأمره تعالى بالتفقه والإنذار، قادر -باندفاع ذاتي كبير، بل بحب على تحمل الظروف الحياتية القاسية والمعاناة الشديدة والمكابدة المرة والطوارئ الحاصلة كي يواظب -على حضور درسه وتدريسه ومباحثته وتحصيله وكتابته، متجاوزاً الصعوبات ومتخطياً العوائق، وقد ضرب لنا أساتذة حوزة النجف الأشرف وطلابها أمثلة نادرة لشدة المواظبة وعدم الانقطاع عن التحصيل في أشد الظروف وأقساها، من ذلك مثلاً ما نقل عن المرجع الأعلى في وقته الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م) من أنه في يوم من أيام الشتاء الشديدة المطر اضطر إلى استئجار أحد الحمالين لكي يخرج به من زقاق داره في محلة العمارة بعد أن امتلأ بالمطر حتى بدا الزقاق كأنه أحد الأحواض المائية وذلك كي يصل الشيخ إلى مجلس درسه حين كان بعض من طلابه في ذلك اليوم بانتظاره^(١).

ومن ذلك إصرار المجتهد المحقق السيد محمد بن فضل الله الموسوي النجفي

(١) آية الله العظمى الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر. د. قاسم مهدي حمزة الموسوي: ٢١٦.

(ت ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م) على إكمال تأليف كتابه (أنوار الأحكام في شرائع سيد الأنام) وهو كتاب فقهي كبير في ثلاثة عشر جزء رغم كونه جليس الدار ومن ثم كسر ساعده وعضده، فقد كتب في آخر كتاب الصوم ما نصه: هذا آخر كلامنا في الصوم، وقد فرغ مصنفه المحتاج إلى عفو ربّه الباري محمد الموسوي الحسيني الساروي الحائري الطبرستاني أصلاً واليهنه كلائي موطناً والغروي مسكناً في يوم السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك في المشهد الغروي والحمى المرتضوي مع شدة اغتشاش البال، واضطراب الأحوال في سنة ألف وثلاثمائة وأربعين من الهجرة النبوية عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتحية، وقد حدث لي في أثناء تصنيفه حادثة عظيمة، وهي أنّه قد كان سنين عديدة سقط إحدى رجلي من شدة مرض المفاصل، ومع ذلك كنت جالساً في زاوية البيت مشغولاً بتصنيف الأحكام إذ صب عليّ الزمان بلاء عظيماً وطرحت على الأرض وانكسر من ذلك ساعدي وعضدي.

ومنه كذلك أن الفقيه الرجالي المؤرخ الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م) كان ملتزماً بعدم التعطيل عن التحصيل العلمي طيلة أيام السنة حتى في أيام الجمععات، ما خلا يوم عاشوراء^(١)، وأنه كان زمن اشتغاله بكتابة كتابه (مطارح الأفهام في مباني الأحكام) مقتصراً على الواجب الواجب من العبادات، وبقدر الضرورة من النوم، ومثله من الأكل، وقد أثبت ذلك في ترجمته لنفسه فقال وهو يتحدث زمن تأليفه لكتابه (مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني): وقد كنت زمان اشتغالي بهذا الكتاب مقتصراً بالواجب من العبادات، وبقدر الضرورة من النوم والأكل، حتى أني في جملة من الأيام لم أكن أنفرغ للغذاء، وكانت زوجتي

(١) مخزن المعاني في ترجمة المامقاني. الشيخ عبد الله المامقاني: ١٥٧.

تقطع الخبز قطعاً وتضع فوق كل لقمة من الإدام شيئاً وتسطرها على الكتب، فكنت إذا انتقلت من كتاب إلى آخر عليه لقمة كنت أضع اللقمة في حلقي^(١).

وقد حدثني أكبر أحفاده المهندس عز الدين المامقاني قبل عقود بأن جده كان يشتغل أكثر من ثمان عشرة ساعة في اليوم، وورد في ترجمته كذلك أنه كان يأتزر بإزار في جوّ حارّ حارق، ويجلس في الطابق الأعلى من داره دون أن يسمح لأحد أن يشغله عن عمله العلمي، مكبّاً على البحث والتأليف والتحقيق، حتى أنه كان له زنبيل مشدود بحبل قد علقه من طابقه العلوي، فإذا احتاج أحد من أسرته إلى شيء من الشيخ كتب له قصاصة ورق بحاجته ليتلقى إجابته عليها بالطريقة نفسها^(٢).

وقد كتب المرجع الأعلى في وقته السيد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م) خلال ترجمته لنفسه في كتابه (معجم رجال الحديث)^(٣) قائلاً: أكثرت من التدريس، وألقيت محاضرات كثيرة في الفقه والأصول والتفسير، وربيت جمّاً غفيراً من أفاضل الطلاب في حوزة النجف الأشرف، وألقيت محاضراتي في الفقه (بحث الخارج) دورتين كاملتين لمكاسب الشيخ الأعظم الأنصاري.

كما درّست جملة من الكتب الأخرى، ودورتين كاملتين لكتاب الصلاة... وألقيت محاضراتي في الأصول (بحث الخارج) ست دورات كاملات... وإني أحمد الله تعالى على ما أنعم به علي من مواصلة التدريس طيلة هذه السنين الطوال، وما توقفت إلا في الضرورات كالمرض والسفر.

(١) المصدر السابق نفسه: ١٧٠ - ١٧١.

(٢) ينظر: نفسه: ٤٠٩.

(٣) معجم رجال الحديث: ١٧/٢٢.

ويقول المرجع الشيخ جواد التبريزي (ت ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ما عرفت التعطيل أربعين سنة ليلاً ونهاراً^(١).

هذا فيما يخص دأب أساتذة الحوزة وكبار مجتهدوها على البحث العلمي المستمر، أما فيما يخص طلاب حوزة النجف الأشرف وجدية حرصهم على عدم التغيب أو الانقطاع عن الدرس والتدريس إلا لظروف قاهرة، فمنها ما نقله سماحة الشيخ محمد رضا المظفر عن حياة أستاذه سماحة الشيخ محمد حسين الأصفهاني العلمية، وسيرته الدراسية فترة تتلمذه على يد أستاذه سماحة الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند الخراساني، وكيف أنه اختص به، ولازم أبحاثه طيلة ثلاث عشرة سنة، وكيف أنه لم يترك درس أستاذه هذه المدة إلا يومين: يوماً أصيب فيه برمد شديد عاقه عن الحضور، ويوماً آخر هطلت فيه الأمطار بغزاره فظن أن ذلك سيعوق أستاذه وتلاميذه عن الحضور، فظهر بعد ذلك أن

(١) من مراجع التقليد في عصرنا الحاضر. ولد سنة ١٣٤٥ هجرية في مدينة تبريز، وتلقى تعليمه الأولي الرسمي فيها ثم التحق بالحوزة العلمية فدرس المقدمات في تبريز ثم هاجر إلى قم المقدسة سنة ١٣٦٤ هجرية فآتم دراسة السطوح العالية فيها ثم هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٣٧١ هجرية فحضر أبحاث المرجع السيد الخوئي في الفقه والأصول ولازمه تسع سنوات ثم انضم إلى مجلس استفتاءه واستمر فيه عشرين سنة. ثم بعد وفاة المرجع الأعلى للطائفة في وقته سماحة السيد الحكيم بعام بدأ تدريس البحث الخارج فقهاً وأصولاً في النجف الأشرف. وحين اشتدت حلقات حصار النظام البائد على الحوزة العلمية وتصاعدت وتائر المضايقة لها هاجر إلى قم المقدسة سنة ١٣٩٣ هجرية فأصبح من كبار أساتذة الفقه والأصول في حوزتها العلمية بغض بحثه في أكبر جوامعها بالطلاب. تصدى للمرجعية بعد وفاة أستاذه السيد الخوئي فأصبح من كبار مراجع التقليد في وقته. له في الفقه (١٣) كتاباً أحدها رسالته العملية صراط النجاة في ستة أجزاء، وله أيضاً أسس القضاء والشهادة، أسس الحدود والتعزيرات وإرشاد الطالب في شرح المكاسب في أربعة مجلدات ودروس في مسائل الأصول في خمسة مجلدات. وله في العقائد عشر كتب منها اعتقادنا وتنزيه الأنبياء وغيرها.

أستاذه حضر وألقى درسه على شزيمة قليلة منهم^(١).

وفي حالة مشابهة كتب سماحة المرجع الأعلى في زمنه سماحة السيد الخوئي المتقدم ذكره في مقدمة تقريراته لكتابة تلميذه السيد علي الشاهرودي لآراء أستاذه، أن تلميذه الشاهرودي لم يغيب عن حضور درسه مدة عشرين عاماً متواصلة.

بيد أن ذلك لا يعني غلبة هذه الظاهرة على طلاب حوزة النجف العلمية، ولكن وجودها في حدّ ذاته مؤثر تربوي جدير بالاهتمام.

ثامن عشر: الأخلاقيات السلوكية والنفسية العالية لأساتذة وطلاب الحوزة العلمية المحصلين، وهو منهج تربوي يُنشأ عليه الطالب منذ بدايات انخراطه في الحوزة العلمية ويُربى عليه، سواء أكان منهجاً مكتوباً معداً لهذا الغرض ككتاب (منية المريد في آداب المفيد والمستفيد) لزين الدين العاملي المعروف بـ(الشهيد الثاني)، أم من خلال الاستماع إلى المجالس الحسينية ذات المواعظ الأخلاقية، أم من خلال استثمار الجلسات التداولية بين الحوزويين للتذكير بالله ﷻ وجميل صنعه وخوفه ورجائه، أم من خلال إلزام الأستاذ لتلاميذه على تلقي دروس في علم الأخلاق تحت ضغط ترك تدريسهم علمي الفقه والأصول حتى يتزودوا بجرعات قوية من علم الأخلاق، ثم يعودوا لدراسة الفقه والأصول ثانية، وهو ما أقدم عليه العالم المتبحر المحقق الأخلاقي السيد باقر القزويني (ت ١٢٤٧ هـ / ١٨٣٢ م).

(١) من مقدمة الشيخ محمد رضا المظفر لكتاب بحوث في الأصول للشيخ الأصفهاني: ٦، وتنظر: مقدمات كتب تراثية. السيد محمد مهدي الخرسان: ٤٨٦/٢.

يقول الثقة المؤرخ الشيخ محمد لائذ النجفي^(١): إن السيد القزويني جلس يوماً لتدريس تلاميذه وهم مجتمعون حوله، فرآهم في المناظرات العلمية والمذاكرات بينهم كأنهم أسود ضارية، فلذلك ترك البحث وألزمهم باستماع دروس في علم الأخلاق، ليلينوا في الكلام، ثم يتفقهوا، وبعد مدة طويلة عاد إلى المكان الذي تركه في الفقه وواصل بحثه.

أم من خلال محاضرات يلقيها على أساتذة الحوزة وطلابها الأستاذ المتقي العارف بالله ﷺ وفق منهج محدد، وهو ما قام به السيد باقر القزويني كما تقدم، بل وما دأب عليه السيد علي التستري (ت ١٢٨١هـ / ١٨٦٥م) من الالتزام بإلقاء درس أخلاقي دوري كان يحضره فيمن يحضره المرجع الأعلى في وقته الشيخ مرتضى الأنصاري كما تقدم.

وما أعتاد عليه الشيخ ملا علي التبريزي خليل الرازي الطهراني النجفي (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) العالم الفقيه الزاهد العابد، والخبر الجليل الثقة الأمين، كان مثلاً للإيمان والتقوى والصلاح وقد اكتفى من مأكله بالجش وبمن ملبسه بالخشن، زهداً منه وإعراضاً عن ترف الدنيا، وكان مرتاضاً من أهل الأسرار والعلوم الغريبة، وكان واعظاً متعظاً يرقى المنبر ويرشد الناس إلى صالح دينهم ودنياهم على نهج السلف الصالح من علمائنا الأقدمين، وعلى جلالته وعلو منزلته يحضر مجلس وعظ الشيخ جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م)^(٢)

ومثله ما دأب على فعله الشيخ ملا حسين قلي الهمداني النجفي (ت ١٣١١هـ / ١٨٩٤م) تلميذ السيد علي التستري المتقدم ذكره.

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ١/ ١٢٣.

(٢) معارف الرجال. سابق: ٢/ ١٠٣.

يقول المجتهد المؤرخ السيد محسن الأمين عنه: إنه كان فقيهاً أصولياً متكلماً أخلاقياً إلهياً من الحكماء العرفاء السالكين، مراقباً محاسباً نفسه بعيداً عن الدنيا وأسبابها والرئاسات، عرف بعلم الأخلاق، وكان يدرّس فيه كل يوم صباحاً في داره، ويدرّس بعده في الفقه والأصول، حضرنا درسه في الأخلاق، وانتفع بدرسه الأخلاقي خلق كثير من فضلاء العرب والعجم من أراد الله به الخير، رأينا جملة منهم ووجدنا أثر ذلك فيهم.

ومن قبيله ما كان يلقيه البحاثة الضليع والواعظ الشهير الملا رضا الهمداني (ت ١٣١٨هـ/ ١٩٠٣م) الذي وصفه المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١) بأنه من أعاجيب الدهر في خطاباته المنبرية، يجري كالسيل المنحدر قدر ساعتين، وكنت أجلس لصيق منبره الذي يجتمع تحته الألوف في الصحن الشريف - كربلاء والنجف - وأكتب بسرعة البرق بقلم المداد، فلا أكاد أحصي إلا القليل من إفاداته.

ومن أمثاله ما كان يلقيه المحدث الورع الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي^(٢) (ت ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م) في مجالسه الوعظية والإرشادية التي كان

(١) ينظر: عقود حياتي. الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ٦١.

(٢) من كبار الوعاظ والمفسرين في حوزة النجف الأشرف. عاش مواظباً على إحياء أكثر ليله بالعبادة، ملازماً للأوراد والأذكار، يقوم قبل الفجر بساعتين فيكون أول داخل في السحر إلى الحضرة العلوية المطهرة في النجف الأشرف، صافاً قدميه عبادة ومناجاة حتى تطلع الشمس، له ضجيج في الأسحار وهو يدعو بدعاء أبي حمزة الثمالي، لا يمنعه عن ذلك برد ولا حر، ولا سحاب ولا مطر، ولا مرض ولا خطر، مع كبر سنه وضعف بدنه. ولد في طبرستان وهاجر إلى النجف الأشرف ليتلمذ على كبير أساتذتها ومحققها الشيخ مرتضى الأنصاري، ثم هاجر منها ليكر راجعاً إلى النجف الأشرف ويقوم فيها سنين، هاجر بعدها إلى سامراء إثر هجرة أستاذه الكبير المجدد الشيرازي إليها ليبقى فيها بصحبته سنين وليعود بعد وفاته إلى النجف الأشرف مرة أخرى وقد جاوز الستين من عمره، عرف بالضبط والتحقيق وخاصة في علم =

يعقدها في داره صباح كل يوم جمعة في النجف الأشرف وما تتضمنه تلك المجالس العامرة من تذكير بعظمة الله ﷻ وجميل صنعه ودفق فيض نعمه على عباده ما يعجز عن أداء حق نعمة واحدة منها حمد كل حامد وشكر كل شاكر، حتى أن الشيخ الطبرسي حين شرع بتفسير قوله تعالى من سورة الفرقان ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (١٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا (١٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (١٥)، استغرق منه تفسيرها مدة ثلاث سنين، خلالها على أسرار كل كلمة من تلك الآية الشريفة مبيناً ما يناسبها من حكاية أو رواية، مستعرضاً الوجوه الباطنة والدقائق الكامنة فيها وما إلى ذلك مما يناسبها (١٦).

إن ما تقدم وأمثاله من مجالس الوعظ والإرشاد في حوزة النجف الأشرف هو نفسه ما اعتاد عليه أيضاً المجتهد الفقيه المحقق الشيخ باقر الإصطهباناتي النجفي (ت ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م)، فقد جاء في الجزء الخامس من كتاب (الحصون المنيعة) (١٧) أن الشيخ الإصطهباناتي أثناء إقامته في النجف صار يباحث الفقه والأصول والفلسفة نهائياً، وفي الليل يدرّس الأخلاق والعقائد.

ومن أمثال ذلك ما ورد في ترجمة المرجع المحقق الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٧ م) من أنه كان يدرّس في حوزة النجف الأشرف

=الرجال، كما عرف بجمع الكتب واقتناء محاسنها من كل فج وصوب، حتى قيل إنه لم يعتن ويقتن في أسفاره على كثرتها شيئاً من متاع الدنيا سوى الكتب، وقيل إنه كانت له خزانة كتب اتفق فيها من النفائس ما لم يوجد في غيرها.

(١) سورة الفرقان. الآيات: ٦٣-٦٥.

(٢) ينظر: رسالة في آداب المجاورة. للطبرسي: ٢٩-٣٠.

(٣) ينظر: عقود حياتي. سابق: ١٢٩. هامش رقم ١.

إضافة للفقه وأصوله علم الأخلاق^(١).

وعلى هذا المنوال نفسه نسج سماحة الأخلاقي المعروف السيد علي القاضي (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م) أحد خريجي هذه المدرسة العرفانية، فكان له درس أخلاقي ليلة الجمعة من كل أسبوع في مكتبة السيد اليزدي في النجف الأشرف يغص بحضاره ومريديه.

ومثله ما نظممه سماحة السيد أسد الله المدني (المستشهد ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م) من درس أخلاقي كان يعقده ليلة الجمعة من كل أسبوع أيضاً في مكتبة مدرسة اليزدي الكبرى في النجف الأشرف يحتشد فيه طلاب هذا المنحى العرفاني ومحبيه، أذكر من جملتهم سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي وقد حدثني هو بذلك.

وهناك من العلماء من غير هذا وذاك لا يسع المجال لذكرهم^(٢).

ويعد السيد علي التستري أو الشوشتری (ت ١٢٨١ هـ / ١٨٦٥ م) المتقدم ذكره رأس مدرسة (التأمل الذاتي) العرفانية، ويعد المجتهد الملا حسين قلي علي المتقدم ذكره أبرز أساتذتها المتصدين، كما يمكن أن يعد سماحة المرجع الشيخ بهجت آخر تلامذتها المعروفين. ولعل بوفاته انتهت هذه المدرسة العرفانية مع الأسف الشديد^(٣).

هذا ويمكننا أن نشبه تأثير هذه المدرسة العرفانية على سلوك طلابها من الحوزويين وغيرهم أخلاقياً بما كان يلقيه من محاضرات سماحة الشيخ جعفر ابن المولى حسين بن الحسن التستري أو الشوشتری (ت ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م) الشهير

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٣٦٥. هامش رقم ١.

(٢) ينظر مثلاً: معارف الرجال. سابق: ١ / ١٣٥، و ٢٠٦ هامش رقم ١.

(٣) حوار خاص مع سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي في مكتبته في النجف الأشرف.

بالنجمار ذاك الذي وصفه معاصره المجتهد المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين^(١) بالفقيه العابد، وكان براً تقياً واعظاً متعظاً، عرف الشيخ الأمثل بحسن الوعظ والإرشاد إلى طريق الرشاد بأساليب متنوعة يرغبها سائر طبقات الناس، وكانت له المقدرة الواسعة لرقى المنبر بحيث أن وعظه لا يملّ منه وإن طال بالسامع المقام، وحضرنا مجلس وعظه كثيراً، وكان يحضره جل علماء العصر وفضلائه والأخيار وتجار النجف ووجوههم.

ووصفه أيضاً المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(٢) بأنه المتفرد في عصره وأيامه ببلاغ موعظته وبليغ كلامه، والحق أنه لم يتفرد بذلك في خصوص عصره، بل لم يأت له نظير في سائر الأعصار كما قال. ووصفه في موضع آخر من كتبه بأنه العالم الشهير الذي كان لو وعظه أعظم التأثير.

ونتيجة لقدرته الكبيرة على التأثير في النفوس فقد قدر السيد محسن الأمين حضار مجلس وعظه بالألوف^(٣) ومن مختلف الطبقات الاجتماعية والمستويات المعرفية فتجد الفقير إلى جانب الغني، والعربي إلى جانب الفارسي والتركي، والأستاذ إلى جانب الطالب، والحوزوي المبتدئ إلى جانب أستاذه المتقدم، حتى أن عدداً من المجتهدين، بل المراجع كانوا من بين حضار درسه الأخلاقي منهم على سبيل المثال لا الحصر: المرجع الشيخ محمد حسين الكاظمي النجفي، والمرجع الشيخ ميرزا حسين الخليلي، وغيرهما من كبار العلماء كالعالم الزاهد

(١) معارف الرجال: ١/ ١٦٤.

(٢) العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية. الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ١١٥/٢ وما بعدها.

وينظر: عقود حياتي. للمؤلف نفسه: ٢١٥.

(٣) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٩٥/٤.

الشيخ ملا علي الخليلي، والشيخ محمد الزيرجاوي، والشيخ محمد حرز الدين (عم الشيخ محمد حرز الدين مؤلف الكتب العديدة منها (معارف الرجال) و(مراقد المعارف) المتقدم ذكره، وغيرهم من أجلاء العرب والعجم والترك.

ولما سافر الشيخ جعفر إلى إيران وقدم طهران استقبلته الوجوه، وحصل له من التعظيم ما حصل، والتمسوه على الصلاة جماعة بهم، وصلى خلفه الجم الغفير، ولكثرة الزحام بالوافدين للصلاة خلفه جماعة، وضيق المكان بالمؤمنين، بلغت قيمة محل الرجل الواحد مقداراً غير يسير من النقد الإيراني، على ما رواه لنا ثقة جليل، وأهديت إليه الأموال الجزيلة فلم يقبلها، زهداً منه^(١) وتعففاً.

وهناك من طرائق وأساليب الوعظ الأخلاقي وتربية النفوس من غير هذا وذاك مما تقدم، بل من خلال تخصيص جزء من وقت الدرس العلمي - وليس كل الدرس - لتذكير الطلاب بالله ﷻ وعظمته، وجزيل نعمه وإحسانه، وجعل نفوس المتعظين من الحوزويين - ما أمكن - مطمئنة بقدره جل وعلا، راضية بقضائه، مولعة بذكره ودعائه، محبة لصفوة أوليائه، محبوبة في أرضه وسماؤه، صابرة على نزول بلائه، شاكرة لفواضل نعمائه، ذاكرة لسوابغ آلائه، مشتاقة إلى فرحة لقائه، متزودة التقوى ليوم جزائه، مستنّة بسنن أوليائه، مفارقة لأخلاق أعدائه، مشغولة عن الدنيا بحمده وثنائه، كما ورد في زيارة الإمام زين العابدين لجده أمير المؤمنين عليه السلام، مستعينين على ذلك كله بما ورد في كتاب الله العزيز، وسنة النبي محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين عليهم السلام، وسيرهم الطاهرة، وسير العلماء الصالحين الأبرار وكتبهم.

(١) معارف الرجال. سابق: ١٦٤ - ١٦٦.

لقد جرت سيرة قسم من السلف الصالح من العلماء وكبار الأساتذة على عقد مجالس للوعظ والإرشاد، وهذه السيرة المحببة عدّها المرجع المعاصر السيد محمد سعيد الحكيم^(١) أمراً ضرورياً في كل عصر، وفي حق كل أحد مهما بلغ شأنه عملاً بقوله ﷺ: «تذكروا وتلاقوا وتحذثوا، فإن الحديث جلاء للقلوب، إن القلوب لترين كما يرين السيف، جلاؤها الحديث».

وعملاً بهذا الحديث الشريف وغيره فقد درج بعض أساتذة الحوزة العلمية على تخصيص قسم من دروسهم العلمية التخصصية للوعظ والإرشاد لأهمية تهذيب النفوس وتكميلها بالموعظة عندهم اتباعاً لسنة نبيهم الكريم ﷺ وأئمتهم الأطهار، ومن هؤلاء بعض المراجع والأساتذة الكبار سابقين ومعاصرين

فمن المراجع السابقين المرجع الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) الذي كان يحرص في بداية تدريسه الفقه خارجاً أن يستثمر ما أمكنه من وقت للوعظ والإرشاد فقد كان بمجرد أن تجتمع عنده جماعة من طلبته وقبل اكتمال نصاب حضورهم يرقى المنبر ويلقي عليهم حديثاً أخلاقياً ويشرح الحديث^(٢).

ومن المراجع المعاصرين المرجع السيد محمد سعيد الحكيم الذي اعتاد على تخصيص قسم من وقت الدرس الأخير من علم الفقه على مستوى البحث الخارج للوعظ متى سنحت له الفرصة لذلك، وخاصة في يوم الأربعاء لتناول موضوع تربوي أخلاقي مؤثر.

(١) المرجعية الدينية وقضايا أخرى. الحلقة الأولى والثانية. المرجع السيد محمد سعيد الحكيم: ٦٩.

(٢) الكافي. الكليني: ٤١/١.

(٣) ينظر: مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني. الشيخ عبد الله المامقاني: ٤٠٧.

والأمثلة على اهتمام الحوزيين أساتذة وطلاباً بالتربية الأخلاقية كثيرة، سبق أن تم عرض تأثير بعض نتائجها على سلوك طلاب وأساتذة الحوزة العلمية فيما تقدم، لذا فسأكتفي بذكر مثال عن مجاهدة النفس، ومثالين عن (الصبر على البلاء) لبعض من أساتذة الحوزة العلمية ومراجعها كأمودجين على ما تقدم.

أما في مجال مجاهدة النفس فسأكتفي بمثلين؛ **أولهما**: عن سيرة الفقيه المحدث الرجالي الحاج مولى علي بن الخليل النجفي (ت ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م) الحافظ للقرآن الكريم والصحيفة السجادية وغيرهما، بل الحافظ للتوراة والإنجيل يقرأهما باللغة العبرية، وأحد مشاهير علماء النجف الأشرف، ومن أهل السلوك والعبادة.

يقول صاحب (التكملة)^(١): عاشرته زمناً طويلاً في النجف فلم أجد منه إلا ما يذكرنا بالله، كان خشن الملبس، جشب المأكّل، جل قوته السوق، يهسّ - (يخلط) - دقيق الشعير بشيء من التمر ليقتات به، حج بيت الله مرتين بهذا القوت ماشياً، وكان يزور الحسين عليه السلام ببعض خاصته ماشياً، زار العسكريين عليهم السلام، وأنا في جوارهما سنة (١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م)، ونزل عندي، فقدمت له ذات يوم على الغذاء بطيخاً وجبناً وخبزاً، فقال لا آكله. فالتمسته. فامتنع. وأصررت عليه. فأبى. فقلت له إنك في منزلي، وأنا ألتمسك على أكله، فأين الأخبار الماثورة في إجابة المؤمن؟ وأنا مع ذلك ذو عناوين آخر تقضي في الشرع برعايتي، كانتسابي إلى الإمام الكاظم عليه السلام، ومهاجرتي لطلب العلم. هل كل هذا لا أثر له عندك؟ وظهرت عليّ طلائع الغضب، فقال لي: والله لأذيتك عندي أعظم، وقد ألزمتني

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ٢/ ٢٣٩-٢٤٠ نقلاً عن التكملة.

أن أبوح لك بسري. فإني كنت قد عاهدت نفسي، وألزمت شهوتي الحيوانية أن لا أعطيها ما تشتهييه وتميل إليه، وقد خرجت اليوم من الصحن الشريف، وكان هذا البطيخ عند بابه، فصعدت رائحته إلى شامتي، وهشت نفسي إليه، فقلت لها لن أذيقك منه شيئاً، ولا أتابعك في هذه الشهوة الحيوانية. هل أنت ترضى أن أكون ممن اتبع هواه؟ فقلت له: وماذا تأكل اليوم؟ فقال آكل الخيار مع الخبز.

وثانيهما: عن مجاهدة المرجع الشيخ مرتضى الأنصاري لنفسه كمثال على ما ذكرت.

كان للمرجع جار من السادة فقير، وكان يأتي كل يوم ليأخذ طعامه من منزل الشيخ، وإذا لم يحضر السيد الفقير يوماً ما عن أخذ طعامه في الوقت المعتاد، حمل الشيخ المرجع بنفسه طبق الطعام رغم شيخوته ومرجعيته العامة، واتجه به صوب باب جاره الفقير، وفي الطريق حدثته نفسه بالعودة من حيث أتى، لما قد يؤثر ذلك على سمعته كمرجع.

عندها صرخ الشيخ في نفسه لائماً وناقداً لها بقوله: بماذا انخدعت يا مرتضى؟ فإذا كانت السمعة هي السبب فسأريك كيف أعاقبك. ثم نزع العمامة من رأسه ووضع عليها الطبق، وأوصله إلى بيت جاره الفقير، وهو على هذه الحالة الغريبة، بل الشاذة^(١).

وأما في مقام (الصبر على البلاء) فسأذكر مثالين لهذا القسم من أقسام الصبر وخاصة إذا ابتلي المؤمن في أعز ما يملكه الإنسان في حياته الفانية، ألا وهو فقد

(١) الخصائص العلمية والأخلاقية للشيخ الأعظم الأنصاري. السيد محمد علي الموسوي الجزائري. تعريب:

عباس الأسدي. الفكر الإسلامي. العدد: السابع. السنة الثانية. ١٤١٥ هـ: ص ١٤٨.

الابن الصالح في حوادث مأساوية داهمة، في ظرف حاجة الأب الماسة إلى وجود ابنه البار إلى جنبه، خاصة وهو في أرذل العمر.

أول هذين المثالين: الحادث المأساوي الذي ابتلي به المرجع الأعلى في وقته السيد أبو الحسن الموسوي الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) من أنه في يوم من أيام الصراع مع الجيش الإنكليزي المحتل من سنة (١٣٤٩هـ / ١٩٣١م) حيث كان السيد المرجع يؤدي صلاة الجماعة فيما يلي باب الفرج من الصحن العلوي الشريف بحضور الكثير من المصلين بينهم ابنه الفاضل السيد حسن، حتى إذا فرغ السيد المرجع من صلاة المغرب قام الجاني إلى السيد حسن متخطياً رقاب المصلين تحت غطاء الحاجة والمسألة فقتله بسكين طعنه في ترقوته فمات بالوقت نفسه^(١)، فصرخ أحد الحاضرين بصوت عالٍ: قتل السيد حسن ابن السيد المرجع الأصفهاني، فتشتت صفوف المصلين على أثر هذا الخبر المفاجئ المفجع، لكن السيد المرجع ظل مشغولاً بصلاته. وبعد أن انتهى من الصلاة أدار رأسه الشريف نحو محل مصلى ولده خلفه، إذا به يرى ابنه مذبحاً من الوريد إلى الوريد، على يد أحد الأشرار، والدم يشخب من منخره^(٢).

يقول جعفر الخليلي^(٣) المعاصر للحادثة متحدثاً عن موقف السيد أبي الابن الذبيح حين ذبحه: فما تحرك الأب من مكانه..! وما علق على ذبح ابنه بشيء غير حوقلة ما سمعها أحد منه أكثر من مرة واحدة..!!

وفي اليوم الثاني مشى السيد أبو الحسن مع الماشين خلف جنازة ابنه الذبيح،

(١) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء. الشيخ محمد حرز الدين: ٤٧/١.

(٢) مع علماء النجف الأشرف. السابق نفسه.

(٣) هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي: ١١١/١ - ١١٢.

وبعد أداء الصلاة قصد بيت الآخوند -من كبار مراجع النجف يومها- حيث قضى بضع ساعات هناك، لم يره أحد جازعاً ولا باكياً، ولا متجهماً، وكان لصبره، وحلمه، كما كان لجرأته، وقوة إرادته، الشأن العظيم عند متتبعي حركاته وسكناته^(١).

وفي الصباح خرجت النجف لتشيع ابن زعيمها القتل حافين بزعيمهم الرابط الجأش وإذا به يلمح من بعد شيخاً من الشيوخ كان بعث إليه برسالة قبل يومين يخبره فيها بأن زوجته تنتظر مولودها بين يوم وآخر وهو لا يملك ما يستقبل به ضيفه الصغير من أبسط احتياجات الوليد الجديد، فيشير إليه أن يدنو منه، ولكن أتى للشيخ أن يصل إليه وقد أحاط به الناس من كل حذب وصوب، بل أتى له أن يذكره بحاجة وليده المنتظر وهو الذي ذبح ولده أمس أمام عينيه، إلا أن السيد أمر الملتفين حوله بأن يفرجوا له حتى إذا وصل إليه وقبل يده أعطاه السيد ظرفاً تبين أنه كان أعدّه من قبل وفيه المال اللازم لتلبية احتياج الوليد الجديد.

وبعد ساعات وصل الموكب الحزين إلى القبر، ووقف السيد متوكئاً على عصاه ليلقي النظرة الأخيرة على جسد ابنه وساعده الأيمن الذي لم يقدر له أن يكمل الثانية والعشرين من عمره والتراب يواريه وهو يتمتم: اللهم تقبل منا هذا القربان^(٢).

ولم يكتفِ صبره منه بذلك بل زاد عليه فعفا عن ذبيح ابنه، بل توسط طالباً

(١) المصدر السابق: ١٨/٥.

(٢) ينظر: السيد أبو الحسن الأصفهاني سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه العلمية والسياسية.

سابق. ملاحق الكتاب: ٣/ ٥٤٧ - ٥٤٨.

العفو عنه، بل كتب بخطه إلى المحكمة التي تنظر في القضية بذلك وهو ما أثبتته الخليلي عن حاكم النجف آنذاك السيد جعفر حمدي، وقد زار السيد المرجع بعد الفاجعة بقوله: وكانت دهشة الحاكم كبيرة حين رأى الإمام يطلب منه أن يسعى بجهدته إلى العفو عن المجرم إذا ما تألفت المحكمة الكبرى وقال: إنه سيكتب إلى المحكمة بخطه مثل هذا الطلب، وقد فعل^(١).

وليس هذا جديداً على المرجع السيد أبي الحسن، بل بات عفوه عن المذنبين معه مضرب المثل حتى كاد عفوه يطمع الناس فيه بأن يسيئوا إليه، ليعفو عنهم ويغدق عليهم بمعرفته، بل كانت هذه فعلاً طريقة بعض الناس الذين يتخرجون لينالوا معرفته، وهو يعلم ذلك منهم، ومع ذلك لا يتأخر عن الإحسان إليهم والعفو عنهم^(٢).

ثاني هذين المثالين: ما فعله المجتهد المقدس الشيخ علي القمي (ت ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م) يوم قدر له أن يشهد بأم عينيه وفاة ابنه العزيز على قلبه، فصبر صبراً جميلاً، وحمد الله على حسن بلائه، وبعد أن جهزه وكفّنه وصلى عليه وشيّع وأهال عليه التراب، بلغه فجأة وفاة ابنه الثاني، فما كان منه إلا أن سجد لله سجدة ووجهه، وكفّنه وصلى عليه وشيّع وأهال التراب عليه مع أخيه الذي سبقه، ثم أقام مجلس الفاتحة على روحيهما معاً رحمهما الله تعالى^(٣).

تاسع عشر: العمق والدقة والتأني والتثبت في فهم النصوص وتحليلها

(١) هكذا عرفتهم. سابق: ١٨/٥.

(٢) ينظر: أذكياء الفقهاء والمحدثين، الشيخ محمد رضا الحكيمي: ٢١-٢٢.

(٣) ينظر: مع علماء النجف الأشرف: ٢٩٥/٢.

وتفكيكها وتجنب السطحية في النظر إليها ما أمكن، وهو المنهج السائد الذي اعتادت عليه الحوزات العلمية في طريقة البحث وآلياته ومناهجه، وصولاً إلى المعنى المقصود من النص ما أمكن.

وقد قضيت سنّيات من عمري طالباً في حوزة النجف الأشرف، وسنوات كثيرة مراقباً لمناهجها الدراسية، ومتابعاً لأساليب تدريسها، ومستفيداً استفادة مباشرة من عدد من مراجع تقليدها وكبار أساتذتها وفضلائها وطلابها، ثم باحث في ماضي حوزتها وحاضرها ومستقبلها. كما قضيت سنوات من عمري في الدراسة والتدريس على المستوى الجامعي بلندن.

إن ذلك كله يؤهلني لأن أقول: إن العمق في البحث والدقة في التحليل واستفراغ الوسع في الوصول إلى الحقيقة سمات متأصلة في آليات التعلم والتعليم في الحوزة العلمية بما ينعدم نظيره حالياً في الجامعات والمعاهد العلمية المشابهة للحوزة في تخصصها العلمي والمعرفي.

ويمكن للمستطرق استطرافاً عابراً على أي محفل علمي لأي درس من دروس الحوزات العلمية، ولأي أستاذ، سواء أكان ذلك الدرس من دروس مرحلة المقدمات أم السطوح أم البحث الخارج، أن يلحظ ذلك العمق في التحليل، وتلك الدقة في الاستنتاج، وذلك الأفق المنفتح على السؤال بشكل جلي واضح.

وهو ما أشار إليه المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم في جوابه عن سؤال وجهته إليه بقوله: ترتكز مدرسة أهل البيت عليه السلام وثقافتهم على دعامين متأصلتين في كيانهما أذكر أولاهما فقط لعلاقتها بما أريد قوله هنا:

الأولى - وهي ما تهمنا هنا -: الثقافة الحقيقية، والعلم النافع، المبني على قوة الحجة، ودقة الحساب والملاحظة، من أجل الوصول للحقيقة ومعرفة الوظيفة الشرعية، حيث عرفوا بذلك هم عليه السلام وشيعتهم من العصور الأولى، وتميزوا به عن غيرهم في تعاليمهم، واحتجاجاتهم، ومخاصماتهم، وأحاديثهم في مجالسهم وخطبهم وأشعارهم^(١).

ومن الشواهد على ذلك وهي كثيرة جداً عند أساتذة الحوزة العلمية وعلمائها ومصنفها ما نراه ونشاهده في كتبهم ومؤلفاتهم من استفراغ الوسع في البحث والاستقصاء والتتبع والمناقشة قبل الانتهاء إلى الرأي المختار. وأن أدنى سبر لكتبهم ومؤلفاتهم يظهر ذلك بوضوح.

وإذا كان لي أن أضرب مثلاً على ذلك فسأستشهد بأمثلة ثلاثة:

أولها: بما دأب عليه سماحة المرجع الشيخ محسن خنفر^(٢) (ت ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٤م) خلال بحثه الفقهي، فهو حين يتناول حديثاً شريفاً يبدأ أولاً ما يبدأ بتفكيك لغة النص فيتعرض بتفصيل وافٍ لما يستفاد من ألفاظه وما فيه من الحقيقة والمجاز والفصاحة والبلاغة، ثم يعرضه على القرآن الكريم، فيعرج بعدها على رجال سنده من حيث الجرح والتعديل، فإذا تم له ذلك انتقل إلى بيان فقه الحديث وما يستفاد منه، ينتقل بعدها إلى الجمع بين الأخبار مستعيناً على ذلك بذاكرته القوية التي مكنته من حفظ جميع أحاديث الكتاب الحديثي الكبير (وسائل الشيعة إلى أخبار الشريعة) للشيخ الحر العاملي بأجزائه العديدة سنداً

(١) المصدر نفسه: ٤٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤٠.

ومتناً، حتى أنه كان يضبط مواضع اشتباه العطف بالواو أو الفاء، إلى غير ذلك من التحقيق والتحري والتتبع والتحليل الواسع بما قد يستمر أسبوعاً كاملاً.

ثانيها: بما أوضحه أحد مدرسي كتاب (المكاسب)^(١)، للمرجع الأعلى في وقته سماحة الشيخ مرتضى الأنصاري، ذاك الذي دأب فيه -حاله حال فقهاء شيعة أهل البيت عليه السلام الآخرين جميعهم- على سُنّة مفادها أنه لا يقدم على الإفتاء إلا بعد التحقيق التام مما انتهى إليه رأيه، فيذكر الأقوال الواردة في المسألة محل البحث وأدلتها، ثم يشكل على الأقوال، ويجيب عن الإشكالات، وينقض ويرم، ويضعف ويقوّي، ويوهّن ويؤيد إلى أن يبلغ بالبحث منتهاه، والكلام في المسألة غايته.

بل قد يذهب الشيخ الأنصاري إلى أبعد من ذلك فيضيف لأدلة الرأي المخالف لرأيه أدلة أخرى من عندياته، أو قد يعمّق أدلتها. عندئذ يذكر رأيه فيها.

وفي بعض الموارد حين يتأبى عن الإفتاء يصرح باحتياجه إلى مزيد من التأمل فيها كي ينتهي منها إلى رأي يعتمد، كما فعل خلال بحثه في التنبيه الثالث من تنبيهات بيع المكيل والموزون قبل قبضه قال: والمسألة تحتاج إلى فضل تتبع، والله الموفق^(٢).

وفي باب بيع الوقف تعرض الشيخ المصنف لمكاتبة ابن مهزيار إلى الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام، وذكر في ذيلها أن الأظهر في مدلولها هو إناطة الجواز

(١) مع معلم الأخلاق في صفحات المكاسب. علي الكريمي الجهرمي. مجلة الفكر الإسلامي. مجمع الفقه الإسلامي. العدد السابع. السنة الثانية. ١٤١٥ هجرية: ص ٧٤-٧٥.

(٢) المكاسب. الشيخ مرتضى الأنصاري. القسم الثالث: ٣١٨.

بالاختلاف الذي ربما جاء فيه تلف الأموال والنفوس... إلى أن قال: ويبقى الكلام في تعيين الاحتمالات في مناط الجواز، وقد عرفت الأظهر منها، لكن في النفس شيء من الجزم بظهوره، فلو اقتصر على المتيقن من بين الاحتمالات، وهو الاختلاف المؤدّي علماً أو ظناً إلى تلف خصوص مال الوقف ونفوس الموقوف عليهم كان أولى^(١).

ويمكن لكل باحث أن يتأكد من شدة التحرج في الفتوى عند فقهاء ومراجع شيعة أهل البيت عليه السلام إذا كانت تلك الفتوى لم تستكمل كل مقومات الإفتاء بحسب قناعة الفقيه التامة بينه وبين خالفه عليه السلام، وذلك من خلال ملاحظة أيّ من كتبهم الاستدلالية الموسعة، أو من خلال استعراض أيّ من رسائلهم العملية المؤلفة لعمل مقلديهم ومتابعة حجم الاحتياطات الوجوبية والاستحبابية، و(الرسائل العملية) كثيرة ومنتشرة.

ثالثها: بما أورده المرجع الأعلى في وقته سماحة السيد محسن الحكيم^(٢) في كتابه (حقائق الأصول) عن غوص بعض محققي الفقهاء غوصاً عميقاً في تحليل النصوص وسبر أغورها بقوله: حدّث (بعض الأعظم) دام تأييده^(٣) أنه حضر يوماً منزل الآخوند (ملاً فتح علي) مع جماعة من الأعيان منهم السيد إسماعيل الصدر، والحاج النوري صاحب (المستدرک)، والسيد حسن الصدر، فتلا الآخوند قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

(١) المصدر السابق. القسم الثاني: ١٧٤.

(٢) حقائق الأصول. السيد محسن الحكيم: ٩٦/١.

(٣) يقصد به المرجع الشيخ محمد حسين النائيني أحد مراجع حوزة النجف الأشرف وأساتذتها الكبار. أما قوله (دام تأييده) فتشير إلى أن راويها كان حياً خلال نقل هذه القضية عنه.

حَبَبَ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ... ﴿١﴾ الآية^(١)، ثم شرع في تفسير قوله تعالى: ﴿حَبَبَ إِلَيْكُمْ...﴾ الآية، وبعد بيان طويل فسرها بمعنى لَمَّا سمعوه منه استوضحوه، واستغربوا من عدم انتقاهم إليه قبل بيانه، فحضروا عنده في اليوم الثاني ففسرها بمعنى آخر غير الأول، فاستوضحوه أيضاً، وتعجبوا من عدم انتقاهم إليه قبل بيانه، ثم حضروا عنده في اليوم الثالث، فكان مثل ما كان في اليومين الأولين، ولم يزلوا على هذه الحال، كلما حضروا عنده يوماً ذكر لها معنى إلى ما يقرب من ثلاثين يوماً، فذكر لها ما يقرب من ثلاثين معنى، وكلما سمعوا منه معنى استوضحوه.

عشرون: إن الأستاذ الواقعي في الحوزة العلمية لا يكتفي بدقة عرض آراء المخالفين له من مصادرها الأصلية، ومن ثم مناقشتها رأياً رأياً، مناقشة علمية دقيقة، بل قد يذهب إلى أبعد من ذلك فيدعم حجج مخالفه رأيه بأدلة أخرى إضافية فاتت القائلين بها، تعزيزاً لها، وتقوية لحجتها، حتى إذا تم له ما أراد بدأ بدحضها حجة حجة، ودليلاً دليلاً، لينتهي بعد الإجهاز عليها إلى ما أراد إثباته.

من ذلك مثلاً ما تقدم ذكره من أن الشيخ الأنصاري كان يضيف لأدلة الرأي المخالف لرأيه أدلة أخرى من عندياته، أو قد يعمّق أدلتها.

ومثله ما ذهب إليه السيد محمد جعفر الحكيم في تناوله التحليلي لكتاب (الأصول العامة للفقهاء المقارن) للسيد محمد تقي الحكيم بقوله: ومن ملاحظة جميع ما تقدم في البحث عن هذين الأصلين المهمين من أصول الاستنباط الفقهي - الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليه السلام - يتجلى بوضوح

(١) سورة الحجرات. آية: ٧.

التزام السيد التقي الحكيم بالمنهج الذي اختطه لنفسه في مقدمة مؤلفه القيم (الأصول العامة للفقهاء المقارن)، حتى في المسائل التي يختلف فيها مع أصحابها في الرأي، بل كان له فضل الريادة في ذلك، فنراه قد يستدل لهم بحجج لم يتوصلوا إليها تقوية لمطالبهم، كما صنع آنفاً في دليل الانسداد، وهذه منتهى الغاية في المرونة والتحلي بروح العالم المثبت الذي يهيمه تحقيق الحقائق، وإن كانت مخالفة لاختياراته أو رغباته، فالحق رائده، ويتبعه أينما وجدته، وعند أي كان^(١).

واحد وعشرون: الإخلاص لله ﷻ في كل قول أو فعل متغلباً على هوى نفسه النزاعة إلى الثناء والمدح وحب الظهور ما أمكنها إلى ذلك سبيلاً: إن الحوزوي الواقعي منازع لهوى نفسه وشهواتها، مصارع لملذاتها ونوازعها ورغباتها في المدح والثناء وحب الظهور والفخر والسمعة الحسنة من أي طريق جاءت ولو بغير الأمور الواقعية.

وإذا كان لي أن أستشهد بمثل على هذا الإخلاص ومجاهدة هوى النفس مما تقدم فسأستشهد بما نقله المرجع الشيخ محمد تقي الفقيه عن أستاذه المرجع الأعلى في وقته الإمام السيد محسن الحكيم قبل تصديه للمرجعية.

ذكر الشيخ محمد تقي الفقيه^(٢): حدثني الأستاذ آية الله السيد محسن الحكيم قبل سنوات خلت وقال: مرضت مرضاً شديداً واستولى عليّ الضعف والانهيار وأعمى الأطباء أمري حتى قال لي أحد الأطباء: إنك حملت جسمك من المتاعب أضعاف ما يتحملة ولا دواء لك إلا بالراحة والاستجمام بتغيير المناخ (...)

(١) السيد التقي الحكيم رائد البحث الأصولي المقارن على صعيد الإسلام. السيد محمد جعفر الحكيم:

١٣٦-١٣٧.

(٢) حجر وطن. سابق: ٢١٦/٢ - ٢١٧.

ومن الصدف أن الحاج حسن بزي وهو أحد وجهاء بنت جبيل وأثريائها جاء للعراق لزيارة المشاهد المقدسة، فدعاني إلى الذهاب معه إلى جبل عامل، فأجبت، فصحبني معه وقد استدنت مقداراً من الروبيات من بعض التجار وصحبته معي من أجل النفقة (...). وقد لبثت في جبل عامل منذ أواخر ذي الحجة سنة ١٣٥٠ هجرية إلى شوال سنة ١٣٥١ هجرية.

قال السيد: عندما وصلنا إلى بنت جبيل أقبل الناس للسلام علينا، وكنت مرهقاً صحياً مضافاً إلى متاعب السفر، وفي ذلك النهار أقبل جمع ومعهم شيخ - لم يسمّه - وهم على الطراز الحديث، فسلم، وجلس وشرع في مسألة تتعلق بآية الوضوء قائلاً: كنت أنا وفلان، وتذاكرنا في هذه الآية، وصعب علينا الخروج من الإشكال.

يقول الشيخ الفقيه الناقل للخبر وهو الخبير بأحوال المنطقة: كان الغرض من السؤال هو الامتحان، لأن المذاكرة بين أهل العلم بالنسبة للوارد الجديد إذا كانوا لا يعرفونه شيء لا بدّ منه في جبل عامل والمقصود منه اكتشاف مكانة الوارد العلمية.

قال السيد: فقلت له هذه آية أم آيتان؟ فقال آية. فقلت: بل آيتان.

إحدهما في سورة (المائدة آية ٦)، والأخرى في سورة (النساء آية ٤٣)، ثم تلوتهما عليه، وذكرت الفرق بينهما، وأوضححت الإشكال، وعندما هممت بالجواب، فطنت إلى أن مقصوده الامتحان، فتوجهت إلى الله سبحانه، وآثرت السكوت، لأنني لا آمن على نفسي من الخروج عن نطاق الإخلاص، فسكت واعتذرت بالتعب الشديد والإرهاق، فصاح به كل من في المجلس: أزعجت

السيد، واعتقدوا أنني أحفظ القرآن وتفسيره ورقم الآيات.. وهذا من أعظم النجاح المعنوي بالنسبة للسيد في تلك الساعة (...).

قلت: -أي الشيخ الفقيه- ذكر ذلك السيد ليبرهن على أن الله يرفع من أخلص إليه بأسباب بسيطة، ويضع من تجرد عن الإخلاص مع إتقان أسباب الرفع.

ثنتان وعشرون: إن العالم الحقيقي الذي نذر نفسه لله وَعَلَىٰ وتحقيق مرضاته من خلال درسه وتدريسه لا يتصدى للمرجعية إلا إذا تأكد بأنه أعلم من غيره من علماء عصره في استنباط الأحكام الشرعية، وأنه بات عليه أن يتصدى لبيان تلك الأحكام للمؤمنين.

وهناك أمثلة عديدة على ذلك أذكر منها أن المرجع الأعلى في عصره سماحة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) (ت ١٢٦٦ هـ / ١٨٥٠ م) حين حضرته الوفاة وجمع العلماء ليقلد الشيخ مرتضى الأنصاري أمر المرجعية العليا بعده في قصة معروفة، تقدم ذكرها، حيث تريت الشيخ المرشح في قبول الترشيح أول الأمر قائلاً: أنا لست أعلم ظاناً أن هناك من هو أعلم منه، ولو في دولة أخرى، وهكذا بقي مترثاً، ولم يستقر له بال حتى كتب إلى المجتهد الذي ظن أنه أعلم منه وأدق نظراً ليتولى أمور المرجعية، وهو المجتهد سعيد العلماء المازندراني، فراسله في ذلك، وعرض عليه الأمر فكتب سعيد العلماء المازندراني في جواب عن رسالة أرسلها له الشيخ الأنصاري يخبره فيها بتقديمه إياه على نفسه في المرجعية وزعامة المسلمين، لأنه أعلم منه ما نصه: أجل الأمر كما تفضلتم وذكرتم، وكنت أعلم وأدق حينما

كنت هناك مشغولاً بالدراسات، لكن هناك شيء مَيِّزٌ عني، وهو استمرارك في الاشتغال بالبحث والتدريس والتأليف والتصنيف، وتركيب البحوث والدروس لاشتغالي بمهام الأمور من حلّ القضايا وفصلها، فأنت أعلم مني، فالواجب على الطائفة تقليدك وتسلمك أمور الزعامة والمرجعية^(١).

وإذ قرأ الشيخ الأنصاري جواب رسالته قامت البيّنة الشرعية عنده على أعلميته، فتقبل هذا التكليف الإلهي والمسؤولية الخطيرة^(٢).

ولا يخفى أن هناك من ادعى ما لا يستحقه فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ثلاث وعشرون: إن الحوزة العلمية النجفية مستقلة في قرارها السياسي والثقافي والمادي وغيره الاستقلال كله، ومستقلة أيضاً في إدارتها الذاتية، ومنهجها التعليمي، ومواردها التي تعتمد على الحقوق الشرعية أولاً، وعلى الدعم الشعبي التطوعي للمؤمنين من خلال الهدايا والهبات وأنواع الدعم الأخرى ثانياً.

لقد شرع مراجع التقليد منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري بإجراء رواتب شهرية منتظمة غالبيتها العظمى من موارد الحقوق الشرعية على طلبة الحوزة بعضها نقدي، وبعضها عيني كالخبز واللباس، ومجموعها لا يسدّ الرمق، وإن كان يخفف من الضغط والعوز المادي شيئاً ما. وقد قطع العيني منها في وقتنا الحاضر^(٣).

وإذا كان لي أن أضرب مثلاً على ذلك فسأستشهد بما حدث من ضغوطات على المرجع الأعلى في وقته السيد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٧م)

(١) الشيخ الأنصاري من خلال آراء الفقهاء والعظماء والمؤلفين. محمد جواد الطيبي: ٨-٩.

(٢) لمحات من حياة الشيخ الأنصاري. سابق. ٢٠.

(٣) ينظر: حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري. سابق: ٤٢.

كي يغيّر فتواه بحرمة (التدخين) في إيران الصادرة سنة (١٣٠٩ هـ / ١٨٩٤ م)، تلك الفتوى التي هددت مصالح حاكم إيران ناصر الدين شاه والشركة البريطانية المتعاقدة معه على احتكار زراعة التبغ الإيراني في مسعى بريطاني للسيطرة على المقدرات الاقتصادية لإيران.

وإذ رفض المرجع الأعلى الاستجابة للضغوط الإيرانية يوم أصدر الشاه أمراً باسترضائه ببذل الأموال الطائلة وتحقيق الأمنيات الكبيرة، جرب البريطانيون حظهم بإقناع السيد الشيرازي بالعدول عن فتواه هذه المرة، فكان آخر حديث له مع وفدهم الزائر قاطعاً حين قال لهم: لو تملؤا لي الدنيا ذهباً وفضة لم يكن الأمر الذي تريدون^(١) وهناك أمثلة عديدة أخرى لمراجع عديدين أشرت إلى بعضها في كتابي المخطوط الموسوم بـ(دور مرجعية النجف الأشرف السياسي في العراق منذ مطلع القرن العشرين وحتى الانتخابات العامة المباشرة في ١٥ / ١٢ / ٢٠٠٥ م).

ولئن فشلت السلطات الرسمية التي حاولت مراراً التدخل في الشأن السياسي أو المادي للحوزة العلمية في النجف الأشرف، فإن تاريخ الحوزة العلمية النجفية هو الآخر لم يشهد حالة ما لتدخل رسمي في نظامها التربوي، منهجاً أو طرائق تدريس أو شبهه، أياً كانت جهته، وأياً كانت الضغوط المصاحبة له.

إن حوزة النجف الأشرف لا تشترط شهادات لمتسببها، ولا تمنح شهادات أو وثائق لخريجها، ولا تسعى، ولا تبحث، ولا تريد من أية جهة رسمية أو غير رسمية أكاديمية أو غير أكاديمية الاعتراف بها، بل إن الحوزة تنأى بنفسها عن ذلك النأي كله، لعدم احتياجها إليه من جهة، ولمعرفتها بالمستوى العلمي الرصين

(١) ينظر: معارف الرجال. سابق: ٢ / ٢٣٥.

لطلابها الذي غالباً ما يفوق مستويات من يمنح الشهادات للطلاب في بعض الجامعات ذات الاختصاص المشابه من جهة أخرى، ولغير هذه وتلك ثالثة.

أربع وعشرون: لما كانت الدراسة الحوزوية في حوزة النجف الأشرف ومثيلاتها في الحوزات الأخرى تهدف بالدرجة الأساس إلى تحقيق رضا الله ﷻ في كل قول أو فعل، كما تقدم. فقد بات من الطبيعي أن لا تخاف أو ترجو إلا إياه سبحانه وتعالى وإن أدى تحصيل ذلك الرضا إلى ما أدى إليه.

وليس أدل على ذلك مما قدمه مراجع وعلماء الحوزات العلمية وفضلاؤها، أساتذة وطلاباً، من شهداء في طريق الله على خلال تاريخها الطويل.

ولذلك فإن حكام الشريعة من مجتهدي الحوزات العدول المتقين لا يسعون إلا إلى تحقيق العدل والإنصاف حين يقضون، وفق أسس الشريعة الإسلامية، وإن جلت الضغوط عليهم كي تحول بينهم وبين القول بالحق، فهي لا تشيهم عن صراط الحق المستقيم، وإن جلت عليهم التهديدات وعظمت، متبعين في ذلك نهج إمامهم العادل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد صدق الخضر عليه السلام حين خاطبه يوم استشهاده عليه السلام بقوله: رحمك الله يا أبا الحسن.. الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، شأنك الحق والصدق.

وكيف لا يكون عليه السلام كذلك وهو القائل كما في (نهج البلاغة)^(١): «وَاللَّهِ لَأَنْ أَبَيْتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّداً، أَوْ أُجِرَ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّداً، أَحَبُّ إِلَيَّ

(١) نهج البلاغة. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. خطبة رقم: ٤٢٢.

مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ، وَعَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْخَطَامِ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى الْبَلَى قُفُولُهَا، وَيَطْوُلُ فِي الشَّرِّ حُلُولُهَا؟! وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا وَقَدْ أُمْلَقَ حَتَّى اسْتَسَاحَنِي مِنْ بَرِّكُمْ صَاعًا، وَرَأَيْتُ صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبَرَ الْأَلْوَانِ، مِنْ فَقْرِهِمْ، كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وَجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ وَعَاوَدَنِي مُوَكَّدًا، وَكَرَّرَ عَلَيَّ الْقَوْلَ مُرَدَّدًا، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي، فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي، وَاتَّبَعَ قِيَادَهُ مُفَارِقًا طَرِيقِي، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً، ثُمَّ أَذْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبَرَ بِهَا، فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنْفٍ مِنَ أَلَمِهَا، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا، فَقُلْتُ لَهُ: تَكِلْتُكَ الشَّوَاكِيلَ يَا عَقِيلُ أَتَيْتُنْ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلْعَبِيهِ، وَتَجَرَّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعُصْبِهِ. تَتَنُّ مِنَ الْأَذَى وَلَا أَتُنُّ مِنْ لَظَى؟ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا، عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ، وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا، مَا لِعَلِّي وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى، وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى».

وشواهدي على ذلك من حاضر وماضي الحوزات كثيرة منها على سبيل المثال ما ورد في ترجمة المجتهد الشيخ عبد النبي الجزائري^(١) (ت ١٠٢١هـ / ١٦١٣م) صاحب كتاب (حاوي الأقوال في معرفة الرجال) من أنه كان متصلباً في الدين، لا يرضخ للسلطة، ولم يخش القوة، يحكم بالحق ولو بإزهاق نفسه وإتلاف وجوده، وإذ تحاكم مرة عنده طائفتان عظيمتان من أهل بلده في مزارع ونخيل وبساتين عظيمة كانت تحت أيديهما وهي تزيد على عشرة آلاف جريب، ولكل

(١) ينظر: ماضي النجف وحاضرها: ٨٨ - ٨٩.

منهما بيّنة تعارض الأخرى، حكم لذوي البيئة الخارجة، وانتزع لهم جميع ذلك، وكان المدّعون في غاية الضعف، وواضعو اليد في غاية القوة، وهي في أيديهم نحواً من عشرين سنة. وغير هذه القضية كثير لا مجال لاستعراضها هنا.

خمس وعشرون: ترفع المراجع وكبار العلماء عن استقبال أو زيارة الملوك والحكام والأمراء وكبار المسؤولين الذين يفدون لزيارة النجف الأشرف، بل ويرفض المراجع استقبالهم أحياناً، وإن طلبوا ذلك، ورغبوا به، وأصروا عليه، عملاً بالقول الماثور: إذا رأيت العلماء على أبواب الملوك فقل بئس الملوك وبئس العلماء، وإذا رأيت الملوك على أبواب العلماء فقل نعم الملوك ونعم العلماء. وأمثلة ذلك كثيرة أذكر منها: ما حصل بين المرجع الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م) وشاه إيران ناصر الدين شاه القاجاري، خلال زيارة الأخير للنجف الأشرف، حيث رفض المرجع الشيرازي الخروج لاستقباله، بل وزيارته بمناسبة قدومه للنجف الأشرف، ما اضطر الشاه إلى إرسال وزيره إلى بيت السيد المرجع عاتباً وطالباً بزيارته فأبى المرجع ذلك، ولما ألح عليه الوزير قال: اجتمع معه في الحضرة العلوية، وكان ذلك يوم انتهاء زيارة الشاه للنجف، وأخال أن السيد المرجع كان يقصد هذا التوقيت، وهو ما كان.

يقول المجتهد المؤرخ السيد محسن الأمين خلال ترجمته للمرجع السيد محمد حسن الشيرازي ذاكراً زيارة ناصر الدين شاه القاجاري، شاه إيران للنجف سنة (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) وكان الوالي على بغداد يومها مدحت باشا الشهير، وأن المرجع السيد الشيرازي لم يخرج لاستقباله ولم يزره، ولم يقبل هديته، فأرسل

الشاه وزيره حسن خان إليه يعاتبه، ويطلب منه أن يزوره، فأبى، فقال له الوزير: لا يمكن أن يأتي الشاه إلى النجف ولا يراك، فهل تترقب أن يجيء الشاه لزيارتك، فقال له: أنا رجل درويش، مالي وللملوك، فقال: هذا لا يمكن، ولما ألح عليه، قال: أجمع معه في الحضرة الشريفة العلوية، فاجتمعا هناك وصافحه الشاه، وقال له: تفضل وزر حتى نزور بزيارتك، فتلا المترجم الزيارة وتابعه الشاه وافترقا^(١).

وقد أشار الشاه في مذكراته إلى هذه القصة التي حدد تاريخها بيوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان من سنة (١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م)، خلال زيارة وداعه الأخير للحضرة العلوية الشريفة، يوم انتهاء زيارته للنجف، معرضاً عن ذكر مقدماتها، بقوله: أدينا الزيارة بكمال التأسف والحسرة، وهناك التقينا بالمرزا حسن الشيرازي، وهو من كبار العلماء، حيث لم يأت لاستقبالنا، ولم نره مدة إقامتنا في النجف، وقد جاء معه مشير الدولة إلى الصحن، وهناك التقيت معه، وهو عالم صالح تقي، وتوسمت فيه الصلاح، ويقال إنه عالم ذكي جداً، وهو يشبه المرحوم الشيخ سعدي الشاعر الشيرازي، تحدثنا قليلاً، وقرأ لنا دعاء، ثم خرجنا وركبنا وذهبنا إلى خارج المدينة عن طريق وادي السلام، وكانت هناك أعداد كبيرة من الناس (...) انطلقت الصلوات بأصوات عالية، وهذا يعني أنهم لم يكونوا راغبين بمغادرتنا البلدة^(٢).

ولم يقتصر ترفع المراجع وكبار أساتذة الحوزة العلمية على زيارة الملوك والرؤساء وكبار ساسة الدول الأجنبية الذين يؤمّون النجف الأشرف لزيارة

(١) أعيان الشيعة. السيد محسن الأمين: ٣٠٥ / ٥.

(٢) العراق في مشاهدات ناصر الدين شاه. سابق: ١٨١.

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بل يشمل ذلك الملوك والرؤساء وكبار سياسيي العراق أيضاً، بل هم الأساس والأولى في ذلك، وأمثلته كثيرة سأحاول أن لا أقتصر على ذكر أنموذج واحد لها للأهمية.

من ذلك مثلاً امتناع المرجع الأعلى في حينه سماحة السيد أبي الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) ليس عن زيارة ملك العراق فيصل الأول حين أمّ النجف الأشرف، بل للالتقاء به حتى وإن أريد للقاء أن يتم في الحضرة العلوية الشريفة خلال فترة وجود المرجع الأعلى فيها للصلاة والعبادة.

وقد دون الشاعر العراقي الكبير محمد مهدي الجواهري هذه الحادثة في (مذكراته) تحت عنوان (خلاف في النجف).

يقول الشاعر الجواهري الذي كان يومها في الديوان الملكي للملك فيصل الأول ملك العراق، وقد جاء بمعيته لزيارة النجف الأشرف ما يأتي: تناهى إلى الملك فيصل وهو في النجف قادماً من بغداد بعد زيارة كربلاء التي مرت الإشارة إليها، أن الإمام السيد أبا الحسن، يشكو وجعاً في عينيه، يمنعه من الخروج. فاستدعاني إليه، طالباً أن أذهب، بصحبة مرافقه العسكري (خالد الزهاوي) إلى بيت الإمام وأبلغه سلام الملك عليه، واستفساره عن صحته.

كنت على بينة من مثل هذه الأمور، وخاصة هذا الأمر بالذات، وأني لأعلم علم اليقين أن السيد الإمام أبا الحسن، في أثناء زيارة الملك الأخيرة هذه للنجف، خرق مألوف العادات.

ففي مثل هذه الزيارات، كانت الطليعة من العلماء، وخصوصاً السيد أبو الحسن، والشيخ النائيني (وهما أعلى مرجعين دينيين في النجف وفي العراق كله عهد ذاك)، لا يزورون الملك فيصل في الاستراحة، ولا هو يزورهم في بيوتهم.

عوضاً عن الزيارة المباشرة، كان ثمة ترتيب وسط، مادام خير الأمور أوسطها، وهو أن يقوم الملك بزيارة الحرم العلوي في النجف، في الوقت الذي يكون خلاله السيد أبو الحسن أو الشيخ النائيني يصليان أو يتعبدان هناك، ويرتب اجتماع في ركن من أركان الحضرة العلوية.

في الزيارة الأخيرة للملك فيصل لم يحضر أبو الحسن، وتعلل بالمرض، الواقع أنه كان غاضباً من الملك، لأن طلباً له لم يلبّ سريعاً وهذا كثير على السيد الإمام، نظراً لأنه وبالرغم من مستوى منزلته تلك، لم تكن له مطالب دنيوية البتة، كما نجدها عند الآخرين، لكن مبتغاه كان هو أن يمد جسر جديد فيما بين جانبي نهر دجلة باتجاه سامراء يعين زوار العتبات المقدسة ويجنبهم مشقة الجسر العتيق، غير أن تسويفاً قد حصل، وكان السيد أبو الحسن مغضباً لذلك، فلم يأت إلى الحضرة العلوية. وعليه، كان لا بدّ من صورة مقبولة من صور المجاملة تزيل الجفوة وتسد الفجوة وتصلح ما فسد، أي أن تذهب، باسم الملك، لزيارة السيد أبي الحسن^(١).

ويضيف الجواهري قائلاً: توجهت إلى خالد، وقلت له أن (شد حزامك يا أبا الوليد). ذهبنا سوياً في صيف قائظ. وأحبّ خالد، كما أحببت، أن أريه بعض معالم المدينة (...) زرنا بعض المواقع، وبعض المعالم، ومنها القباب الزرق (...) ونحن في طريقنا إلى ما يشبه الزقاق، حيث يوجد بيت قديم لا يتميز بشيء عما حوله، بيت عادي لا يخطر ببال من يراه، إنه بيت هذا العلم الشاخص السيد (أبو الحسن)، جفل خالد مستغرباً، كما لو كان ينتظر أن يطل على قصر منيف على غرار البيوت الدينية في بغداد. لعجبه، ولدهشته، وجد داره صغيرة، لا حارس على بابها،

(١) مذكراتي. محمد مهدي الجواهري: ٢٢٤.

ولا خادم فيها يقف على خدمة هذا العالم الجليل.

طرقنا الباب طرّقاً خفيفاً، فخرج رجل أشيب كريم الوجه. سلمنا عليه، وأخبرناه أننا أتينا من عند جلالة الملك فيصل إلى السيد للاستفسار عن صحته، وعينيه الكريمتين.

دعانا إلى الجلوس، وإذا بحصيرة نظيفة فقط في صحن الدار، وعليها وسادة خفيفة من القطن، ومتكأ خفيف. وهناك سلم قصير الدرجات إلى ما يسمى بطابق ثانٍ، حيث مقر السيد الإمام، وهو في الواقع طابق لا يرتفع عن الأرض إلا قليلاً.

بعد لحظات، نزل السيد بتوئدة (...) وكما تقتضي الأعراف، قبلت يد السيد، وحذا (خالد) حذوي، وجلس الإمام المهيب، الوقور، وقلت له: (سيدنا، انا فلان، ابن الشيخ عبد الحسين) وكان ذا علاقة وطيدة بوالدي وأنا نفسي ذو علاقة مثلها بولده الشهيد (حسن) الذي يكنى به من أيام الزمالة وعهد الصبا، وعلاقته تلك استمرت حتى وفاة والدي قبل أن ينفرد السيد بالإمامة، وكان أيامها من المرشحين لها (وهذا السيد خالد الزهاوي معي، وهو مثلي من عائلة دينية معروفة)، شيء جميل أن يكون الزهاوي من بغداد والجواهري من النجف.

قلت: (جنّا لخدمتك مبعوثين من جلالة الملك فيصل الذي يسأل عن صحتك، ويستفسر عن سلامة عينيك، ويتمنى لك الشفاء).

وبعد أن خصني بالترحيب لمجرد هذا الانتساب، رد الرجل علينا بكلمة أو كلمتين: (أهلاً وسهلاً بكم... أبلغاه سلامي)، قالها باقتضاب بالغ، فهمنا منه بطبيعة الموقف أن قد انتهت الزيارة.

أشرت إلى خالد إشارة خفيفة، وقلت للسيد أبي الحسن، (نستأذنكم سيدنا).
أجاب: (مع السلامة). وانتهى كل شيء وخرجنا.

بعد أن صرنا في الزقاق، وأخذنا طريقنا عائدين، أبدى خالد بشيء من الحماس إعجابه بالسيد الجليل، وبدهشته مما كان، فقد كان يتمنى أن يرى الصورة الصادقة للإمامة، الصورة التي كان يتخيلها كما يجب أن يكون عليه الدين والمتدينون، والعبادة والعابد، والزهد والزاهد الصادق فيه، وببساطته إلى جانب مقامه الرفيع، وكان مغتبطاً لهذه الزيارة، فقد أعطته الصورة الجليلة التي أرادها^(١).

ويستمر الجواهري ناقلاً عن السيد (خالد الزهاوي) المرافق العسكري للملك فيصل، ما نصه: حدثني -خالد الزهاوي- وهو يمثل الشخص ونقيضه، ومن باب المفارقات البعيدة، بل والمتناقضة، بحديث عجيب عن هذا النقيض، فقد كان في العاصمة رجل دين ذو منصب لا يقل -لو صحت المقارنة- عن منصب السيد (أبي الحسن)، لقد كان هذا الفقيه المتدين يوزع علينا الحلوى -والحديث لخالد- نحن معية الملك فيصل بين الآونة والأخرى في زيارته المتعددة، ويرشنا بالعطور، وبكل بدهة كان كل واحد منا يفهم أنها تمهيد لمساعدته في مقابلة الملك فيصل.

وذاث مرة جاء (الشيخ) على هذا النحو. وكان أحد المرافقين (خير الدين العمري) وهو من أبناء الموصل، من عائلة العمري الشهيرة، ثائراً، معربداً، جريئاً، وكان يمقت هذا الرجل وتصرفاته تلك، ويصادف أن يكون يوم زيارة المندوب السامي إلى الملك فيصل كما هي العادة هو اليوم نفسه الذي يكون فيه رجل الدين

(١) المصدر السابق: ٢٢٦.

الأول قد جاء هو بدوره ليوزع الحلوى، ويرش العطور، فلم يكن من الشاب العمري إلا أن يرتجل فكرة بعيدة عن الارتجال، وان يجري عملية استئصال الزائدة، فقد كان رجل الدين هذا يصطنع التمشي، كما اعتاد في الردهة المتصلة بباب مقر الملك فيصل، متعمداً أن يكون ذلك حين وصول المندوب السامي، عسى أن يسأل بعد ذلك عنه وعن مكانته، فأوعز (العمري) إلى الخدم -وما يزال الحديث لخالد- أن يدفعوا بالشيخ لحظة يدق الطبل إيذاناً بمقدم المندوب السامي إلى حجرة (دورة المياه)!! وفعلاً، وباستجابة عاجلة نفذ المأمورون مهمتهم، ودفعوا به إلى حيث أراد (العمري)، واغلقوا الباب عليه، ولم يفرجوا عنه إلا بعد أن كان ما بين المندوب السامي والملك قد انتهى، معتردين منه بلباقة: (العفو مولانا، اخطأنا)، ويقتحم الشيخ باب الملك فيصل، ويقصّ عليه ما كان من أمر (العمري)، فيتظاهر الملك فيصل بالاستياء من هذا العمل النابي الذي ما كان ينبغي أن يحصل، ويعده بمعاقبة (العمري)، ويبلغه أسفه الشديد.

وبعد خروج (الشيخ)، استدعى الملك فيصل (العمري) وقال له بالحرف الواحد: (جزاك الله خيراً، ونعم ما صنعت!).

كان (خالد) يقصّ هذه الواقعة التي لطف كثيراً من حروفها من باب المقارنة بين هذه الصورة من التعلق بالدنيا، والصورة الثانية من التعلق بالدين، وقال لي: (لا ورب الكعبة، لن انسى حتى الممات هذه الصورة)^(١).

أوردت هذه الحادثة بطولها لما انطوت عليه من شذرات جديرة بالوقوف عندها وقوف دارس متمعن، لا قارئ مستطرد.

(١) المصدر السابق: ٢٢٧.

ومن ذلك أيضاً: بعد أن فشلت حركة رشيد عالي الكيلاني التي دعمها المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني بفتواه المكتوبة وانتصرت الحكومة بدعم عسكري من القوات البريطانية سنة (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م)، بذل الوصي على العرش جهداً حثيثاً حتى يستقبله السيد، وفي زيارته إلى النجف اعتصم في حرم الإمام علي عليه السلام ساعتين وهو ينتظر السيد، والسيد كان يأبى الالتقاء به، وأخيراً حصل اللقاء بعد أن لبّى الشروط التي اشترطها السيد على حكومته^(١).

وإذا كان المرجع السيد أبو الحسن اجتمع بالوصي إثر استجابته لشروط المرجع بعد ساعتين انتظار صعبة على الوصي، فقد رفض الإمام السيد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) استقبال ملك العراق فيصل الثاني قبل تنويجه ملكاً على العراق، ومعه خاله الوصي عبد الإله خلال زيارتهم للنجف سنة (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م) لأنهم لم ينفذوا ما وعدوه به سابقاً.

يقول الشهيد السيد مهدي نجل الإمام الحكيم جاء الملك (فيصل الثاني) إلى النجف عام (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م)، وكان متصرف كربلاء حينذاك عبد الرسول الخالصي، وعلى حسب العادة المتبعة جاء مدير البلدية في النجف وأخبر السيد الحكيم بأن الملك سيأتي بعد يومين إلى النجف، ولكن السيد أخبره بأنه لن يخرج إلى استقبال الملك، فانصرف مدير البلدية.

ولم يمضِ وقت طويل حتى جاء القائم مقام وطلب من السيد الحضور لاستقبال الملك، فرفض السيد أيضاً، فجاء المتصرف عبد الرسول الخالصي، وقال من ضمن ما قال: سيدنا هذه إهانة لي وأنا شيعي، ولكن السيد لم يوافق على إبداء

(١) السيد أبو الحسن الأصفهاني. سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه العلمية والسياسية. د. كامل

الاستعداد للحضور، بعدها حدث نقاش طويل، وانتفض الإمام الحكيم قائلاً: نحن لسنا جزءاً من زخرف الحضرة حتى يأتي الملك ويطلعونه على الزخارف، لقد اجتمعت به في المرة الأولى لوجود احتياجات لدى الناس ذكرناها، ولكن يبدو أن القضية ليست جدية حيث لم يتم لحد الآن تنفيذها، وإنما الأمر لا يعدو الدعاية، وأنا لست مستعداً أن أكون جزءاً من زخرف الحضرة^(١).

وقد سمعت من المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم في ديوان مجلسه العامر (مساء يوم الأربعاء ٢٧/ جمادى الثانية/ ١٤٣٧ هـ، المصادف ليوم ٦/ ٤/ ٢٠١٦ م) متحدثاً عن تلك الحادثة وقد كان برفقة جده الإمام الحكيم آنذاك: ثم كان أن تعرض الإمام الحكيم إلى وعكة صحية حادة إثر إصابته بالتيفوئيد بعد أيام من رفضه استقبال الوصي، فأرسل الوصي الدكتور محمود الجليلي أكبر أطباء القلب في بغداد يومها بصحبة وفد رسمي رفيع المستوى لعلاج الإمام الحكيم.

وقد فسر الهدف من هذا المسعى بأنه محاولة لنيل رضا الإمام الحكيم عن الوصي بعد رفضه استقباله سابقاً.

ثم كان أن قاطع الإمام الحكيم ملوك العراق قبل ثورة ١٤ تموز بعشر سنوات تقريباً قائلاً: إنهم لا يتصلون بالشعب ولا يشاركونه بأحاسيسه^(٢).

وبعد قيام ثورة تموز (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م) بزعامة عبد الكريم قاسم وإعلان الجمهورية توقعت المرجعية العليا بأن يسلك الزعيم الجديد مع شعبه

(١) الإمام الحكيم. محمد الشيخ هادي الأسدي ١٦٢ وما بعدها نقلاً عن الشهيد السيد مهدي الحكيم.

(٢) حجر وطن. سابق ٢٣٣/ ٤.

سلوكاً يختلف عن سلوك من سبقه من الملوك وكبار المسؤولين السابقين فأرسلت إليه برقية تهنئة مشوبة بتحذير.

غير أن ذلك التفاؤل لم يدم طويلاً لينقلب إلى ضده بعد أن شرعت بعض القوانين المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، وفي مقدمتها قانون الأحوال الشخصية، ما أثار غضب المرجع الأعلى الإمام الحكيم وسخطه وحنق كبار علماء حوزة النجف الأشرف العلمية، ومن ورائها جماهيرها الشعبية العريضة في طول البلاد وعرضها ما ألجأ الزعيم عبد الكريم قاسم أواسط سنة (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) إلى محاولته استرضاء غالبية شعبه من خلال السعي إلى لقاء الإمام الحكيم، فأبدى المرجع الأعلى موافقة مشروطة على استقباله بأن يعلن تراجعاً عن القوانين المخالفة للإسلام، وفي مقدمتها قانون الأحوال الشخصية، ولما لم يتراجع عبد الكريم قاسم عن هذا القانون وبقي مصراً عليه، لم يتم اللقاء.

ثم بعد فترة وجيزة زار عبد الكريم قاسم مدينة النجف الأشرف وأبدى رغبته بلقاء الإمام الحكيم، ولكن ذلك لم يتم أيضاً^(١).

وفي خطوة لاحقة فسرت على أنها محاولة من عبد الكريم قاسم لتخفيف حدة التوتر من المرجعية الدينية، ولتلافي الكثير من خسارة التأييد الشعبي الذي كان يحظى به حاول الزعيم عبر الوسيطاء اللقاء بالامام الحكيم من خلال زيارته في منزله، لكن المرجع الأعلى رفض ذلك ما لم يتم إلغاء قانون الأحوال الشخصية المخالف في بعض مواده لصريح القرآن الكريم، ولم يتحقق اللقاء رغم المحاولات المتكررة حتى انقلاب شباط عام (١٩٦٣م) الذي أطاح بحكومة عبد الكريم قاسم^(٢).

(١) المصدر السابق: ٢٠٨-٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٨٥.

ثم إذ نجح قادة انقلاب (٨ شباط ١٩٦٣م / ١٣٨٣هـ) في الاستيلاء على دفة الحكم وقتل الزعيم قاسم، حاول صدام حسين اللقاء بالإمام الحكيم في النجف الأشرف، وعن ذلك يقول الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم: ومرت الأيام والشهور -نحو خمسة إلى سبعة أشهر- قدمت إلى النجف، فقال لي السيد الحكيم بأن (محمود الصافي) قد جاءني وقال: إن صدام يريد زيارتك، وأجبتته بأن السيد مهدي هناك في بغداد، وإذا كان لديه شيء -أي صدام- فهو يستطيع أن يراه.

وبعد هذا رأيي محمود الصافي (...) فقال: إني رأيت السيد الحكيم، وقلت له إن أبا عدي يريد أن يراكم ويزوركم، فقال لي السيد: إذهب إلى السيد مهدي. فقلت له: أنا في بغداد، ومتى تحب فأنا حاضر، فقال: حسناً أنا أرتب الموضوع. وفي أحد الأيام جاءني شخص يقال له (خالد الدوحية أو التوحه) فقال لي خالد: إن أبا عدي يريد رؤيتك.

فقلت: (...) متى يجب القدوم فأهلاً به؟

قال: هل بإمكانك أن تذهب أنت إلى بيته؟

قلت: لكن نحن هنا -ولو إننا كالدراويش- إلا أننا نستقبل أشكال الناس، وهو واحد من الأخوة. وانتهى اللقاء.

وفي اليوم التالي اتصل بي وقال، إن أبا عدي يقول لو يأتي عندي في البيت أفضل، ولا اعتبارات أمنية لا نستطيع أن نذهب إليكم.

فقلت: كيف تقول هذا...؟ فهنا دولة، ونحن نعيش في رعايتها، ونام آمين، على اعتبار أنها تحررنا، فكيف لا نستطيع حماية شخص يأتي زائراً لشخص آخر.

وعلى كل حال فإن ذهابي إليه صعب. إذا كان يجب الحضور فأهلاً وسهلاً، وأن الأمر يتعلق به.

وهذا الموقف له خلفية فقد أصر السيد الوالد على أن لا أذهب أنا إليه، لأن وجهة نظره كالتالي وهي: إن أحمد حسن البكر كان رئيساً للجمهورية، والناس لديهم أعمال معه فتذهب إليه، أما صدام فلم تكن لديه أي صفة رسمية، إلا الصفة الحزبية، فعندما تذهب إليه يصبح الأمر وكأنه مفاوضات بين المرجعية والحزب (...) أما هو عندما يأتي إليك يكون حاله حال الكثير من الناس الذين يأتون إليك.

ولكن خالداً لم يترك الأمر، حيث اتصل بي مرة ثالثة (...) فرابعة وقال: إن صدام يقول لنعقد اجتماعاً ثلاثياً معكم بحضور أحمد حسن البكر في القصر الجمهوري.

فقلت له: أنا لست مستعداً لذلك، يأتي إلينا أهلاً وسهلاً.. لا يأتي في أمان الله.

وأذكر إن السيد عليه السلام عندما أخبرته بتفاصيل القضية قال: نعم ما صنعت، وسوف تدفع الثمن غالياً.

وقد سمعت إن صداماً قال: إن هذا العطاس الذي في أنفه يجب أن أخرجه^(١). وفعلاً فقد تم اغتياله بعد سنوات من قبل المخابرات العراقية خلال حضوره مؤتمراً إسلامياً في السودان سنة (١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م).

ثم حين أسقط عبد السلام عارف حكومة بعث (١٩٦٣ م / ١٣٨٣ هـ) المشؤومة، وتولى إدارة دفة الحكم، لم يستقبله الإمام الحكيم أيضاً لشدة

(١) المصدر السابق: ١٤٢ وما بعدها. وقد تمت عملية اغتيال الشهيد السيد مهدي الحكيم بعد سنوات في الخرطوم عاصمة جمهورية السودان.

طائفته المقيّنة، وكذلك رفض استقبال أخيه وخليفته في رئاسة الجمهورية عبد الرحمن عارف.

وما لنا نذهب بعيداً فهذا المرجع الأعلى اليوم السيد علي الحسيني السيستاني يغلق بابَه بوجه كبار المسؤولين العراقيين، من رئيس الجمهورية ونوابه، إلى رئيس الوزراء ونوابه، إلى رئيس مجلس النواب ونائبه، إلى الوزراء، إلى النواب، إلى أصحاب الدرجات الخاصة، إلى من دونهم درجة، بعد أن خالفوا أمراً لمصلحة البلد كان طلب منهم تنفيذه فلم يتقيدوا به وذلك خلال حكومة رئيس الوزراء السابق نوري المالكي في الدورة النيابية الثالثة (٢٠١٠-٢٠١٤م/ ١٤٣٢-١٤٣٥هـ).

بل زاد على ذلك فكتب جواباً عن سؤال وجّه إليه مفاده بأن لا يتولى السيد نوري المالكي رئاسة الحكومة في الدورة الانتخابية (٢٠١٤-٢٠١٨م/ ١٤٣٥-١٤٤٠هـ) الحالية؛ فرضخ مكرهاً لأمره.

وإذ تولى السيد حيدر العبادي رئاسة الوزراء فتح بابَه مواربة لاستقبال رؤساء الرئاسات الثلاث: رئيس الجمهورية، ورئيس الوزراء، ورئيس مجلس النواب، دون غيرهم من نوابهم ووزرائهم وغيرهم من كبار المسؤولين، ثم عاد فرفض طلب بعضهم اللقاء بسماحته مجدداً، ولا زال على هذا الموقف الحاسم حتى تاريخ كتابة هذه السطور.

وأخال أنه سيبقى رافضاً استقبال أي مسؤول في الدولة إلا إذا حقق مسؤولوها ما طالبهم به، أو إذا جدّ أمر مهم يستوضح لأهميته أو خطورته استقباهم، وللضرورة الملحة فقط، ليس إلا.

ست وعشرون: رفض الهدايا والعروض والأموال والتبرعات العينية والنقدية من كبار المسؤولين وغيرهم ما دام هناك احتمال بأنها ليست خالصة لله وحده.

اعتاد مراجع الحوزة العلمية وكبار أساتذتها على رفض الهدايا والتبرعات والأموال العينية والنقدية المقدمة إليهم متى ما احتمل أن سبب تقديمها مشوب بمصلحة ما لمقدمها أو من وراءه فرداً كان أم جهة أم دولة أم غيرها. وهناك الكثير من حالات الرفض هذه أدرج بعضاً منها هنا.

فمن ذلك مثلاً أن الشاه نادر شاه الأفشاري (ت ١١٦٦هـ / ١٧٥٦م) لما قدم العراق زائراً مرقد الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام أكرم بمال جزيل العالم الفاضل التقي الزاهد السيد هاشم الخطّاب (ت ١١٦٠هـ / ١٧٥٠م) - الذي كان كاسباً يحتطب حطباً يبيعه ليعيش عليه حتى صار عالماً - فأخذ العالم السيد الخطّاب يكزّه بعصاه ويقول: هذا المال لي أو لحماري، فإن كان لي فأنا غني عنه، عندي قوت يومي، وإن كان لحماري فهو أغنى مني لأنه مكفول المؤونة، خذه لا حاجة لي به^(١).

ومنه أيضاً العرض الذي قدمه قائد الجيوش العثمانية والمتضمن منح خمسة آلاف ليرة ذهبية عثمانية، وقيل أقل، للمجتهد المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي (ت ١٣٣٣/ ١٩١٥م) قائد جيوش المجاهدين المتصدّين للغزو البريطاني للعراق في قاطع الشعبية سنة (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) تحت عنوان صرفها على شؤونه وشؤون المجاهدين معه، فرفض القائد المجتهد المجاهد استلامها قائلاً: إني مكلف

(١) ينظر: أعيان الشيعة: سابق: ٣/ ٢٥١.

بالتضحية من مالي ونفسي، فإذا نفذ المال بقيت نوبة النفس، اعتبروني جندياً من الجند آكل مما يأكلون وأشرب مما يشربون، وجهاد النفس أفضل، لا، لا أقبل درهماً واحداً، وقائد الجيش أعرف بمواقع الصرف، ولا أسمح لكل أحد أن يفاتحني في هذا الشأن.

بل إن السيد الحبوبى كان غنياً له أملاك خاصة رهنها لكي ينفق منها على المجاهدين^(١).

وشبيه بما رفضه المجتهد المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى قائد عمليات المجاهدين في جبهة الشعيبة، رفض المجتهد المجاهد ذو الثمانين عاماً السيد مهدي الحيدري (ت ١٣٣٦هـ / ١٩١٨م) قائد جيوش المجاهدين في القرنة العرض الذي قدمه له سليمان العسكري قائد جيش القوات العثمانية بتزويده بما يحتاج إليه من المال، ومن المؤن، فرفض العرض رفضاً قاطعاً كونه كان يصرف من ماله الخاص على نفسه والمجاهدين الذين كانوا بمعيتة قائلاً بضرس قاطع: إن الجهاد لن يكون جهاداً إذا لم يستطع المجاهدون أن يتمولوا مما عندهم، ولو تمكنا نحن على مدّكم بالمال والطعام لفعلنا.

فهوى القائد العثماني على يديه يقبلهما وأدى التحية العسكرية له وانصرف.

وإذ دخل سليمان العسكري المعركة وجرح جرحاً بليغاً نقل على أثره إلى المستشفى ببغداد عاده أحد المشيخة السنية الكبار، فنظر القائد الجريح إليه باحتقار قائلاً: أنت هاهنا ترفل بالراحة والطمأنينة لم تدافع لا عن إسلامك،

(١) نظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: د. علي الوردي. ١٥٩/٤.

ولا عن الدولة التي وفرت لك الأرزاق طيلة حياتك، وقد تركتُ في الحرب عالماً يقاتل الكفار بنفسه، على شيخوته وعظمته، وهو الآن في الصفوف الأولى، مع أنه لم يأخذ من الدولة لا قليلاً ولا كثيراً طيلة حياته؟

وكان بعض العسكريين يقولون: إنه كلما اشتد الضغط علينا من العدو، هممنا بالانسحاب، وكلما نظرنا إلى خيام السيد مهدي قائمة كنا نستحي من الانسحاب^(١).

يقول سماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم مجيباً عن سؤال وجهته إليه بما يلي^(٢): وقد عرضت الحكومة العثمانية على بعضهم فيما بلغنا الأموال الطائلة ليستعينوا بها في الحرب، فأبوا قبولها، أنفة، وعزة، وبعداً عن شائبة تخرج جهادهم عن الإخلاص لله تعالى في أداء الواجب، حتى ذكروا أن السيد الحبوبى كان يكتفي بأكل التمر طعاماً، والجلوس على الأرض.

ومنه أيضاً: أن ممثل بريطانيا في مصر والمنطقة ورجل دبلوماسيتها واستخباراتها السير (رونالد ستورز) لما فشل هو ومن قبله ثلاث مرات في إقناع المرجع الكبير المرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي في قبول المال منهم ولو بحجة مساعدتهم في توزيعه على الفقراء^(٣).

وتفصيل الحادثة أن السر (رونالد ستورز) المسؤول البريطاني الكبير في مصر والشرق الأوسط في تلك الآونة والذي كان يتقن اللغة العربية إتقاناً جيداً توجه

(١) ينظر: الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ - ١٩٩٠. حسن العلوي: ٧٣.

(٢) المرجعية الدينية. حوار صريح مع سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم. إعداد وتقديم: عبد الهادي الحكيم: ٧١.

(٣) المصدر السابق: ٩٤.

ورفيقه المستر (غاربوت) لزيارة المرجع الأعلى في النجف الأشرف السيد محمد كاظم اليزدي (١٩١٩م / ١٣٣٨هـ).

وكان المستر غاربوت الذي رافقه من بغداد قد طلب إليه هذا المرة أيضاً أن يتحايل على السيد اليزدي فيقدم له رزمة بألف باون هدية من الحكومة، فاستثقل هذه المهمة الصعبة، وكلف السر (رونالد ستورز) نفسه بأن يتولى المهمة عنه، فقبل بتحفظ، ودسّ الرزمة في جيبه، ثم توجه إلى دار السيد، وهناك انتظر برهة من الزمن في خارج حجرته ريثما يخرج، فخرج لهما (...) فحياهما من بعيد وأجلسهما على الحصيرة بجنبه خارج الغرفة، يقول (ستورز) بعد أن تبحر في وجه السيد إنه أدرك في الحال السرّ في شهرته ونفوذه، فهناك قوة في سيمائه الواضحة وعينه الرماديتين المتعبتين، وسلطان في وجوده، وحديثه الخافت مما لم يجد له مثيلاً في أي مكان آخر من بلاد المسلمين.

فبادره السيد بقوله: حافظوا على العتبات المقدسة، حافظوا على العتبات المقدسة، ولا تعينوا في المدن الشيعية إلا الموظفين من أبناء الشيعة، وأن تطلقوا سراح الشيعة الذين كانوا معتقلين (...) وبعد تردد وإحجام طلب إلى السيد أن يختلي به وحده لمدة ثلاث دقائق ثم ذكره بوجود عدد لا يحصى من الفقراء الذين كانوا ينظرون إليه في إعاشتهم على الدوام (...) وحينما مدّ ستورز يده لتقديم رزمة الباونات إلى السيد في هذه الأثناء دفع السيد الرزمة برفق مقرون بالعزم الأكيد وهو يعتذر عن قبولها (...).

وبعد ساعة انقضت على هذا المنوال عزم (السر رونالد) على توديع السيد والعودة إلى المنزل غير أنه قبل أن يفعل ذلك حاول تقديم الألف باون مرة ثانية إليه لكنه رفضها من جديد بكل مجاملة وأدب، وهو يعتقد أن الشيء المهم الذي

كان يعبأ به السيد هو الأنفة والإباء، لا المال (...). وهذا موقف بعيد تمام البعد عما يحدث في مصر والحجاز في ظروف مماثلة على حد تعبيره^(١)

ومن أمثلة رفض المراجع لهدايا تأتيهم بنوايا مشكوك في سلامتها، ما نقله لي أيضاً سماحة المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم مساء يوم (الأربعاء الأول من جمادى الأولى من سنة ١٤٣٧ هـ الموافق ليوم ١٠/٢/٢٠١٦ م) بأنه في أيام العهد الملكي دخل الحاج عبد الهادي الاسترابادي وهو من الشخصيات الشيعية المرموقة في الكاظمية والعراق عموماً على المرجع الأعلى في وقته سماحة السيد أبي الحسن الأصفهاني قائلاً له إني مرسل من طرف نوري السعيد رئيس وزراء العراق، ويريد منكم دقائق للقاء السفير البريطاني ومندوب بريطانيا الخاص القادم توأماً من لندن.

فقال له السيد الأصفهاني: ما يريدون منا، ونحن نتهرب من مقابلتهم، لأنهم خدعوا الناس وخانوا العهد، وقتلوا المسلمين الأبرياء. فأصر الاسترابادي راجياً أن يسمح السيد بهذا اللقاء، فوافق بعد تردد، فقال الاسترابادي: اسمحوا أن يكون اللقاء سرياً مغلقاً. فرد عليه السيد بصرامة: أبداً، لا يمكن.

وهكذا أمر السيد بأن يحضر اللقاء كبار العلماء في الحوزة العلمية وعندما حان الوقت حضر السفير البريطاني ومندوب الحكومة البريطانية برفقة نوري السعيد.

فتكلم مندوب الحكومة البريطانية قائلاً: إن بريطانيا نذرت إن هي انتصرت على ألمانيا في الحرب العالمية الثانية تقدم مساعدات مالية إلى المعابد وكبار العلماء في العالم، شكراً لله على نعمة النصر، والآن حيث انتصرت بريطانيا في الحرب جئنا

(١) موسوعة العتبات المقدسة. الجزء ١ من قسم النجف. جعفر الخليلي. ص ٢٥٧.

نقدم إلى زعماء الأديان الكبرى في العالم ما نذرناه، فلقد ذهبنا إلى البابا في الفاتيكان وقدمناه له المنحة المندورة، والآن جئنا إلى سماحتكم في النجف لنقدم لكم مثلها. فتأمل السيد أبو الحسن قليلاً وقال: لا مانع.

فاستغرب العلماء الحاضرون من قبول السيد لهذه المنحة لأن المعهود منه رفض المنح جملة وتفصيلاً.

قدم المندوب البريطاني المنحة مائة ألف دينار، وهو مبلغ كبير في ذلك الوقت، إلا أن السيد أبا الحسن فاجأ الجميع بأخذ الصك والاطلاع على محتواه وكتابة حوالة قدرها مائة ألف دينار مساعدة منا لأهالي الجنود المسلمين الذين جندتهم بريطانيا من بلاد الهند وقتلوا في حرب العراق لإيصالها وصرفها عليهم في الهند فأصبح المجموع مائتي ألف دينار.

فخرج المندوب البريطاني والسفير مع نوري السعيد من عند السيد ثم بعد فترة وجيزة عاد نوري السعيد إلى السيد وانحنى له إجلالاً واحتراماً، وأخذ يقبل يده باعتزاز، وهو يقول للسيد: رuchi فداك يا سيدي، إنكم من أهل البيت عليه السلام حقاً، فإنه قليل أولئك العلماء الذين يمتلكون هذه الروح الكبيرة. ثم أضاف قائلاً: هل تعلم ماذا قال المندوب البريطاني بعد خروجنا من عندك؟ قال: أردنا شراءه فاشترانا^(١).

(١) تنظر الحادثة بتفاصيلها كاملة في كتاب: بحوث ودراسات عن علماء الحوزة العلمية في النجف الأشرف. السيد هاشم فياض الحسيني: ١/ ١٩٦-١٩٧. نقلاً عن الحاج مهدي البهبهاني أحد شهود الحادثة. وقد نقل الحادثة بتفاصيلها د. كامل سلمان الجبوري في كتابه: السيد أبو الحسن الأصفهاني سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه العلمية والسياسية: ٢/ ٨٢ عن: قصص وخواطر: ٦٠٥-٦٠٧ وجاء فيها ما نصه: وقد حضر اللقاء كل من آية الله ضياء الدين العراقي وآية الله الشيخ محمد حسين الكمباني و(...) الخ. فإذا علمنا بأن المرجعين العراقي والكمباني قد توفيا قبل تاريخ وقوع الحادثة فقد توفي المرجع الشيخ محمد حسين=

وأضاف المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم قوله: بأنه ذكر هذه الحادثة للمرجع الأعلى السيد علي السيستاني خلال إحدى زياراته له، وكان السيد السيستاني مسبوقاً بها، فعقب على حديثي بقوله: من حق كل عراقي أبيّ أن يكبر ويعتز بموقف السيد أبي الحسن الأصفهاني.

ومن ذلك أيضاً ما نقله رشيد عالي الكيلاني قائد حركة مايس (١٩٤١م/ ١٣٦٠هـ) في مذكراته من أن الأمير عبد الإله حاول رشوة الشيخ حسين كاشف الغطاء أعظم العلماء الدينيين في العراق بمبلغ (٢٠ ألف جنيه) من الذهب، حتى يعمل على إثارة العشائر والقبائل ضد حكومة الدفاع الوطني ببغداد، إلا أن الشيخ رفض ذلك بشدة وأمر الرسول الذي حمل الذهب إليه أن يحمله بنفسه إلى الكيلاني لإيداعه خزانة الدولة^(١).

بل قد يزيد المرجع الأعلى على رفض العروض المالية المطروحة بين يديه، بأن يقدم هو عرضاً مالياً كبيراً لضيفه إذا استدعت الظروف ذلك، فقد نقل لي سماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم في مكتبته العامر (مساء يوم الأربعاء من ليلة الأول من جمادى الأولى سنة ١٤٣٧هـ، الموافق لليوم العاشر من شهر شباط سنة ٢٠١٦م) رواية عن السيد باقر بلاط كبير موظفي تشريفات الملك فيصل الثاني ملك العراق (١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م) بأنه لما حلّ الملك عبد الله ملك

=الكمباني المعروف بـ(الكمباني) سنة (١٣٦١هـ / ١٩٤٢م) وبعده بعشرين يوماً توفي المرجع الشيخ ضياء الدين العراقي علماً بوجود سهو في ورود اسميهما وهكذا. وقد نقل القصة الخطيب الكبير الشيخ محمد تقى الفلسفي أحد أكبر خطباء إيران أيضاً.

(١) الشيعة والدولة القومية: ١٩١: نقلاً عن مذكرات رشيد عالي الكيلاني، مجلة آخر ساعة، القاهرة، العدد ١١٦٨ بتاريخ ١٣/٣/١٩٥٧. عن إسمايل باغي: حركة رشيد عالي الكيلاني، دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٤، ص: ١٠٥. وتُنظر كذلك: ١٨٩ منه.

المملكة الأردنية الهاشمية ضيفاً على الملك فيصل الثاني ملك العراق رتبت له زيارة إلى حرم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف، وكان من العادة أن يتم لقاء الضيوف والوفود مع مراجع الدين في الحرم الشريف، وكان المرجع الأعلى في ذلك الوقت هو السيد أبا الحسن الأصفهاني المتقدم ذكره.

يقول السيد بلاط: خرج الملك عبد الله في سيارة التشريلات الخاصة ومعه الحراس وأعضاء الوفد المرافق (...) وكان الموكب مهيباً للغاية، وكان الملك الأردني من شدة تبختره لم يسعه ثوبه الملكي المزين بالجواهر والنياط، فكان يتكلم بتكبر، ولا يرى قيمة لأحد من الجالسين حوله.

وإذ سمعتُ ذلك خشيت أن لا يتم اللقاء على خير، فكنت أحاول في الطريق أن أمهد لهذا اللقاء بالكلام حول شخصية السيد أبي الحسن الأصفهاني ومكانته العلمية والدينية في العالم الإسلامي وانقياد المسلمين الشيعة إلى أوامره، وأنه رئيس النجف مدينة العلم والعلماء، ومركز الإشعاع الديني.

فقال لي الملك عبد الله وهو لم يعر بالاً لكلامي: أنت شيعي، والشيعة يغالون في مدح علمائهم.

قلت: من أين لك هذا الانطباع الخاطئ عن الشيعة؟

قال: أنا صديق للدولة العظمى (الإنجليز)، وقد أخبروني عنكم كثيراً! (...) ومن أجل احترام طرفي اللقاء كانت طريقة دخولهما تتم عبر بابين منفصلين يفتحان على الضريح المقدس للإمام علي (عليه السلام) من جهتين متقابلتين، فيلتقي الطرفان عند الضريح في وقت واحد.

والتقى المتباينان، إذ كانت هيئة المرجع الديني السيد أبي الحسن الأصفهاني هيئة الزهاد، وهيئة الملك هيئة الساخرين!

فبعد العناق والتحيات وكلمات جانبية، وجه السيد المرجع السؤال التالي إلى الملك: من أين تؤمن المال للأردن؟

كان السؤال بالنسبة إلى الملك محرجاً، وغير متوقع! فأجابه الملك عبد الله: نحن دول صغيرة، لا بد لتأمين وضعنا سياسياً واقتصادياً أن نعتمد على الدول العظمى! لقد تكلفت بريطانيا بتزويدنا بالمياه الصالحة للشرب وتأسيس محطة كهرباء، ونحن لها من الشاكرين الأوفياء!

واستمر الملك يمجّد الإنجليز، وأنهم عقول مفتحة ومتطورة، فرد عليه السيد أبو الحسن الأصفهاني.

أليس من المؤسف أن نمد نحن المسلمين أيدينا إلى المشركين...؟ في اعتقادنا أن هذه ذلة وإهانة، إنني مستعد أن أمدكم بالمال قدر ما تحتاجون لتعتمدوا على أنفسكم وتستغنوا عن الدعم البريطاني المشروط بالتبعية السياسية والثقافية.

بهذا الكلام (...) انكمش ملك الأردن واعتدل في مجلسه بعد أن وجد نفسه أمام رجل ذي يد بيضاء لمصالح المسلمين، وذو وعي سياسي لا يستهان به، فهو ينظر إلى أفق بعيد.

ثم انتهى اللقاء بتوديع الملك ودعاء السيد الأصفهاني لعزة الإسلام والمسلمين. وفي طريق العودة إلى بغداد، قال لي الملك عبد الله، وكان غارقاً في التفكير: يا سيد باقر.. كل ما ذكرته لي عن عظمة هذا السيد كان قليلاً! بل إنه في اعتقادي أعظم مما ذكرته^(١).

(١) قصص وخواطر من أخلاقيات علماء الدين، للعلامة الشيخ عبد العظيم المهدي البحراني: ٥٧٢-٥٧٥.

نقلاً عن السيد عبد الحميد الأصفهاني عن الشيخ محمد حسن زين العابدين. عن السيد باقر بلاط.

وينظر كتاب: السيد أبو الحسن الأصفهاني. د. كامل سلمان الجبوري: ٧٩/٢.

ومن هذه الحالات كذلك رفض الإمام السيد محسن الحكيم (١٩٩٠هـ/ ١٩٧٠م) قبول هدية مالية كبيرة عرضها عليه أمير البحرين السابق خلال زيارته له في بيته بالنجف الأشرف عقيب إعلان استقلال البحرين، فرفضها المرجع الأعلى، مرجعاً إياها، ومعها مثلها من مال السيد المرجع إلى أمير البحرين لصرفهما على المستحقين الفقراء المؤمنين في البحرين.

بل تخطى ذلك إلى ما هو أكثر منه فقد كان يرى لزوم عزل الطلاب عن السلطة الزمنية عزلاً تاماً، ولا سيما في الأمور المالية، ويرى أن كل مشروع يستعين بالحاكمين مادياً يسير في طريق العبودية لهم، ويصبح ذلك الطالب أداة لهم من أجل الخوف على مصالحه المستمدة منهم^(١).

كل هذا كان قبل اليوم، أما اليوم فلم يعد أحد من الملوك والرؤساء ومن هم في طبقتهم يجرؤ على أن يعرض عرضاً كهذا على المرجع الأعلى، بل حتى أن يفكر به.

ويكفي أن نعرف أن رسالة من المرجع الأعلى السيد السيستاني دعا فيها إلى عدم منح منصب رئاسة الوزراء في العراق لأقوى المرشحين لهذا المنصب بعد انتخابات سنة (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م)، بل المرشح الأول لها دون منازع بحسب نتائج الانتخابات، فأذعن لطلبه الجميع، دون نقاش، كما سيأتي.

وهناك غير هذه وتلك من إيجابيات نظام الحوزة العلمية، لا يسع المجال لذكرها هنا.

إن هذه الإيجابيات العديدة المتقدمة وغيرها هي التي دعت الباحث

(١) حجر وطنين. سابق: ٢٣٣/٤.

المتخصص في علم التربية ورئيس وزراء العراق الأسبق الدكتور محمد فاضل الجمالي لأن يكتب في بحث ميداني له عن جامعة النجف الدينية كان قد أجراه في (شهر تشرين الثاني من عام ١٩٥٧م / ١٣٧٧هـ) قائلاً: لقد درست أغلب نظم التعليم الجامعي في الغرب، وزرت الجامعات الألمانية، والبريطانية، والفرنسية، وجامعة أكسفورد، وكامبرج، وتلقيت تعليمي في الجامعات الأمريكية، إلا أنه ما من جامعة من هذه الجامعات حتى الجامعات الألمانية تستطيع أن تفخر في حرية التعليم، بما يضاهي حرية التعليم والعمق في جامعة النجف، والتي تطبع شخصية المنتسبين إليها بطابعها المتميز.

فالنظام التعليمي لا يخضع لنفوذ الدولة، ولا يمول من قبلها، وبالرغم من وجود (٢٤) مدرسة علمية، فإنه لا توجد هيئة خارجية أو سلطة تسيطر عليها أو تقوم بإدارتها، كما لا يوجد رؤساء، أو عمداء، أو أساتذة، وإنما يستطيع أي فرد مهما كان مستواه الثقافي أن ينضم للمدرسة إذا استطاع أن يجد له مكاناً للإقامة مادامت لديه الرغبة في الدراسة، كما أن القانون الذي يدير هذه الجامعات وينظمها هو فقط الوازع الديني^(١).

وهي نفسها التي دعت الباحث الدكتور محمد الحكيم^(٢) الأستاذ في جامعة لندن، لأن يكتب في شهر ربيع الأول من سنة (١٤٣٤هـ / شباط ٢٠١٣م) بعد مضي أكثر من نصف قرن على ما كتبه الدكتور الجمالي قائلاً:

إن عمق البحث العلمي في حوزة النجف الأشرف، والصدق مع النفس

(١) جامعة النجف الدينية. د. فاضل الجمالي. بحث. مجلة شؤون إسلامية العدد الثاني. السنة الثانية ١٤٢٠

هجريه ص ١٣. وكذلك مجلة الموسم. العدد: ١٨ / ١١٩.

(٢) من رسالة خاصة للمؤلف بتاريخ ١٢ / ٢ / ٢٠١٣م.

والطلاب في السعي نحو الحقيقة، من أجل الحقيقة أياً كانت، وقبول النقد العلمي التخصصي، وتعدد الآراء، شبيه بما عشته وشهدته بمراحل الدراسات العليا في بعض أرقى مؤسسات البحث العلمي والجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، ودول أوربية غربية أخرى.

فالباحثون في كلتا المدرستين: حوزة النجف الأشرف ومدرسة البحث التجريبي في الغرب، كما عايشتهم سنين طويلة، تتشابه صفاتهم وطرائق تفكيرهم حين البحث كثقافة اتباع الدليل التخصصي بعد تحليله ونقده وإثباته أياً كانت نتائجه، والصدق في قبول أو رد اعتراضات الباحثين، والاعتراف بالخطأ، وقراءة الرأي الآخر من أجل فهمه بحق، والبحث عن أدلة تدعم رأي المنافسين مقابل رأي الباحث نفسه من قبل الباحث نفسه.

لذا أعتقد بأن خصال طلاب المدرستين البحثيتين العريقتين في البحث العلمي عمقاً دون كلل حتى يصل الباحث إلى الحقيقة، أو يعترف بعدم قدرته على حسم النقاش جزماً، والخضوع للدليل أياً كانت نتائجه، والصدق مع النفس والطلاب أثناء البحث، وقول (لا أدري) إلى أن يتم البحث وينهض الدليل، وأمثالها، هي التي بلغت النظامين البحثيين مكانة الريادة العلمية عالمياً دون منازع، كلاً في مجال تخصصاته.





الفصل الثامن

**بعض من سليات النظام الدراسي
المتبع في حوزة النجف الأشرف**



لئن كان لنظام الحوزة العلمية إيجابياته المعروفة فيما تقدم في الفصل السابق، وفي مقدمتها -وهو ما يدعو إلى التأمل والإعجاب حقاً- تخريج هذا العدد الضخم من المراجع والفقهاء الكبار والمجتهدين والمصلحين والمفكرين والمبلغين، فإن ذلك لا يمنع من وجود سلبيات في نظامها الدراسي لا في رجالها الفضلاء الكرام ويحدوني الأمل بقدره مراجعها المعاصرين في النجف الأشرف على تخطيها وإصلاح ما ينبغي إصلاحه من نظامها بعد انتهائهم من معركتهم الحالية في إصلاح الوضع العراقي العام، وهو ما أرجو أن يشكل حافزاً لإصلاح البيت الحوزوي من الداخل في المستقبل إن شاء الله.

ولقد شخّص المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم بعضاً من سلبيات نظام الحوزة في جواب منه عن سؤال وجهته إليه ذاكراً سماحته منها:

أولاً: هدر كثير من القابليات نتيجة الحرية المذكورة، وفقد النظام حيث لا يؤدي الكثير واجبهم ولا يستفرون قدراتهم في طلب العلم أو في التدريس أو في التبليغ، كسلاً أو ضجراً من دون قوى تردعهم عن ذلك.

ثانياً: ضياع بعض المؤهلين لعدم تيسر ظهورهم على الساحة بعد فقد المعايير الدقيقة والحدية لتقويم الأشخاص، ومنها: حرمان كثير من ذوي الكفاءات من حقوقهم المادية والمعنوية التي يستحقونها بسبب كفاءاتهم لصعوبة تمييزهم عن غيرهم بعد فقد طرق التقويم الرسمية.

ثالثاً: فتح باب الدعاوى غير المسؤولة والتصدي من غير المؤهلين^(١) لما يدعونه من صفات وألقاب ودعاوى لا تمت إلى واقعهم المعرفي والتربوي بصلة. وهو ما جرّ في الآونة الأخيرة إلى مأس، ومصائب، ومنغصات، لا يعلمها حق علمها إلا من قاسوها، أو تجرعوا مرارتها واكتووا بنارها.

ذلك أن الحوزة العلمية التي يفترض في متسببيها من أساتذة وطلاب السعي لنيل رضا الله ﷻ وحده، قد لا تتمكن لظروف شتى من جعل الإخلاص والواقعية والتجرد والزهد وما إلى ذلك من الصفات الحميدة الأخرى ديدن جميع متسببيها طلاباً وأساتذة ومدّعين، فقد بتنا نرى وجود من يستثمر هذه الحرية المتاحة في طريقة التدريس، وعدم وجود قيود على التزيي بالزي الخاص لطلاب الحوزة العلمية، ممن لا يتحلّى بوازع من دين ولا رادع من خوف الله عز وجل ولا ضمير، مدعيّاً ما ليس فيه، لغرض في نفسه أو في نفس غيره، منتحلاً صورة رجل الدين أو صفة ولقب مرجع التقليد، مستغلاً بذلك طيبة قلوب المؤمنين لتمرير مآربه ونواياه.

رابعاً: قلة اهتمام المنهج المتبع بمادة تعنى بتربية دواخل نفس الطالب وتركيتها وتهذيبها وتدريبها على أساس أن رضا الله ﷻ هو الهدف الأسمى الذي يسعى طالب الحوزة لنيله، ومن يسعى لنيل رضاه جل وعلا تهون في عينه الدنيا وما فيها، وخاصة وأنه في حضرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إمام المتقين وقُدوة الزاهدين، وفي أجواء نهج بلاغته وحكمه ومواعظه، وتحت منابر من اهتموا بهديه واتخذوه أسوة حسنة، وربما يعزى سبب عدم وضع منهج تعليمي خاص بتزكية

(١) المرجعية الدينية/ ٢. سابق.

النفوس راجع إلى الثقة بمن اختار سلوك هذا الطريق بنفسه، والاتكال عليه في تهذيب نفسه مادام هو الذي وضع نفسه هذا الموضع طوعية.

ولعل الأوضاع الحياتية اليومية للأساتذة والمجتهدين والمراجع والصالحين خير مربٍّ ومهذب ومزكٍّ لمن أراد من تلاميذهم وطلابهم تركية نفسه من زخارف الدنيا الفانية وتنقيتها من شوائبها وتهذيبها من التعلق بزخارفها، وليس كل الطلاب والمحسوبين على الحوزة - مع الأسف - يتعظون بمراجعهم الزهاد الأتقياء وخاصة في هذه الأيام.

إنه لمن أولى الأولويات أن يجهد النظام التربوي الحوزوي نفسه ليكتشف آليات خاصة به تساعده على إدامة حالة الزهد والتقوى والرضا بما قسم الله ﷻ في نفوس طلاب الحوزة مع عدم الاكتفاء بتذكيرهم بذلك ودعوتهم إليه بالقول فقط، وخاصة في هذه الأيام التي بات يلاحظ عزوف العديد منهم عن هذه الحالة التربوية المهمة، فمن دون منهج تربوي واضح المعالم محدد الأهداف يقود الطالب إلى حيث جعل كل همّه هو رضا الله ﷻ، تبقى الخشية من نقص الإعداد في الجانب الأخلاقي مؤثرة فاعلة.

خامساً: تضخّم الذات عند بعض المتزين بالزي الحوزوي، وخاصة من غير الفضلاء المحصلين منهم، وما يترتب على ذلك من تخطّ لقيم، ومبادئ، وأخلاق، وآداب، من يدّعون السير على نهجه، وتمثل أخلاقه، وآدابه، موهمين أنفسهم بأن هذه الذاتية المتورمة هي من دواعي الشّانية وأشباهها، ما يستدعي اهتماماً خاصاً من المعنيين بالحوزة وشؤونها، للأخذ بأيدي هؤلاء إلى تهذيب نفوسهم وتكميلها، من خلال التريية، والتنشئة الصالحة، ومقاومة هوى النفس،

من خلال تطبيق عملي يفرض أخلاقياً على المتزوي بزي العمة تمثل سيرة الإمام علي والأئمة المعصومين عليهم السلام والمراجع وكبار الأساتذة، ومن اهتدى بهديهم، بما يقتضي الزهد في المظاهر الخارجية من قبيل عدم التوسع في بناء الدور الفخمة الفارهة وتأثيرها أثاثاً مبالغاً فيه وأمثال ذلك، وهو عمل شاق يستدعي الكثير من الجهد والمعاناة، أعان الله المتصدين له من المراجع وكبار الأساتذة والفضلاء على إتمامه وإنجازه على أتم صورة.

سادساً: عدم وجود شروط لقبول الطالب الجديد الذي ينوي أن يكون طالباً حوزوياً يدخل غمار البحث العلمي الرصين والغوص في عباب الآراء والنظريات والمناقشات والرأي والرأي المخالف وحمل همّ التبليغ وتوصيل ما استفاده من دراسته إلى المحتاجين.

إن وضع نظام مدروس بعناية لقبول الطلاب الجدد يتضمن من بين شروط أخرى آليات لمعرفة قابليات الطالب الذهنية وجديته في الانخراط بهذا المسلك، واستعداده النفسي لمكابدة الصعاب من أجل بلوغ غايته العلمية والتربوية ومدى التزامه بأحكام وآداب وقيم وأخلاق المؤمن إضافة لدوافعه الحقيقية وماضيه وحاضره وما إلى ذلك من شؤونه الأخرى بات شبه أساسي في الحوزة العلمية النجفية بل في الحوزات العلمية كلها.

سابعاً: خلو النظام الحوزوي من وجود ضوابط ومحددات لمدى تأهيل الأستاذ لتدريس علم معين يقوم هو بالفعل بتدريسه، بل ولمدى صلاحيته للتدريس أصلاً، ذلك أن هذا الأمر متروك لرغبة الأستاذ في أن يدرس ما يشاء كيف يشاء متى يشاء، وقد حدث ويحدث أن لا يكون الشيخ صالحاً لتدريس هذا الفن،

أو لا يكون صالحاً للتدريس أصلاً، ويعتبر به الطلاب^(١).

لذلك ينبغي تقويم مدى كفاءة الأستاذ لتدريس ما ينوي تدريسه من دروس الحوزة العلمية، تلافياً لما قد يتسبب بضرر للطلاب، وهدر لجهدهم ووقتهم هم وأستاذهم مما هو واضح.

ثامناً: عدم وجود ضوابط محددة للتزوي بزى العمامة الشريف، ولقد بات من النافع جداً وضع ضوابط ذات قوة حوزوية تنفيذية لها القدرة المعنوية والمادية على تطبيق قراراتها لتحديد إضافة للالتزام الدقيق بالأحكام والأخلاق الإسلامية الرفيعة المقتدية بما ورد في قوله تعالى بحق رسوله الكريم محمد (ص) (وإنك لعلّ خلق عظيم) المستوى العلمي والأخلاقي والسلوكي لمن يحق له التزوي بزى رجل الدين، ومن لازال غير مؤهل لذلك بعد.

تاسعاً: عدم التصدي الجدي لإصلاح المناهج المقررة تعيناً في الحوزة العلمية، وعدم إضافة ما بات ضرورياً إليها، بما يؤهل الطالب للقيام بالدور الذي سيضطلع به على أحسن وجه في قابل أيامه.

ولقد شغل موضوع تأليف كتب جديدة لتحل محل الكتب الدراسية الحالية المهتمين بالشأن الحوزوي في النجف الأشرف من المراجع فمن دونهم من الأساتذة والعلماء والباحثين الحوزويين كما تقدم لاستيضاحهم حقيقة مفادها أن ارتفاع المستوى العلمي في الحوزات وتطوره بمرور الزمن جدّد الحاجة إلى تبديل الكتب الدراسية والارتفاع بمستواها إلى ما يتناسب والتطور الذي حصل ليساهم الكتاب

(١) موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية: ١٨٩/٦ نقلاً عن: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين.

في انفتاح الطالب على المعلومات المستجدة وهضمها وتهيئته لتطويرها والارتفاع بالمستوى العلمي لنفسه وللحوزة التي هو فيها^(١).

وخاصة أن الأعم الأغلب من الكتب الدراسية المعتمدة إن لم نقل كلها كتبت بأسلوب قديم والآن اختلفت أساليب التعبير والكتابة عمّا كان عليه الحال في تلك العصور^(٢) وأنها لم تعدّ لتكون كتباً دراسية في المنهجية والتبويب والمادة المعروضة وأسلوب العرض وقوة البيان والتعبير (...) على أن كثيراً منها لا يستوعب دورة علمية تامة^(٣).

إضافة إلى طرحها لمسائل عفا عليها الزمن من ناحية وعدم احتوائها على ما جد من نظريات وآراء حديثة صقلتها مدرسة النجف الأصولية والفقهية عبر مخاض بحثها العميق من ناحية ثانية وقد تناولت ذلك بتفصيل واف فيما تقدم، إضافة لتأثر علماء الفقه وأصول الفقه بالفلسفة والمنطق تأثراً واضحاً على اختلاف في درجة التأثير بين عالم وآخر من ناحية ثالثة، ويلاحظ هذا التأثير في مباحث عديدة منها في موضوع علم الأصول واشتراط وجوده ووحدته استفادوا من قاعدة السنخية بين العلة والمعلول وقاعدة الواحد لا يصدر منه إلا الواحد أو الواحد لا يصدر إلا من واحد وكذلك اعتمدوا على قاعدة الواحد في لزوم وجود الجامع بين الأفراد في بحث الصحيح والأعم وفي موضوع المعنى الحرفي تعرضوا إلى موضوع الوجود وأقسامه الذي يبحث عنه في الفلسفة (...) وكذلك استفادوا من فكرة الجنس والفصل وفرقهما عن المادة والصورة من أخذ ال (لا بشرطية) عن

(١) علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. حوار مع المرجع السيد محمد سعيد الحكيم.

مجلة التحقيق والحوزة. سابق: ١٠٩.

(٢) حوار مع ساحة الشيخ باقر الإيرواني. مجلة فقه آل البيت (ع). العدد ٣٥ من السنة التاسعة. ٢٠٠٤م. ص ١٧٨.

(٣) علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. سابق: ١٠٩، وينظر: المصدر السابق: ١٧٩.

الحمل في الجنس والفصل بينما أخذ الـ(بشرط لا) عن الحمل في المادة والصورة، وفي بحث الأوامر تعرضوا إلى مسألة كلامية تختلف فيها المتكلمون منذ القدم وهي مسألة الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين ومسألة كلام الله والإرادة والطلب وتعرضوا خلالها إلى بعض المسائل الكلامية كما يلاحظ ذلك في كفاية الأصول وفي بحث الضد اعتمدوا على فكرة استحالة اجتماع الضدين أو النقيضين أو المثليين واستخدموا مصطلحات: السبب والمقتضي والشرط والمانع والعلة التامة والناقصة وفي مبحث المطلق والمقيد بحثوا عن التقابل وهل أن التقابل بين المطلق والمقيد تقابل العدم والملكية أو تقابل التضاد (...) وقد استفادوا في القطع من مبحث الجعل الذي يبحث عنه في الفلسفة^(١) وقد ذكر الباحث مجالين لهذا التأثير هما: مجال الألفاظ والمصطلحات ومجال القواعد^(٢).

وكان ساحة السيد محسن الأمين قد أشار قبل أكثر من قرن من الزمان إلى وجود خلل في تدريس علم الأصول وهو إدخال مسائل علم الكلام في علم أصول الفقه^(٣). وقد سبق الحديث عن موضوع الكتب المقررة في نظام الحوزة الدراسي بشكل أوسع في فصل سابق.

عاشراً: عدم وجود آلية ما تدفع الطالب نحو الالتزام بالدراسة والحضور اليومي كما تقدم سوى الدافع الذاتي وحده، وهو غير كافٍ في كثير من الأحيان.

(١) مدى تأثر علماء الفقه والأصول بالفلسفة ١. السيد هاشم الهاشمي. بحث. مجلة رسالة الثقلين. المجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام). العدد التاسع من السنة الثالثة. ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ص: ١٨٠-١٨٢.

(٢) ينظر على التوالي: المصدر السابق: ٨٣، والعدد العاشر من المجلة نفسها للسنة نفسها: ١٣٤.

(٣) موسوعة النجف الأشرف. جامعة النجف الدينية: ٦/ ١٨٩ سابق: نقلاً عن: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين. المجلد العاشر. سيرة المؤلف.

وهناك من المؤرخين من يشير إلى وجود هذه الظاهرة قبل أكثر من قرن من الزمان، وربما قبل ذلك^(١)، لذا ينبغي العمل على وضع آليات إضافية لتقوية الدافع الذاتي للطلاب وصولاً به نحو الجدوية في الدراسة والحضور والمتابعة والمطالعة والمباحثة الدؤوبة المنتجة.

حادي عشر: عدم تحديد سقف زمني معين يتراوح بين حدين أدنى وأعلى لكل مرحلة من مراحل الدراسة الحوزوية، بل ولكل كتاب دراسي من كتبها المقررة في كل مرحلة من مراحلها الدراسية، مما يترك المجال مفتوحاً أمام الطالب ليقرر الانتهاء من أية مرحلة يشاء أو كتاب يشاء، ولئن كانت مراعاة الظروف الخاصة لكل طالب مطلوبة، والحرية المتاحة في الدراسة وأوقاتها محبة، إلا أنها في أحيان كثيرة باتت تخرج عما أريد لها أن تكون لأسباب شتى غالبها شخصي تتعلق بالطالب نفسه تدفعه إلى التماهل والتسويق والتغيب غير المسموح به، وقد بان هذا التفاوت واضحاً في المدد التي يقضيها بعض الطلاب في دراسة موضوع ما أو كتاب ما فالبعض يدرس علم الأصول في اثنتي عشرة سنة، والبعض الآخر في ست عشرة سنة، وثالث في ست سنوات^(٢).

ثاني عشر: ليس هناك في النظام الحوزوي السائد ما يلزم الطالب أن يتم المرحلة أو الكتاب الدراسي الذي هو فيه قبل انتقاله إلى المرحلة أو الكتاب اللاحق له، بل إن الأمر متروك للطلاب نفسه فمنهم من يوفق إلى تطبيقه تطبيقاً

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) حوار مع المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي. مجلة فقه أهل البيت ٣٥ العدد ٣ من السنة التاسعة

تاماً فلا يقرأ في كتاب حتى يتم ما قبله ويتقنه، ولا في علم حتى يفرغ من الذي قبله ويتقنه، ولا يقرأ درس الخارج حتى يفرغ من السطوح، وكثير منهم لا يطبق هذا البرنامج، فيشرع في الكتاب المتأخر قبل إكمال المتقدم، وفي درس الخارج قبل إتقان السطوح، فلا يستفيد شيئاً أو يستفيد فائدة قليلة في مدة طويلة^(١) وهناك ما يشير إلى أن هذه الظاهرة ليست بنت اليوم ورغم ذلك فهي باقية حتى اليوم دون علاج^(٢).

ثالث عشر: عدم فتح باب التخصص الدقيق في علوم الشريعة بعد مرور الطالب الحوزوي بشكل إلزامي بسنوات الدراسة العامة المتقنة للعلوم، بحيث لا ينتهي الطالب من مرحلة بناء الأساس العلمي المستوعب إلا وقد أحاط إحاطة تامة بكل ما ينبغي له أن يحيط به ويهضمه من علوم الشريعة والعلوم الأخرى المساعدة وفي مقدمتها علوم العربية، ثم يتخصص في فرع منها بعد ذلك. إن فتح باب التخصص الدقيق في العلوم أثبت نجاحه على أصعدة العلوم كافة تجريبية ونظرية، وطبيعي أن يثبت نجاحه في علوم الشريعة عندنا أيضاً لو تمت دراسته دراسة علمية.

كما إن فتح باب التخصص الدقيق في أبواب مثل القضاء والأديان والمذاهب والتبليغ بقسميه الداخلي والخارجي الذي يتطلب من جملة ما يتطلب دراسة المبلّغ المختار للتبليغ في بلد معين للغة ولهجة وطباع وعادات وتقاليده وقيم وثقافته ومجتمع وسياسة ذلك البلد وغير ذلك مما تقتضيه طبيعة عمل المبلّغ حتى ينجح

(١) أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: المجلد العاشر الأخير. سيرة المؤلف، وقد كتبها قبل أكثر من قرن من اليوم.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

في مهمته بعد أن يندمج بمجتمعه الجديد اندماجاً كاملاً. وهو ما نفتقده كثيراً في العديد من المبلغين القادمين إلى دول ربما لا يعرفون لغتها اليومية المتداولة فضلاً عن ثقافة مجتمعتها فيتعثر مسعاها أو يفشلون في مهمتهم.

رابع عشر: كثرة أيام التعطيل خلال السنة الدراسية وانخفاض معدل ساعات التدريس السنوية إما بسبب العطل أو بسبب تغيب الطالب أو الأستاذ لأسباب شتى، وهو ما ينبغي وضع علاج له، ورغم أن الكثير من مجتهدى الحوزة وفضلائها بمن فيهم المراجع العظام يشكون من تفاقم هذه الظاهرة إلا أنها لا زالت بدون حل.

خامس عشر: إلقاء مسؤولية البحث في علوم القرآن وتفسيره، والحديث وعلمه على الطالب، وإن كان بتوجيهات أساتذته، غير كافٍ ولا ناهض بتزويده بثقافة قرآنية وحديثية أساسية هو أحوج ما يكون إليها بحكم تخصصه، فما دام النظام الحوزوي والمنهج الدراسي لا يلزمان الطالب بهذه العلوم، فسيتقى الطالب بحاجة إلى سدّ هذا النقص المعلوماتي الكبير، وهذه سلبية تؤثر على النظام والمنهج الحوزوي، ما يستدعي معالجة شافية تلزم الطالب بحفظ القرآن أو سور منه إضافة لآيات الأحكام مع إلمام كافٍ بعلم الحديث من خلال دراسة منهجية متدرجة لعلوم القرآن ومناهج تفاسيره ومفسريه المختلفة، وعلم الحديث، ومناهج وكتب المحدثين والرجال وصولاً إلى البحث الخارج فيها.

ومن الطريف أن المرجع الأعلى في وقته سماحة السيد أبا القاسم الخوئي المتقدم ذكره قد استشعر أهمية تدريس علوم القرآن فكتب يقول: شرعت في تفسير القرآن برهة من الزمن إلى أن حالت ظروف قاسية دون ما كنت أرغب

فيه من إتيامه، بل ويزيد على ذلك بقوله: وكم كنت أودّ انتشار هذا الدرس وتطويره^(١). إلّا أن هذا لم يحدث مع الأسف، لا في عهد مرجعيته العليا، ولا في العهد الحاضر.

ولعل هناك سلبيات أخرى في النظام أقل أهمية مما تقدم، لا يسع المجال لذكرها هنا. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.



(١) معجم رجال الحديث. السيد الخوئي: ١٧/٢٢.

الخاتمة

بعد أن استعرض الكتاب الثالث من كتبي هذه عن (الحوزة العلمية في النجف الأشرف): النظام الدراسي من حيث أعداد طلاب حوزة النجف الأشرف، وأماكن دراستهم، وسكنهم، سابقاً فلاحقاً، زيادة ونقصاناً، وعرج على مدارسه العلمية نشوءً وارتقاءً، وتطوراً وبناءً، تناول بإسهاب مراحل النظام الدراسي الثلاث (المقدمات)، و(السطوح)، و(البحث الخارج)، وطريقة تدريسها، ومناهج كل مرحلة دراسية، سواء ما كان منها قديم التأليف، ومع ذلك استطاع بإيجابياته الكثيرة أن يفرض وجوده العلمي على مدى مئات السنين، أم حديثه الذي استطاع بحسن عرضه وتبويبه، وجدة مبانيه وحدثاتها، أن ينافس المناهج التقليدية فيحل محلها، كل ذلك من خلال عرض نقدي بناء هدفه التطوير والتحديث.

وإذ انتهى الكتاب من ذلك كله، تناول بإسهاب إيجابيات النظام الدراسي الحالي، وسلبياته، بتفصيل وافٍ خصص له الكتاب مساحة كبيرة، معززاً الإيجابيات الكثيرة والسلبيات بأمثلة تطبيقية على ما سرده من نقاط، ويّنه من أمور.

لقد انتهى هذا الكتاب من خلال ما تناول وعرض، ويّين وفصّل، إلى خلاصة مفادها أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف باتت بحاجة أكثر من أي وقت مضى إلى ترتيب بيتها الداخلي، ونظم أمرها، من خلال العمل المدروس

المبرمج، الذي يدفع إلى تمثّل منتسبيها - كل منتسبيها - لإيجابياتها بحيث يصدرون عنها، وتجنب منتسبيها - كل منتسبيها - لسلبياتها، بحيث ينأون بأنفسهم عنها، من خلال تربية وتدريب مبرمج، وتقويم وتهذيب مدروس، عسى أن يعين على ذلك كله أو بعض ذلك.

أسأل الله جل وعلا أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٨﴾.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

عبد الهادي الشير محمد نقي الحكيم

النجف الأشرف

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م



الملحق

أساتذة البحث الخارج والسطوح العليا

في حوزة النجف الأشرف لعام

(١٤٤٢-١٤٤٣هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢م)

وفق تسلسل الحروف الألفبائية



تمهيد

يحسن بي بادئ ذي بدء أن أقول: إني لا أزعم، بحال، أن إحصائيتي هذه هي إحصائية دقيقة غاية في الدقة، أو بحدودها، فهناك دائماً هامش للخطأ، وخاصة في مثل هذه الإحصائيات غير الرياضية لأسباب واضحة، وهو ما دعاني إلى عنوانها بعنوان (إحصائية تقريبية)، ذلك أن الإحصاء الدقيق لأساتذة البحث الخارج، أو السطوح العليا في حوزة النجف الأشرف، ليست باليسيرة، لأسباب منها:

١. افتقار مؤسسة الحوزة إلى سجل خاص بهؤلاء الأساتذة، يثبتون فيه ويسجلون اسم من بلغ هذه الدرجة العلمية، أو تلك، أولاً بأول.
٢. عدم وجود إحصاء للأساتذة سابق يمكنني الاستعانة به.
٣. إن أستاذ البحث الخارج أو السطوح العليا قد يلقي بحثه أو يدرس درسه في بيته، أو في مسجد غير مشهور، مما يزيد من صعوبة الاطلاع على مرحلة تدريسه العلمية ومستواها، أو الإلهام بموضوع درسه.
٤. انتقال بعض الأساتذة من تدريس السطوح العليا إلى تدريس البحث الخارج، أو انتقال المدرس من تدريس السطوح الأولية إلى تدريس السطوح العليا حديثاً، بحيث لم يشتهر أو يعرف بعد في الحوزة ذلك الانتقال

من هذه المرحلة الدراسية الى المرحلة التي تليها، مما قد يحتاج معه إلى مدة زمنية لمعرفة ذلك التوسع العلمي في مرحلة تدريسه.

٥. توسع الأستاذ في تدريسه للمادة العلمية من شارح لعبارة السطح العالي، إلى كونه أستاذ بحث خارج على متن السطح العالي، وهو ما يكثر هذه الأيام، بحيث تحار في أي من المرحلتين تصنف مستواه، وكذا الحال في أساتذة السطوح.

بيد أنني رغم ذلك سعت بجد، باذلاً جهدي لأهمية التوثيق حاضراً ومستقبلاً، فسألت بعض أفاضل الأساتذة المرموقين، فساعدني على إعداد قائمة أولية بأسماء أساتذة البحث الخارج وأساتذة السطوح العليا بحسب خبرته، ومعرفته بهم، وبمستوياتهم وتدريسهم.

ثم حملتها لأطوف بها على هذا الأستاذ، أو ذاك، وعلى هذا المدرّس أو ذاك، بل وعلى هذا المكتب المرجعي، أو ذاك، ممن أثق بدقة تشخيصهم للمستويات العلمية، وأعرف تحرّجهم من إضافة من لا ينطبق عليه الوصف العلمي إلى القائمة.

فأشاروا عليّ بما اعتقدوه، فزدت هذا على أساتذة القسم، أو حذفت ذاك، وهكذا كنت أراوح بين تشخيص هذا الخبير، وإشكال ذاك عليه، فأذهب إلى حيث السؤال مجدداً، ثم السؤال ثانية، فالحذف، أو الإضافة، حتى استقرت بي الإحصائية على ما استقرت عليه في الطبعة السابقة.

ثم بدا لي في الطبعة الجديدة هذه أن أقسم الطبقة الثانية إلى قسمين؛

قسم يضمّ الأعلام من أساتذة البحث الخارج، أو الأقدم، أو الأكثر حُضاراً، أو من انتهى من دورة تدريس أولى، وبدأ بالدورة الثانية، أو الأوزن علمياً في العرف الحوزوي، أو أمثالها من المحددات الأخرى.

وقسم ثانٍ يضم المتأخرين عنهم زمناً في البدء بالتدريس، أو المستوى، أو عدد حضار الدرس، وأمثالها، وذلك لاعتبارات واضحة ومفهومة، تأتي في مقدمتها أنك قد تجد في قائمة أساتذة البحث الخارج الواحدة اسم أستاذ وتلميذه، بل وأستاذ وتلميذ وتلميذ، خاصة إذا كان اسم التلميذ أو تلميذ التلميذ يسبق اسم الأستاذ في القائمة؛ لأن اسمه يتقدم على اسم أستاذه في التصنيف الألفبائي.

وفعلًا عملت قائمتين، وأرسلتهما إلى قسم من أساتذة البحث الخارج، وإلى الخبراء من غيرهم، غير أن الإشكالات العلمية على آلية التقسيم بدأت تترى، فغيّرت، ثم عادت تترى، فبدلت، ثم غيرت إلى آلية تقسيم أخرى، فبدأت، ثم بدلت وغيرت.

ولم تنتهِ الإشكالات العلمية على التقسيم الجديد بالآلية المختارة، ولم تخفّ الاعتراضات، وهكذا دواليك، إلى أن بدا لي أن تقسيم أساتذة البحث الخارج إلى قسمين، وفق إحدى المحددات المتقدمة وأمثالها قد يزيد الإشكالات ويعمقها.

فقررت العدول عن اختيار أي آلية بديلة لحين عشوري على آلية تحقق لي المطلوب، والعودة ثانية إلى اعتماد آلية التقسيم وفق المرحلة الدراسية (مرحلة المقدمات، والسطوح العليا، والبحث الخارج).

ومرحلة البحث الخارج مرحلة من مراحل الدراسة الحوزوية غير المختلف عليها ضمن سَلَم الدراسات الحوزوية، وبالتالي فهي مرحلة محددة معروفة غير خاضعة من حيثية كونها مرحلة للاجتهادات والرؤى المختلفة.

فعدت ثانية إلى ما كنت عليه، مستعيناً مجدداً ببعض أساتذة البحث الخارج، وبعض من الخبراء المتابعين للشؤون الحوزوية، أشخاصاً ومستويات وأمثالهما، مع حذف اسم من انتقل من القائمة السابقة إلى جوار ربه، أو إضافة من بدأ بتدريس البحث الخارج إليها، بعد أن لم يكن.

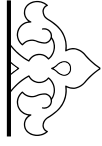
فإن كنت أصبت في التشخيص، فبعون الله ما كان، وإن تكن الأخرى، فحسبي أنني حاولت، مع الاعتذار سلفاً عن الغفلة والسهو والنسيان، والله من وراء القصد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

وفيما يأتي قائمة بأسماء (أساتذة البحث الخارج من غير المراجع) في حوزة النجف الأشرف الحالية (١٤٤٢ - ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١ - ٢٠٢٢ م)، بحسب تسلسل الحروف الألفبائية.

ثم تليها قائمة بأسماء (مدرسي السطوح العليا: المكاسب، الرسائل، الكفاية) بتوسعة، أو بغيرها، بحسب تسلسل الحروف الألفبائية كذلك.

وكما يلي:

أولاً: أسماء أساتذة البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف
من غير المراجع، لعام (١٤٤٢-١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢ م)،
مرتبة على حسب التسلسل الألفبائي للحروف.



١. السيد أحمد الأشكوري
٢. السيد أحمد الحسيني الجوادي
٣. الشيخ أمين المامقاني
٤. الشيخ باقر الإيرواني
٥. الشيخ بشار أبو گلل
٦. السيد جعفر السيد عبد الصاحب الحكيم
٧. الشيخ جواد السلطان
٨. الشيخ حسن البشير
٩. الشيخ حسن الشيخ محمد تقي الجواهري
١٠. السيد حسن السيد محمد رضا السيستاني
١١. الشيخ حسن الكاشاني
١٢. السيد حسين السيد علاء الدين الحكيم
١٣. السيد حميد الغريفي
١٤. الشيخ حيدر أبو صبيح
١٥. الشيخ شمس الدين الواعظ
١٦. الشيخ شهاب الدين
١٧. الشيخ صادق الناصري

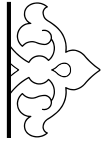
١٨. السيد صالح القزويني
١٩. السيد صدر الدين القبانجي
٢٠. السيد عادل السيد عبد الزهرة الحكيم
٢١. الشيخ عباس السراج
٢٢. السيد عبد الحسين القاضي
٢٣. السيد عبد المنعم الحكيم
٢٤. الشيخ عبد المنعم المصلي
٢٥. السيد عز الدين السيد محمد سعيد الحكيم
٢٦. السيد علاء الدين السيد محمد سعيد الحكيم
٢٧. السيد علاء الدين الغريفي
٢٨. السيد علي أكبر الحائري
٢٩. الشيخ علي التبريزي
٣٠. السيد علي الرضا الحكيم
٣١. الشيخ علي الجزيري الأحسائي
٣٢. الشيخ علي الربيعي
٣٣. السيد علي السبزواري
٣٤. الشيخ علي عباس القطيفي
٣٥. الشيخ علي القائي
٣٦. السيد غسان الخرسان
٣٧. السيد فاضل الجابري

٣٨. الشيخ فرقد الجواهري
٣٩. السيد مجتبى الحسيني
٤٠. السيد محسن التبريزي
٤١. السيد محسن الهاشمي
٤٢. السيد محمد باقر السيستاني
٤٣. السيد محمد باقر السيد محمد صادق الحكيم
٤٤. السيد محمد جعفر السيد محمد صادق الحكيم
٤٥. الشيخ محمد الجواهري
٤٦. الشيخ محمد حسين الأنصاري
٤٧. السيد محمد الحسنی
٤٨. السيد محمد حسين السيد محمد سعيد الحكيم
٤٩. الشيخ محمد الزين
٥٠. السيد محمد رضا السيستاني
٥١. السيد محمد رضا إمام الجزائري
٥٢. الشيخ محمد السعودي
٥٣. الشيخ محمد السند
٥٤. السيد محمد صادق الخرسان
٥٥. السيد محمد صالح الحكيم
٥٦. السيد محمد طاهر الجزائري
٥٧. الشيخ محمد طاهر شبير الخاقاني

٥٨. السيد محمد علي السيد صادق الشيرازي
٥٩. الشيخ محمد موسى حيدر العاملي
٦٠. السيد محمد القاضي
٦١. الشيخ محمد هادي الشيخ راضي
٦٢. السيد محمود المقدس الغريفي
٦٣. السيد مرتضى الشيرازي
٦٤. السيد مصطفى ابن س حبيب حسينيان
٦٥. السيد مقداد الحكيم
٦٦. الشيخ نجاح البغدادي
٦٧. الشيخ نزار آل سنبل القطيفي



ثانياً: أسماء أساتذة السطوح العليا (المكاسب، الكفاية، الرسائل)
في حوزة النجف الأشرف لعام (١٤٤٢-١٤٤٣ هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢ م)،
مرتبة حسب التسلسل الأبجائي للحروف.



١. الشيخ إبراهيم النصيراي
٢. الشيخ أحمد آل حيدر
٣. السيد أحمد الصافي
٤. السيد أحمد السيد صالح الخرسان
٥. الشيخ أحمد الصالحي
٦. الشيخ أحمد الشيخ عبيد زيدان العوادي
٧. السيد آصف اللعبي الموسوي
٨. الشيخ أمجد رياض
٩. السيد جابر الموسوي
١٠. الشيخ جاسم الشيخ أفضل جاسم
١١. الشيخ جعفر الحائري
١٢. السيد جعفر المروج
١٣. الشيخ جعفر اليعسوب
١٤. الشيخ جليل الشيخ حميد الطائي
١٥. السيد جواد الغريفي
١٦. السيد جواد الفالي
١٧. الشيخ حازم الحدراوي

١٨. الشيخ حامد الظاهري
١٩. الشيخ حسن الباوي
٢٠. الشيخ حسن التركماني
٢١. الشيخ حسن الحائري
٢٢. الشيخ حسن الخاقاني
٢٣. الشيخ حسن الشيخ خشيش العاملي
٢٤. الشيخ حسن الصالحى
٢٥. السيد حسن المرعشي
٢٦. السيد حسنين المقرم
٢٧. الشيخ حسين آل ياسين
٢٨. الشيخ حسين البهادلي
٢٩. الشيخ حسين الشيخ خضر الظالمى
٣٠. الشيخ حسين الصالح
٣١. السيد حسين السيد عبد الصاحب الحكيم
٣٢. السيد حسين الغريفي
٣٣. السيد حسين الكربلائي
٣٤. السيد حسين الكشميري
٣٥. السيد حسين اللعبي الموسوي
٣٦. السيد حسين السيد محمد رضا السيستاني
٣٧. الشيخ حميد الوائلي

٣٨. الشيخ حيدر آل حيدر
٣٩. الشيخ حيدر البلداوي
٤٠. السيد حيدر السيد مجيد الحكيم
٤١. الشيخ حيدر العباسي
٤٢. السيد حيدر المؤمن
٤٣. الشيخ خالد السويدي
٤٤. الشيخ خليل لمع العاملي
٤٥. الشيخ رافد الحاوي
٤٦. الشيخ رافد الزيداوي
٤٧. الشيخ رافد الفتال
٤٨. الشيخ رجب علي المحمدي
٤٩. السيد رشيد الحسيني
٥٠. الشيخ رياض الگرعاوي
٥١. السيد رياض الموسوي الهندي
٥٢. السيد زهير السيد محمد رضا الحكيم
٥٣. الشيخ زيد الكاظمي
٥٤. الشيخ ستار الجيزاني
٥٥. الشيخ ستار العصفوري
٥٦. الشيخ سعد الفهداوي
٥٧. الشيخ شاكر المحمدي

٥٨. الشيخ صادق الشيخ محمد رضا الساعدي
٥٩. السيد صالح السيد مهدي الخرسان
٦٠. السيد صالح الهاشمي
٦١. السيد ضياء زين الدين
٦٢. الشيخ طارق البغدادي
٦٣. الشيخ طالب الشمري
٦٤. السيد طعمة الجابري
٦٥. السيد طلال الحكيم
٦٦. الشيخ عباس أبو الطابوق
٦٧. الشيخ عباس الجيزاني
٦٨. الشيخ عباس الشيخ عبيد زيدان العوادي
٦٩. الشيخ عباس كاشف الغطاء
٧٠. السيد عباس المرعشي
٧١. الشيخ عبد الرضا الرويمي
٧٢. الشيخ عبد الرضا الهندي
٧٣. الشيخ عبد الستار البغدادي
٧٤. الشيخ علاء أبو الطابوق
٧٥. السيد علاء الموسوي الهندي
٧٦. السيد علي أحمد الخميني
٧٧. الشيخ علي أيوب الربيعي

٧٨. السيد علي البعاج
٧٩. الشيخ علي البهادلي
٨٠. السيد علي الخميني
٨١. الشيخ علي السويدي
٨٢. السيد علي الصراف
٨٣. الشيخ علي الشيخ ضياء الجواهري
٨٤. السيد علي السيد عبد الرزاق الحكيم
٨٥. الشيخ علي الشيخ عبد الله حسون الوائلي
٨٦. الشيخ علي عطية التميمي
٨٧. الشيخ علي الفدائي
٨٨. السيد علي السيد محمد حسين الحكيم
٨٩. السيد علي السيد مهدي الصدر
٩٠. السيد علي النوري
٩١. السيد علي الهاشمي
٩٢. الشيخ عمار الخزعلي
٩٣. السيد عمار السيد محمد صالح الحكيم
٩٤. الشيخ غالب الخفاجي
٩٥. الشيخ غالب الناصر
٩٦. الشيخ غزوان الخزاعي
٩٧. الشيخ فيصل العبادي

٩٨. الشيخ قاسم الشيخ داود العاملي
٩٩. الشيخ كاظم السويفي
١٠٠. الشيخ كاظم القره غولي
١٠١. الشيخ كريم مسير
١٠٢. الشيخ ماجد اللامي
١٠٣. السيد ماجد المبرقع
١٠٤. السيد مثنى الحكيم
١٠٥. الشيخ مجيد الصائغ
١٠٦. الشيخ محمد آل حيدر
١٠٧. السيد محمد باقر العلوي
١٠٨. السيد محمد البغدادي
١٠٩. السيد محمد البكاء
١١٠. السيد محمد تقي السيد محمد علي الحكيم
١١١. السيد محمد تقي السيد يوسف الحكيم
١١٢. الشيخ محمد الجعفري
١١٣. السيد محمد حسين العميدي
١١٤. الشيخ محمد رضا الساعدي
١١٥. السيد محمد رضا الغريفي
١١٦. الشيخ محمد رضا الفياض
١١٧. الشيخ محمد رضا حرز الدين

١١٨. السيد محمد زبيبة
١١٩. الشيخ محمد علي محراب الرحيمي
١٢٠. السيد محمد علي بحر العلوم
١٢١. السيد محمد العمدي اليماني
١٢٢. الشيخ محمد الكعبي
١٢٣. الشيخ محمد الماجدي
١٢٤. السيد محمد هاشم آل يحيى
١٢٥. الشيخ مسلم رضائي
١٢٦. الشيخ منذر الشيخ جميل الخزاعي
١٢٧. الشيخ ناجح العبودي
١٢٨. السيد نصر الدين كاظمي
١٢٩. السيد هاشم الهاشمي
١٣٠. الشيخ هيثم الرماحي
١٣١. الشيخ يحيى السعداوي



أهم مصادر البحث ومراجعته

القرآن الكريم

١. آلية البحث عن الوظيفة العقلية في منظور السيد محمد تقي الحكيم. السيد محمد صادق السيد محمد رضا الخرسان. بحث ضمن بحوث كتاب (مدرسة النجف الأشرف ودورها في إثراء المعارف الإسلامية). كلية الفقه. جامعة الكوفة. العراق. ٢٠٠٦م
٢. آية الله العظمى الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر. د. قاسم مهدي حمزة الموسوي. رسالة علمية نالت درجة الماجستير من جامعة القادسية. مخطوط
٣. أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف. الدكتور محمد حسين الصغير. ط ١. مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان. ٢٠٠٣م.
٤. الإسلام يقود الحياة. ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر: ١٢/ ١٥١ - ١٥٤.
٥. الأصول العامة للفقه المقارن. السيد محمد تقي الحكيم. ط ٤. المؤسسة الدولية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ٢٠٠١م. والطبعة المحققة الصادرة عن مركز الدراسات العلمية التابع للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية. تحقيق: وفي الشناوة. ط ١. قم. إيران. ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠م.
٦. أصول الفقه للمظفر. أصول الفقه للمظفر. طبعة مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين بقم. ١٤٢٥ هجرية.

٧. الإمام الحكيم: السيرة الذاتية، الجانب العلمي، المرجعية الدينية، الحوزة العلمية. بقلم السيد محمد باقر الحكيم: مؤسسة تراث شهيد المحراب. النجف. جمهورية العراق. ٢٠٠٥ م.
٨. بحوث في الفقه الزراعي. الشيخ حيدر حب الله. المقدمة بقلم السيد محمود الهاشمي. ط ١. مؤسسة دار معارف الفقه الإسلامي. قم المقدسة. إيران. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.
٩. تاريخ وتطور الفقه والأصول في حوزة النجف الأشرف العلمية. السيد محمد جعفر الحكيم. ط ٣. المؤسسة الدولية للدراسات والنشر. بيروت. لبنان. ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
١٠. تجرّبي في التعليم الحوزوي حتى عام ١٣٩١ هـ. الشيخ عبد الهادي الفضلي. محاضرة في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية بالملكة العربية السعودية.
١١. التحقيق والحوزة. مجلة فصلية إعلامية تحقيقية. عدد خاص عن حوزة النجف الأشرف. مركز الدراسات والبحوث التابع لإدارة الحوزة في قم المقدسة. قم المقدسة. إيران. السنة الرابعة. دون ذكر سنة الإصدار.
١٢. التقليد والحالة القومية. الشيخ محمد مهدي الآصفي. منشور في دائرة المعارف الشيعية. الجزء العاشر.
١٣. جامعة النجف. الشيخ محمد تقي الفقيه. موسوعة النجف الأشرف. جمع بحوثها جعفر الدجيلي. ط ١. الجزء السادس. بيروت. لبنان. ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
١٤. جنة المأوى. الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء. تقديم السيد محمد علي القاضي الطباطبائي. ط ٢. دار الأضواء. بيروت. لبنان. ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

١٥. جوامع النجف الأشرف: مجلة آفاق نجفية. العدد ٢٣. السنة السادسة. ١٤٣٢ هجرية/ ٢٠١١ م.
١٦. حالة الصحن العلوي الشريف في زمن النظام البائد. من دليل انجازات قسم الشؤون الهندسية والفنية للعتبة العلوية المقدسة. العتبة العلوية المقدسة. النجف الأشرف. العراق.
١٧. حجر وطن. الشيخ محمد تقي الفقيه. ط ١. بيروت. لبنان. ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م.
١٨. حركة الشعر في النجف الأشرف وأطواره خلال القرن الرابع عشر. د. عبد الصاحب الموسوي. دار الزهراء. بيروت. لبنان. ١٩٨٨ م.
١٩. حوار مع ساحة الأستاذ الشيخ باقر الإيرواني. مجلة فقه أهل البيت. قم. إيران. دون ذكر تاريخ النشر.
٢٠. الخصائص العلمية والأخلاقية للشيخ الأعظم الأنصاري. السيد محمد علي الموسوي الجزائري. ترجمة عباس الأسدي. مجلة الفكر الإسلامي. العدد ٧. السنة الثانية. قم. إيران. ١٤١٥ هـ.
٢١. دراسة المرجع الشيخ الفياض عن أستاذه المرجع الأعلى السيد الخوئي. مجلة النور. العدد ١٧٦ لسنة ٢٠٠٦ م. لندن. المملكة المتحدة.
٢٢. دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري. الشيخ باقر الإيرواني. ط ٢. مؤسسة الفقه للطباعة والنشر. قم. إيران. ١٤٢٠ هجرية.
٢٣. دروس تمهيدية في القواعد الرجالية. الشيخ باقر الإيرواني. ط ١. المركز العالمي للعلوم الإسلامية. قم. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٤١٧ هـ.

٢٤. دروس في أصول فقه الإمامية. الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي. ط ١. مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر. ١٤٢٠ هـ جرية.
٢٥. دروس في علم الأصول. الشهيد السيد محمد باقر الصدر. الجزء الأول.
٢٦. دليل الزائرین. عبد العلي خان (أديب الملك). من كتاب: العراق في مشاهدات ناصر الدي شاه: ترجمة وتعليق محمد الشيخ هادي الأسدي.
٢٧. رحلتي الدراسية مع السيد التقي الحكيم. الدكتور محمود المظفر. منشور ضمن: كتاب السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف. ط ١. معهد الدراسات العربية والإسلامية. لندن. المملكة المتحدة. ٢٠٠٣ م.
٢٨. الرسالة المصرية. مجلة. العدد ٢٣٥. السنة السادسة. لسنة ١٣٥٦ هـ / ١٩٣٨ م.
٢٩. السيد أبو الحسن الأصفهاني. سيرته وأضواء على مرجعيته ومواقفه ووثائقه العلمية والسياسية. د. كامل سلمان الجبوري. ط ١. دار الضياء للطباعة والتصميم. النجف الأشرف. العراق. ١٤٢٦ هـ / ٢٠١٥ م.
٣٠. شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام. المحقق الحلي. الطبعة الثانية المحققة. تحقيق عبد الحسين محمد علي. المقدمة بقلم السيد محمد تقي الحكيم. دار الأضواء. بيروت. لبنان. ١٩٨٣ م.
٣١. شروح اللمعة والروضة البهية. السيد محمد جواد الجلالي. بحث في مجلة فقه أهل البيت عليه السلام. العدد العاشر من السنة الثالثة لعام ١٩٩٨ م.
٣٢. الشهيد الصدر الفقيه المجدد. الشيخ خالد الغفوري. مجلة أهل البيت عليه السلام. العدد العشرون. السنة الخامسة. الشيخ الأنصاري من خلال آراء الفقهاء والعظماء والمؤلفين. الشيخ محمد جواد الطبسي. ط ١. الأمانة العامة للمؤتمر

- العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأعظم الأنصاري. قم. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٣٧٣ هجري/ شمسي.
٣٣. شيعة العراق. إسحاق نقاش. ترجمة عبد الإله النعيمي. ط ١. دار المدى للثقافة والنشر. دمشق. سوريا. وبירות. لبنان. ١٩٩٦ م.
٣٤. الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ - ١٩٩٠ م. حسن العلوي. ط ٢. دار الثقافة للطباعة والنشر. إيران. قم. ١٩٩٠ م.
٣٥. الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف. الشيخ محمد مهدي الآصفي. سلسلة رواد الإصلاح. الكتاب الثالث. ط ١. مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي. قم. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٤١٩ هجرية/ ١٩٩٨ م.
٣٦. علم الأصول نظرة جديدة في مناهجه الدراسية في حوزة النجف. حوار مع المرجع السيد محمد سعيد الحكيم. مجلة التحقيق والحوزة. عدد خاص بحوزة النجف الأشرف. السنة الرابعة. مركز الدراسات والبحوث التابع لإدارة الحوزة في قم المقدسة. الجمهورية الإسلامية في إيران. من دون ذكر سنة الطبع.
٣٧. عمارة المدارس الدينية في النجف الأشرف، مدرسة اليزدي أنموذجا. مؤمل سليم مرزة. مجلة تراث النجف، العدد الأول لسنة ٢٠٠٩ م.
٣٨. فهرس مخطوطات الخزانة العلوية. مخطوطات مكتبة السادة آل الخرسان. إعداد وفهرسة أحمد علي مجيد الحلّي. ط ١. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة خزانة المخطوطات. العتبة العلوية المقدسة. دار الكفيل. العراق. كربلاء المقدسة. ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م.

٣٩. الكافي في أصول الفقه. السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم. ط ٢. قم. الجمهورية الإسلامية في إيران. ١٤٢٢ هجرية / ٢٠٠١ م
٤٠. كفاية الأصول في أسلوبها الثاني. الشيخ باقر الإيرواني. ط ٢. مؤسسة إحياء التراث الشيعي. قم. إيران. ١٤٣٠ هجرية.
٤١. مجلة المنار. الجزء الأول من المجلد الحادي عشر. صفر. سنة ١٣٢٦ هـ
٤٢. مجلة حوزة الإيرانية، العدد الأول: ٥٣ (بتصرف)، نقلاً عن (من خصائص المدرسة السلوكية للفقيه الهمداني). بحث. عرفان محمود. مجلة الفكر الإسلامي العدد الثامن. السنة الثانية ١٤١٥ هـ.
٤٣. محمد جواد الغبان الشاعر يروي سيرته بعد أن غبن النظام السابق حقوقه. حوار: علي دنيف حسن. جريدة الصباح العراقية في: ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٦ م.
٤٤. مخزن المعاني في ترجمة المحقق المامقاني. الشيخ عبد الله المامقاني. تحقيق واستدراك الشيخ محمد رضا المامقاني. ط ١. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث. قم إيران. ١٤٢٣ هـ.
٤٥. المدارس القديمة والحديثة في النجف. الشيخ محمد الخليلي: ط ١. النجف الأشرف. العراق.
٤٦. مدينة النجف الكبرى دراسة في نشأها وعلاقاتها الإقليمية. محسن عبد الصاحب المظفر. دراسة مخطوطة على الآلة الكاتبة نالت درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة بغداد سنة ١٩٧٥ م.
٤٧. المرجعية الدينية / ٢. في حوار صريح مع المرجع السيد محمد سعيد الحكيم. عبد الهادي الحكيم. ط ٣. مؤسسة المرشد. بيروت. لبنان. ٢٠٠١ م.

٤٨. مقدمة كتاب بحوث في الأصول. المرجع الشيخ محمد حسين الأصفهاني.
ط ٣. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.
٤٩. مقدمة كتاب كفاية الأصول للشيخ الخراساني: ١٩ - ٢٠ نقلاً عن مجلة العلم: العدد ٨. السنة الثانية. أول شهر صفر سنة ١٣٣٠ هـ. وتاريخ روابط إيران وعراق.
٥٠. مكانة العلامة الطباطبائي في تجديد الفلسفة الإسلامية. سابق. نقلاً عن كتاب ياد نامه مفسر كبير علامة طباطبائي: ١٢٢ - ١٢٣ (فارسي).
٥١. المنطق. أبو الهادي (السيد محمد تقي الحكيم). مقال. مجلة الدليل. العدد العاشر من السنة الثانية رمضان ١٣٦٧ هـ/ ١٩٤٨ م.
٥٢. منهج دراسة النص عند الأصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره. د. عبد الهادي الفضلي. بحث. منشور ضمن بحوث كتاب: السيد محمد تقي الحكيم وحركته الإصلاحية في النجف.
٥٣. موسوعة النجف الأشرف. جمع: جعفر الخليلي. بإشراف لجنة من رجال الفكر والعلم والأدب. دار الأضواء. الطبعة الثانية. بيروت. لبنان. (١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧ م).
٥٤. موسوعة النجف الأشرف. تطور الدرس الأصولي. السيد منذر الحكيم: الجزء السابع. منشورات دار الأضواء. بيروت. لبنان.
٥٥. النجف الأشرف مهد الفضيلة والعلم، السيد أحمد المدي. حوار مع مجلة التحقيق والحوزة إصدار خاص بحوزة النجف الأشرف. مركز الدراسات

والبحوث التابع لإدارة الحوزة في قم المقدسة. السنة الرابعة. من دون ذكر رقم العدد. قم. الجمهورية الإسلامية في إيران. من دون ذكر سنة الطبع.

٥٦. النظام التعليمي في الحوزة العلمية / ٢. الشيخ عبد الجبار الرفاعي. بحث. مجلة الفكر الإسلامي. العدد الثاني من السنة الأولى (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).

٥٧. هكذا عرفتهم. جعفر الخليلي منشورات الشريف الرضي. قم. الجمهورية الإسلامية. من دون ذكر سنة الطبع.



الفهرست

الديباجة ٥

الفصل الأول: طلاب حوزة النجف الأشرف أماكن دراستهم وسكناتهم ١١

التمهيد: الحوزة مصطلحاً ١٣

المبحث الأول: الأعداد التقريبية لطلاب الحوزة سابقاً وحالياً ١٥

الأعداد التقريبية للطلاب قبل وفي أوائل القرن العشرين ١٦

أعداد الطلاب بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وحتى منتصف القرن العشرين ... ٢٠

ارتفاع أعداد الطلاب خلال الثلث الأخير من ستينات القرن العشرين ٢٣

انخفاض أعداد الطلبة مجدداً في سبعينات القرن العشرين ٢٥

ازدياد أعداد الطلبة بعد سقوط النظام البائد ٢٧

المبحث الثاني: أماكن دراسة طلاب الحوزة ٣٠

الصحن العلوي الشريف ٣٠

الجوامع والمساجد ٣٢

الحسينيات ٣٧

المدارس الدينية ٣٨

المساكن الخاصة للأساتذة أو الطلاب ٣٩

٤١	الفصل الثاني: المدارس الدينية
	المبحث الأول: المدارس الدينية تاريخها، وأنظمتها، وعمارتها، ووضع الطالب فيها،
٤٣	بإيجاز شديد
٤٣	المطلب الأول: تاريخ بناء المدارس الدينية ووضع الطلبة فيها
٤٦	المطلب الثاني: عمارة المدارس الدينية
٤٨	المطلب الثالث: أعداد المدارس الدينية في القرنين الماضي والحالي
٥٠	المطلب الرابع: أجمل المدارس الدينية عمارة في القرنين الماضي والحالي
	المبحث الثاني: تشييد المدارس الدينية، الأقدم منها فالأقدم، في حوزة النجف
٥٨	الأشرف
٥٨	المدرسة المرتضوية
٥٩	مدرسة المقداد السيوري
٦٠	مدرسة الملا عبد الله اليزدي
٦١	مدرسة الصدر الأعظم
٦١	مدرسة المعتمد
٦٢	المدرسة المهديّة
٦٢	مدرسة القوام
٦٣	مدرسة الإيرواني
٦٣	مدرسة المجدد الشيرازي
٦٣	مدرسة الخليلي الكبرى
٦٤	مدرسة البخاري أو البخارائي
٦٤	مدرسة الشرياني
٦٤	مدرسة الآخوند الخراساني الكبرى
٦٥	مدرسة الخليلي الصغرى

- ٦٥ مدرسة القزويني
- ٦٥ مدرسة البادكوبي
- ٦٦ مدرسة الآخوند الوسطى
- ٦٦ مدرسة اليزدي الكبرى
- ٦٦ مدرسة الهندية
- ٦٧ مدرسة الآخوند الصغرى
- ٦٧ المدرسة الباكستانية البلتستانية
- ٦٧ مدرسة السيد عبد الله الشيرازي الصغرى
- ٦٧ مدرسة البروجردى الكبرى
- ٦٨ المدرسة اللبنانية
- ٦٨ مدرسة الجوهرجي
- ٦٨ المدرسة الطاهرية
- ٦٨ مدرسة الرحاوي
- ٦٩ جامعة النجف الدينية
- ٦٩ مدرسة دار الحكمة
- ٧٠ مدرسة عبد العزيز البغدادي
- ٧٠ مدرسة الأفغانين البلوجيين
- ٧٠ مدرسة الأزري
- ٧١ المدرسة الشبرية
- ٧١ مدرسة السيد السبزواري
- ٧١ مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
- ٧١ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام
- ٧٢ مدرسة السيد الخوئي

- ٧٢ مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام
- ٧٢ مدرسة أبان بن تغلب
- ٧٢ مدرسة السيد المرتضى
- ٧٢ مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله للعلوم الدينية
- ٧٣ مدرسة ولي العصر
- ٧٣ مدرسة المنتظر عليه السلام
- ٧٣ مدرسة المتقين
- ٧٣ مدرسة الإمام الحسين عليه السلام
- ٧٤ مدرسة أبو طالب
- ٧٤ مدرسة مؤمن قریش
- ٧٤ مدرسة مأوى الصالحين
- ٧٤ مدرسة دار العلوم
- ٧٤ مدرسة العالم الربّاني السيد مرتضى الكشميري
- ٧٥ مدرسة الإمام محمد الباقر عليه السلام
- ٧٥ مدرسة شيخ البطحاء
- ٧٦ مدرسة نجم الأئمة
- ٧٦ مدرسة العلامة البلاغي
- ٧٧ مدرسة آية الله المحقق الشيخ حسين الخلي للعلوم الدينية
- ٧٨ المدرسة المظفرية
- ٧٨ مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية - القسم النسوي
- ٨٠ مدرسة دار العلم النسائية للعلوم الدينية
- المبحث الثالث: ضوء على أنموذجين من نماذج المدارس الدينية في العقدين الماضي والحالي من هذا القرن**
- ٨٤

- المطلب الأول:** مدرسة من مدارس العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري
(المدرسة اللبنانية) أنموذجاً ٨٤
- المطلب الثاني:** مدرسة من مدارس العقد الرابع من القرن الخامس عشر الهجري
(مدرسة نجم الأئمة) أنموذجاً ٨٦

- الفصل الثالث:** التطور التاريخي لمناهج الدراسة الحوزوية، وكتبها المعتمدة ٩١
- المبحث الأول:** المراحل الدراسية في الحوزة العلمية ٩٣
- المبحث الثاني:** الكتب الدراسية المقررة لهذه المراحل سابقاً وحالياً ٩٥
- أولاً:** المرحلة الأولى: مرحلة المقدمات ١٠١
- ثانياً:** المرحلة الثانية: مرحلة السطوح ١٠٢
- ثالثاً:** المرحلة الثالثة: مرحلة البحث الخارج ١٠٣

- الفصل الرابع:** مرحلة المقدمات مناهجها الدراسية المعتمدة وكتبها المقررة، طريقة
تدريسها، ومحاولات تطويرها، وبرنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرسيها ١٠٥
- المبحث الأول:** المناهج الدراسية وكتبها المعتمدة في مرحلة المقدمات ١٠٧
- علم النحو والصرف ١٠٨
- علم البلاغة ١٠٩
- علم المنطق ١١٠
- علم الكلام ١١٠
- الفقه ١١١
- أصول الفقه ١١٣
- علوم مساعدة ومطالعات هادفة ١١٣
- المبحث الثاني:** المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبها المقررة في مرحلة
المقدمات ١١٥

مقدمة	١١٥
المطلب الأول: تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية القديمة	١١٦
المطلب الثاني: إجراء تعديل على المنهج الدراسي المتبع في مرحلة المقدمات	١٢١
المطلب الثالث: إضافة مادة دراسية على المناهج الدراسية المعتمدة في مرحلة المقدمات	١٢٤
المبحث الثالث: طريقة التدريس المعتمدة في مرحلة المقدمات	١٢٧
شرح الدرس	١٢٧
المباحثة	١٢٨
كتابة الدرس	١٢٩
تقييم طريقة التدريس في هذه المرحلة	١٣٠
المبحث الرابع: برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسيها (الشيخ محمد الخاقاني أنموذجاً)	١٣٢

الفصل الخامس: مرحلة السطوح مناهجها الدراسية المعتمدة وكتبها المقررة، طريقة تدريسها، ومحاولات تطويرها، وبرنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسيها	١٣٥
المبحث الأول: المناهج المعتمدة والكتب الدراسية المقررة في مرحلة السطوح وطريقة تدريسها	١٣٧
المطلب الأول: المناهج الدراسية وكتبها المعتمدة	١٣٧
علم الفقه	١٣٧
علم أصول الفقه	١٤٠
علم الكلام والفلسفة	١٤٤
دراسة العلوم المساعدة	١٥٤

المطلب الثاني: طريقة التدريس المتبعة في مرحلة السطوح	١٦٢
المبحث الثاني: المهم من محاولات تطوير المناهج الدراسية وكتبها المقررة في مرحلة السطوح	١٦٣
مقدمة	١٦٣
المطلب الأول: تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية المقررة سابقاً في علم الفقه	١٦٤
المطلب الثاني: تأليف كتب دراسية جديدة لتحل محل الكتب الدراسية المقررة سابقاً في علم الأصول	١٧٤
المطلب الثالث: الشروع بإضافة مناهج دراسية جديدة للمناهج المعتمدة في هذه المرحلة وإعداد كتبها المقررة	٢٠٠
المبحث الثالث: برنامج يوم عمل دراسي لمدرّسين من مدرّسيها	٢١٥
أولاً: برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسي السطوح الدنيا (السيد علي القاضي أنموذجاً)	٢١٥
ثانياً: برنامج يوم عمل دراسي لمدرّس من مدرّسي السطوح العليا (السيد محمد صادق الخرسان أنموذجاً)	٢٢٤

الفصل السادس: مرحلة البحث الخارج، نظامها، وطريقة تدريسها، ومثل تطبيقي عليها، وأنموذج لبرنامج يوم عمل دراسي لأستاذ من أساتذتها من غير المراجع	٢٢٩
المبحث الأول: مرحلة البحث الخارج البداية، والنظام الدراسي، وطريقة التدريس ..	٢٣١
المطلب الأول: التسمية، البداية، زمن التأسيس، المؤسس	٢٣١
سبب تسمية هذه المرحلة الدراسية بمرحلة (البحث الخارج)	٢٣١
البداية التأسيسية الأولى لمرحلة البحث الخارج، وأستاذها المؤسس	٢٣٢
المطلب الثاني: منهج البحث الخارج، سعة وضيق الدرس، دورات البحث الخارج، الفرق بين التقارير والأمال	٢٣٣

دروس التخصص العالي	٢٣٣
سعة وضيق درس البحث الخارج	٢٣٥
دورات البحث الخارج	٢٤٠
المطلب الثالث: كتابة البحث، الفرق بين (التقارير) و(الأمالي)	٢٤١
كتابة البحث وعرضه على الأستاذ	٢٤١
الفرق بين التقارير والأمالي	٢٤٨
المبحث الثاني: مثالن تطبيقان تقربيان من أمثلة درس البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف	٢٥٠
المقدمة	٢٥٠
المثل الأول: تدريس الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بـ(الآخوند) للبحث الخارج	٢٥١
المثل الثاني: تدريس المرجع الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء للبحث الخارج	٢٥٤
أولاً: الجلسة العلمية ودرس الشيخ، كما دونه تلميذه الشيخ صالح الجعفري ...	٢٥٥
ثانياً: الجلسة العلمية بين الشيخ آل كاشف الغطاء والوفد المصري، من وجهة نظر أحد أعضاء الوفد الزائر	٢٦٢
المبحث الثالث: أنموذج لبرنامج يوم عمل دراسي لأستاذ من أساتذة مرحلة البحث الخارج من غير المراجع (الشيخ باقر الإيرواني أنموذجاً)	٢٦٥

الفصل السابع: قسم من إيجابيات النظام الدراسي المتبع في حوزة النجف الأشرف .. ٢٧٣

الفصل الثامن: بعض من سلبيات النظام الدراسي المتبع في حوزة النجف الأشرف ... ٣٦٩

الخاتمة ٣٨٣

الملحق: أساتذة البحث الخارج والسطوح العليا في حوزة النجف الأشرف لعام
(١٤٤٢-١٤٤٣هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢م) وفق تسلسل الحروف الألفبائية ٣٨٥

أولاً: أسماء أساتذة البحث الخارج في حوزة النجف الأشرف من غير المراجع،
لعام (١٤٤٢-١٤٤٣هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢م)، مرتبة على حسب التسلسل الألفبائي
للحروف ٣٩١

ثانياً: أسماء أساتذة السطوح العليا (المكاسب، الكفاية، الرسائل) في حوزة النجف
الأشرف لعام (١٤٤٢-١٤٤٣هـ / ٢٠٢١-٢٠٢٢م)، مرتبة حسب التسلسل الألفبائي
للحروف ٣٩٥

أهم مصادر البحث ومراجعته ٤٠٣

الفهرست ٤١١

